

المكتبة وجعها تخطر

في الثقافة والسياسة والفكر

Weghat Nazar - Volume 11 - Issue 130 - November 2009

مجلة شهرية، العدد المائة وثلاثون - السنة الحادية عشرة - نوفمبر ٢٠٠٩، الثمن عشرة جنيهات

خطوة اغتيال عبد الناصر

قرن من الجاسوسية البريطانية!

حماس المزي ٢٠٠٨



ألماتى بلغة كازاخستان معناها "غنية بالتفاح"



مباشرة إلى ألماتى بـ ١٩٠٠ جنيه*

ألماتى-كازاخستان أحدث إضافة إلى شبكة مصر للطيران.
الآن سافر إلى ألماتى يومي الإثنين والجمعة من كل إسبوع
باسعار تبدأ من ١٩٠٠ جنيه*. وبمناسبة بدء الرحلات إستمع
بحصولك على ضعف الأميال على كارت المسافرين الدائم.

*هذه الأسعار للذهاب والعودة ولا تشمل الرسوم والضرائب.
لمزيد من المعلومات إتصل بـ ١٧١٧ من أى موبايل أو ٩٠٠٧٠٠٠٠ من أى خط
أرضى أو بأقرب وكيل سياحى.



EGYPTAIR

A STAR ALLIANCE MEMBER

egyptair.com



رئيس مجلس الإدارة

إبراهيم المعلم

رئيس مجلس التحرير

سلامة أحمد سلامة

جميع المواد والنصوص
حقوق نشر
محفوظة

كتب العدد:

- ١ - أحمد حجاج.. أمين عام الجمعية الأفريقية - القاهرة.
٢ - أحمد زكريا الشلق.. أستاذ التاريخ الحديث والشرق الأوسط - القاهرة.
٣ - الآن جريش.. صحفي فرنسي.. كاتب بلاترو.. كاتب فرنسي متخصص في التاريخ.
٤ - جليل فور.. صحفي فرنسي.
٥ - جويل بيني.. أستاذ التاريخ بجامعة سانتاندر - كاليفرنزا - الولايات المتحدة الأمريكية.
٦ - ساميون أوزبورن.. صحفي بالإنديبنذنت.
٧ - عبد الخالق فاروق.. خبير في الشؤون الاقتصادية.
٨ - فضل مصطفي النقيب.. أستاذ بجامعة الترنو - كندا.
٩ - مايكل ماسينج.. كاتب في التهوريريك ريفيو أوف بوكس.
١٠ - محمد المهدي.. مستشار دار الآثار الإسلامية بالكويت.
١١ - محمد عامر.. أستاذ بكلية العلوم جامعة القاهرة.
١٢ - محمد يوسف عيسى.. باحث في التاريخ والشؤون السياسية.. مقيم في إنجلترا.

رسوم العدد للفنان

محمد حجي - Angel Boligan - Christo Komarnitski - Dave Cranlund



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعائم ورقية
أو غير الحاسبات لكل أو بعض المقالات المنشورة أو أجزاء
منها.. بغیر إذن كتابي مسبق من الناشر.



المراسلات:

الشركة المصرية للنشر العربي والدولي
٣ ميدان طلعت حرب - القاهرة - جمهورية مصر العربية
ت: ٢٣٩٠ - ٢٣٩١ / ٢٣٩٢ - ٢٣٩٣ / ٢٣٩٤ - ٢٣٩٥
البريد الإلكتروني (التحرير): e-mail: info@weghatnazar.com

الاشتراكات:

السنة الواحدة (ثلاث عشرة عدداً) شاملة أجرة البريد: داخل مصر: ١٠٠ جنيه مصري - الاتحاد
بريد عربي: ٦٠ دولاراً أمريكياً - أوروبا وأفريقيا: ٧٠ دولاراً أمريكياً - أمريكا وكندا: ٨٠
دولاراً أمريكياً - باقي دول العالم: ١٠٠ دولار أمريكي.
إدارة الاشتراكات: شارع سيويه المصري، ص. ب. ٢٣ - البانوارما - مدينة نصر
هاتف: ٢٣٣٩٩ - ٢٤ - فاكس ٤٨٥١٦ - ٢٤ - subscription@weghatnazar.com

ثمن النسخة:

في مصر: ١٠ جنيهات مصرية - السعودية: ١٥ ريالاً - الكويت: ١٥ ديناراً - الإمارات: ١٥
درهماً - مملكة البحرين: ١٥ ديناراً - قطر: ١٥ ريالاً - سلطنة عُمان: ١٥ ريالاً - لبنان: ٥٠٠٠
ليرة - سوريا: ١٥٠ ليرة - الأردن: ديناران ونصف - ليبيا: ديناران - الجزائر: ٣٠٠ دينار - المغرب:
٢٠ درهماً - تونس: ٤ دينارين - اليمن: ٢٠٠ ريال - فلسطين: ٢ دولارات.
Austria, France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £3 - USA \$ 5.

طبع بمطابع الشروق بالقاهرة

محتويات العدد:

- ١ - ساميون أوزبورن.....
٢ - خطة اغتيال عبد الناصر.. قرن من الجاسوسية البريطانية
٣ - جاييل فور.....
٤ - من منكم يعرف MIS
٥ - جويل بينين.....
٦ - راشيل كوري... وأيضاً في سان فرانسيسكو
٧ - الآن جريش.....
٨ - هل أصبحت فرنسا بلداً صهيونياً؟
٩ - بول إيريك بلاترو.....
١٠ - فرنسا الصهيونية
١١ - فضل مصطفي النقيب.....
١٢ - صحافة داوود آوي
١٣ - مايكل ماسينج.....
١٤ - حبر الأيام الخوالي.. إعادة اختراع الصحافة؟
١٥ - محمد المهدي.....
١٦ - منطق تاجر الهندية؟
١٧ - عبد الخالق فاروق.....
١٨ - كم ينفق المصريون على رحلات الحج والعمرة؟
١٩ - أحمد حجاج.....
٢٠ - جورج أروويل.. هل تتذكره؟
٢١ - محمد يوسف عيسى.....
٢٢ - الأقوية.. التجارة أولا
٢٣ - أحمد زكريا الشلق.....
٢٤ - ماذا جرى في مصر؟
٢٥ - محمد عامر.....
٢٦ - رأي: بين الشرعية والواقعية،
٢٧ - إصدارات جديدة.....

خطة اغتيال عبد الناصر

سايمون أوزبورن
simon Osborne

في الخمسينيات، عندما قام الرئيس المصري «ناصر»

بتأميم قناة السويس، قال أحد قدامى

جواسيس MI6 لرئيس MI5 في ذلك

الوقت «ديك وايت» Dick White،

«انظر أيها الولد الكبير، سيتوجب

علينا فعلا القيام بشيء تجاه

ناصر هذا. ربما سنضطر

إلى التخلص منه»



■ في صيف عام ١٩٥٩، تم تكليف العميد البحري «الكسندر بيثيل» Alexander Bethell، رئيس استخبارات البحرية، بالعثور على مرشح مناسب لرئاسة القسم الأجنبي لوكالة جديدة تسمى «مكتب الخدمة السرية Secret Service Bureau»، قام «بيثيل» بكتابة خطاب قصير بخط يده بعنوان «خاص»، وأرسله إلى قائد شبه متقاعد يعيش في منزل عالم قرب «ساوثامبتون».

«عزيزي «مانسفيلد كامنج» Mansfield Cumming، لا بد أن حاجز الطفو الدفاعي (وضع عوائق مادية للسفن حول الساحل) قد أصبح مملا بالنسبة لك، وأن التجارب الحديثة على «فيريت Ferret»، (سفينة تستخدم في التجارب لكسر مثل تلك الدفاعات) ربما تنتقص من تجاربك في «ساوثامبتون». ولذلك فربما ترغب في وظيفة جديدة. إذا كان الأمر كذلك فإن لدى شيئا جيدا يمكن أن أعرضه عليك، وإذا رغبت في الجسم لروايتي يوم الخميس وقت الظهيرة تقريبا فسوف أخبرك عن الأمر».

هاتل «كامنج»، في عمليات ضد قرصنة الملايو قبل أن يعلن دوار البحر أنه غير صالح للخدمة. وقد تم تجهيزه من قبل الاستخبارات البحرية وأرسل إلى «ساوثامبتون» للإشراف على إنشاء الدفاعات البحرية. وعندما وصله خطاب «بيثيل»، وهو في الخمسين من عمره، قبل العرض وأصبح أول رئيس لما سيصبح MI6.

كراهية تجاه الألمان

في بدايات القرن العشرين، كانت بريطانيا أمة يشكها جنون الارتياح. وقد ساعد سباق التسليح البحري مع الألمان على خلق أزمة ثقة تحولت سريعا إلى هياج لمشاعر العداء للألمان من قبل وسائل الإعلام. وروى الصفحات الأولى لللاهئة كيف أن مواثي ومدن إنجلترا قد أصبحت تعج بالجواسيس. وقد عرضت جريدة «ذا ويكلي نيوز The Weekly News» مكافأة قدرها عشرة جنيهات إسترلينية - ثروة

ترجمة: عادل فتحى



عبد الناصر

عندما

رفض «إيدن»

مؤامرة جديدة

لضغ غاز الأعصاب

في نظام تكييف الهواء الخاص بـ «ناصر»، اقترح

«كوين» عملية سيجار من

تصميم وكسالة

الاستخبارات المركزية

تحتوي على سهم

مسموم



التقنية؟ إنه أحد اعظم الامور التي حصلت عليها الوكالة..

تلخيص الميزانية

تعد ميزانيات الخدمة السرية من الأسرار، ولكن MI6 وMI5 والاتصالات الحكومية Government Communications Headquarters (GCHQ)، يتم تمويلهم من «حساب الاستخبارات الوحيد Single Intelligence Account» (SIA) استعراض الإنفاق الحكومي لعام ٢٠٠٤ تم تحديد SIA بمبلغ ١.٣٨ مليار جنيه إسترليني. وعموما، يعتقد أن الكلفة الحقيقية للاستخبارات البريطانية هي أعلى من ذلك بكثير. فال MI5 تقول بأنها تستخدم حوالي ٣٥٠ شخص، ٤٠٪ منهم من النساء و٦٠٪ تحت سن الأربعين. أما ال MI6 فلا تكشف عن مستويات العاملين لديها.

ناصر يحب الشيكولاتة

في الخمسينيات، عندما بدأ الرئيس المصري، ناصر، تقاربا جميعا مع روسيا السوفيتية وقام بتأميم قناة السويس، بدأت حكومة «انتوني إيدن» Anthony Eden، في السعي إلى حل لـ «مشكلة ناصر». ووفقا لما جاء في كتاب «جوردون توماس» Gordon Thomas، «داخل الاستخبارات البريطانية Intelligence»، قال أحد قدامى جواسيس MI6 لبريس MI5 في ذلك الوقت «ديك وايت» Dick White، «انظر إليها الولد الكبير، سيتوجب علينا فعلا القيام بشيء تجاه ناصر، هذا.. ربما سنضطر إلى التخلص منه».

بينما تصاعد التوتر وهدد «ناصر» بالسيطرة الكاملة على قناة السويس، شران الحياة الذي يربط أوروبا الغربية بنقط الشرق الأوسط، رجعت MI6 إلى دليل من ٨٨ صفحة لوكالة الاستخبارات المركزية، CIA، بعنوان «أساليب الاغتيال Assassination Methods»، في الوقت نفسه، تم تكليف إدارة «كيو Q» بالمهمة على طريقة لإنجاز العمل بحيث لا يمكن اقتفاء أثره إلى بريطانيا. وقد شكل ضعف ناصر، تجاه شيكولاتة «جرويس» المصرية الشهيرة فزعة سائجة، وأرسلت دسنة من صناديق تلك الشيكولاتة إلى

إدارة «كيو Q»، لإجراء تجارب. كما حصل فريق العمل تحت قيادة «فرانك كوين» Frank Quinn، والذي استوحى «فليمنج Fleming»، من اسمه الرمز، «كيو Q» - على اسم محار عديم الرائحة من العامل الكيماوية والبيولوجية الحربية البريطانية في «بورتون داون Porton Down». وقد طور «كوين» أسلوسا لتسجين قاعدة قطع الشيكولاتة حتى تفصل، مما يسمح بحرق السم. وقد تم تسليم صندوق من قطع الشيكولاتة السامة ولكنه لم يستخدم أبدا.



وعندما رفض «إيدن» مؤامرة جديدة لضغ غاز الأعصاب في نظام تكييف الهواء الخاص بـ «ناصر»، اقترح «كوين» عليه سجار من تصميم وكالة الاستخبارات المركزية تحتوي على سهم مسموم. وقام الدكتور «لاديل» Ladell، وهو عالم في «بورتون داون» بكتي بـ «المعزود»، باختيار السهم على الأغنام. يقول تقريره «بيدا» الحيوان في الانهيار عند الركب ثم يشرع في تقلب عيئه ويخرج الرعوه من فمه. ويسقط الحيوان ببطء إلى الأرض ثم تنسحب روحه بعيدا.. كان مقنرا لـ «ناصر» أن يتجنب هذا الصير أيضا - فقد خشي «كوين» من إمكانية تعقب مصدر السهم. ثم تدخلت الاستخبارات الإسرائيلية بخطة لتسميم قهوة «ناصر» بتكويث المحلي الصناعاتي الخاص به، ولكن عند مرحلة ما وأسباب غير معروفة، صرف النظر عن خطط اغتيال «ناصر». وقد توفي بازمة قلبية عام ١٩٧٠.

كانت الاستخبارات المصرية قبل أزمة السويس تنظر بتقدير كبير لـ MI6، لدرجة أن رجل القاهرة في لندن - ووفقا لما جاء في كتاب «مايكال سميث» «عباءة جديدة» خنجر قديم» - تلقى أوامر بشراء جميع كتب «فليمنج» عن «جيمس بوند» لاستخدامها كقراءة إجبارية في الدورات التدريبية.

«العميلتان» «جودي» Judi، و «نيجيلا» Nigella،

رما كانت شخصية «فليمنج» «إم M»، هي أشهر الجواسيس العظام في أدب الخيال. في عام ١٩٩٩، كانت السيدة

«جودي دينش Judi Dench»، التي لعبت دور «إم» في الأفلام الستة الأخيرة لـ «جيمس بوند» - تتعرف إلى جواسيس حقيقيين، عندما دعاها السير «دافيد سبيدينج David Speding»، إلى حفل أعياد الكريسماس الخاص بـ MI6. ويقال أن المحتفلين قد بدت عليهم الحيرة عندما قدم «سبيدينج» «دينش» باعتبارها شخصية «إم» «جيمس بوند».

ثناء دراستها في مدرسة «كوينز جيت Queen's Gate» في لندن في السبعينيات، تلقت طبخة التلغز «نيجيلا لاوسون» Nigella Lawson «مانشجمج-جولر Eliza Manningham Buller»، التي كانت قد رفضت عرضا من «مجندي MI5 في جامعة «أوكسفورد» لتصبح معلمة (تراجعت لاحقا وشارفت طرقيها في الخدمة حتى منصب المدير العام). تعرضت «لاوسون» لنفس المحاولة في جامعة «أوكسفورد»، ولكن وفقا لكتاب «جوردون توماس»، «داخل الاستخبارات البريطانية»، فإن «نيجال» Nigel، «لاوسون» والذي كان مستشارا لوزارة المالية البريطانية في ذلك الوقت، نصح ابنته بـ «البقاء» بعيدا عن العناملين بالاستخبارات.

في عام ٢٠٠٦، اندهش رؤساء «بي بي سي راديو ١ BBC Radio 1» عندما وافقت MI6 على عمل لقاءات لتبث أثناء طرح فيلم «جيمس بوند» «كازينو رويال Casino Royal». وقد قدمت «خدمة الاستخبارات السرية (Secret Intelligence Service) SIS»، التي كانت في وسط حملة تجنيد عامة تهدف إلى تحطيم الصورة الكاريكاتيرية الساذجة لعمالها، قدمت عميلين نشيطين بشرف إخفاء أصواتهم الحقيقية. وقد أجرى «راديو ١» «كولين موراي Colin Murray» مع «كولن موراي» الذي كان يعلم أنه لم يكن هناك شيء «عما يحدث في فيلم «رخصة للتقت License to Kill»، على سبيل المثال، وإنما كان هناك مقارنة بشخصية «كيو» في أفلام «جيمس بوند».

أزمة الصواريخ الكوبية والكتب

الخارجي ومجبر العظام

استخدمت الحكومة البريطانية مجبر عظام ورسام بوريزيه شوير، والذي لعب دورا محوريا في فضيحة «بروفومو».

عرفوا أن ناصر يجب الشيكولاتة، فحفظوا على عمل تجارب لإعداد صندوق من الشيكولاتة

السامة، إلا أنه لم يستخدم أبداً، وتدخلت الاستخبارات الإسرائيلية بخطة

لتسميم قهوة «ناصر، بتلويث المحلى الصناعى الخاص به



ك «قناة خلفية، بين لندن وموسكو أثناء

أزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢.

كانت «Steph Ward» تعتبر «ستيفين وارد

Steph Ward» - (الذى قام قبل عام

بقتديم وزير الحرب «جون بروفومو John

Proffomo»، إلى هيئة الاستعراض

«كريستين كيلر Christine Keeler»،

شخصاً «ساجاً، ويخاطر بتهور في

علاقته بـ «إيفغيني إيفانوف Evgeni

Ivanov، المحقق البحري الروسى الذى

كان أيضاً ينام مع «كيلر،

ولكن «التاريخ الرسمى الحديث

للخدمة السرية، الذى وضعه البروفيسور

«كريستوفر أندرو Christopher Andrew

يكشف عن أن المكتب الخارجى لم يكن

يشعر بتلك المخاوف، ففى أوج أزمة

الصواريخ الكوبية، استخدم «وارد، لتعريب

رسائل من السفارة السوفيتية إلى وزير

الخارجية بما فى ذلك رجاء تعشير

موسكو بموجه لندن «أملها الوحيد فى

التوافق، مع واشنطن فيما يتعلق بأزمة

نشر أسلحة نووية فى كوبا.

الجاسوسة العظيمة

من بين سبعة عشر رئيس وزراء حكما

طوال ثمانى أعوام من الخدمة السرية، كانت

«مارجريت ثاتشر Margaret Thatcher»

إحدى أولئك العلاقات مع رؤساء

الاستخبارات، ووفقاً لكتاب «داخل

الاستخبارات البريطانية»، لـ «جوردون

توماس»، فإنه كانت تقرا التقارير على

الإفطار وتعيدا مع تعليقات يخطأ أزيق.

وعلى غير عادة رؤساء الوزارة، كانت تحضر

بانتظام لقاءات لجنة الاستخبارات

المشتركة التى تشرف على مجتمع

الاستخبارات البريطانى من مكتب رئاسة

الوزراء، وكانت تذكر المعلنين المرتبكين

بالأ يتسوا أن «العدو الداخلى» قد يكون

بداخل MI5 وMI6. وقد صرح مستشارها

لوزارة الخارجية «نيجيل لاوسون Nigel

Lawson»، أن صارت كإحدى أسلحة

برويات «فريدريك فورست Frederick

Forsyth، المثيرة عن الجواسيس،

العميل المتلون

كان «إيدى تشايبان Eddie

Chapman، زير لساء وجرماء ولص

خزان يقضى عقوبة فى سجن جرينية

«جيرسى» عندما غزا الألمان جزر القتال

عام ١٩٤٠. ويعد تجنيده من قبل

الاستخبارات العسكرية الألمانية، ثم

إسقاطه بالباراشوت فى بريطانيا

لتخريب مصانع الطائرات الفاتافة، ولكنه

نجأ إلى MI5. وقد زيف رؤساء

الجاسوسية صورا ليان مدمرة ونشروا

خبرا فى جريدة «دايلى إكسبريس Daily

Express، لإرضاء الألمان. حقق

تشايبان، مهمته، بينما جرى تدريب

المجرم ليصبح أعظم عميل بريطانى

مزود فى زمن الحرب.

أخبر تشايبان، - ٣٧ عاما فى ذلك

السوقت - «رونى ريد Ronnie Reid»

الضابط المسؤول عنه، أن رئيسه فى

الجاسوسية الألمانية عرض عليه أن

يجلسه بالقرب من منصة «هتلر، فى أحد

الحشود الانتخابية. ويمكن أن تشايبان، بعد

أن يتخفى كضابط ألماني أن يفجر

الفرهون. وتحكى ملفات MI5 التى كتف

الفتاب عنها الحادثة التى تلت ذلك، قال

«ريد»، «سواء نجحت أم لا، فستمتد

تصنيفتك فوراً، فرد، تشايبان»، «نعم،

ولكن يا لها من طريقة للموت.

رفض العرض الفاجئ للتعميل

المطلوب، ثم عاد إلى ألمانيا مع تحذير من

رؤسائه، بالأ يقوم بأعمال طائشة،

واحتمى بالأ الألمان لإنجاز مهمته. وفى عام

١٩٤٤، عاد مرة ثانية إلى لندن لمساعدة

صلاح الجواسيس - ظاهرياً - فى توجيه

MI5 إلى الأهداف الرئيسية.

وفى الحقيقة أنه قدم لهم معلومات زائفة

وأصبح بطلاً أيضاً فى بريطانيا فى

النهاية، وحصل على عفو عن جرائمه

قبل الحرب، وقد توفى عام ١٩٩٧.

الأسماء المتغيرة للخدمة السرية

MI5

١909: القسم الداخلى بمكتب الخدمة

السرية.

١914: MOS؛ قسم فرعى لدائرة

العمليات العسكرية بمكاتب وزارة الحرب.

١916: MI6 (الاستخبارات العسكرية،

القسم الخامس).

1929: خدمة أمن الدفاع.

1931: الخدمة الأمنية MI5 (غير

رسمى).

MI6

١909: القسم الخارجى بمكتب الخدمة

السرية.

١914: MI6؛ قسم فرعى لدائرة

الاستخبارات العسكرية.

1920: خدمة الاستخبارات السرية SIS

MI6 1930: (غير رسمى).

أبراج «عين القصدير Tin Eye» المرمية

أثناء الحرب العالمية الثانية،

استخدم «لاتشير هاوس Latchmere

House، وهو منزل كبير على الطراز

الفيكتوري يقع فى «هام كومن Ham

Common، فى «سبرى Surrey»، كمركز

استجواب سرى تحت الاسم الكودى

«معسكر 020 ٠٢٠ Camp»، كان يديره

«روبن ستيفنز Robin Stephens»، وهو

ضابط منفلت الأعصاب فى MI5 كان

يتميز بظناره الاحادية سمكة الإطار

«كاونا» يسمنه «عين القصدير Tin

Eye»، كان احتقاراً لليهود والنشوء

والألمان. «كان «ستيفنز»، فظراً لإطلاعه

على أعمال «فرويد Freud»، وجونج

Jung، وإجادته التامة لسبع لغات - سيد

الاستجواب - كانت مهمته استخلاص

المعلومات من جواسيس العدو لتقرير

ما إذا كان يمكن استخدامهم كعملاء

مزودين. كتب «ستيفنز»، فى تقرير

كشف MI5 انتقاب عنه مؤرخاً «إن مثل

هؤلاء الأبطال يولدون ولا يصنعون،

ويستحقون الضمخ بواسطة قوة

الخصيصة والهبة وسرعة الأستلة،

هجوم عنيف، فى صورة انفجار يربع

الشخص ويطيح بتماسكه».

كان «ستيفنز»، مرتدياً زي الهندي

القديم - يشبه أياً ما فى تحميم

المشتبه بهم، ولكنه طبق سياسة صارمة

من عدم العنف. ومع ذلك، كانت

الظروف فى «لاتشير هاوس»، فى نفس

أسلوب «عين القصدير» فى

الاستجواب - كانت التنازير المروعة

مسرحاً للسيد من وقائع الانتحار. وقد

اجتاز أربعة عشر مشتبهياً الاختبار

وتحولوا إلى عملاء «مزودين (كان من

بينهم «إلى تشايبان» - أوجع إلى

«العمل المتلوى»). كما أخفق خمسة

عشر منهم وتم إرسالهم إلى برج لندن

ليشتاقوا أو يطلق عليهم الرصاص.

العميل ٠٠٧ الأصلى

«سيدنى رايبلى Sidney Reilly» هو

الأكثر استحقاقاً لقب «جيمس بوند

الحقيقى». فبعد عقود، حاول المؤرخون

فك الخيوط المعقدة لحياة، ولكن الكثير

متها على تشايبان فى الأساطير

ب «العقول». ولد «رايبلى» فى روسيا عام

١٨٧٣ باسم «روزنبولم Rosenblum»، ثم

وجد نفسه فى لندن عن طريق:

أ- الاختباء على سفينة بريطانية

متجهة إلى البرازيل. عقب تليف وفاته،

بعد أن اتهمه الروس بأنه ثورى، ثم حصل

لاحقاً على جواز سفر بريطانى بعد أن

أنقذ حياة ضابط استخبارات زائر أثناء

هجوم شنه مواطنون محليون.

أو

ب - فر من إحدى ضواحي باريس

حيث حصل هو وشريك له يدعى

«فويتيك Voitek»، على كميات هائلة من

المال من اثنين من مشيرى الشغب

الإيطاليين عثر عليهما فيما بعد

مطعونين حتى الموت.

فى لندن، حيث تسلك بالرواية

الأولى، سرعان ما تسلق «رايبلى» إلى

«الجمعية الراي» مستبعا ضففة تجاه

كازينوهات القمار والنساء والحياة

السريعة. ومع هويته وجواز سفره

الجديدين، عاد زير للنساء المذهب إلى

روسيا حيث تجسس لصالح بريطانيا

واليابان.

فى عام ١٩٠٩، تعلم «رايبلى» الحما

وتنكر كعامل أحواض سفن من البلطيق

ويوجد عملا فى مصنع الماشى لأسلحة.

بعد خلق أحد رؤساء العمال بعد أن

اسمك به يسرق تصميماً لأسلحة.

وفقاً لإحدى الروايات - شارك «رايبلى،

كطيار فى معرض فرانكفورت للطيران

وزنق مفنطق (مولد كهربائى) متطور من

طائرة ألمانية. وقد وضع - بمساعدة

شريك له - رسوماً تفصيلية للجهز قبل

أن يعيد تركيبه مرة ثانية فى مكانه.

جاء الانتصار الأكبر لـ «رايبلى» عام

١٩١٨ عندما خطط للإطاحة بالحكومة

البلشيفية وأغتتيال «لينين Lenin».

عندما سرب الخطة رجال موالين

للزعيم الشيوعى، فر «رايبلى» عائداً إلى

بريطانيا عبر فنلندا والسويد وحكم عليه

بالإعدام بإبوابيا.

فى عام ١٩٢٥، انضم «رايبلى» إلى

جماعة وجمعية مناولة للشيوعية يقوؤها

عملاء روس - لاحقاً، تحدث أحدهم عن

«رايبلى» قائلاً: «كانت عيناه الكاشتان

تعبيران عن شيء لاذع وأحمر، كانت شفته

الأسفلى تتدلى عميقاً وكان شديد

المراوغة، بشعره الأسود المصنف وحلته

شديدة الأناقة. كل شيء فى أسلوبه كان

يعبر عن لا بهالة متفطرة بما حوله.

أطلق الرصاص على «رايبلى» - الذى عرف

ب «عظيم الجواسيس» -

وقتل، تاركاً وراءه سلسلة من





الزواج الثلاثي قاضين - بلا جدوى - الـ M16 للحصول على تعويض. وكان من بينهن ممثلة اسمها «بيبيتا بوباديللا» Pepita Bobadilla.

عندما يتكشف السر

كثير مما يدور داخل وكالات الاستخبارات يبقى في الظل. ولم تشر الحكومة بوجود تلك الوكالات إلا في عام ١٩٩٢. قبل ذلك، كما علق المؤرخ السير «مايكل هوارد» Michael Howard، «فيما يتعلق بسياسة الحكومة، فإن خدمات الأمن والاستخبارات البريطانية، الـ M16 والـ M16، لا وجود لهما، وصملا العدو موجودون تحت شجيرات الكشمش، والمعلومات تصلنا عن طريق طيور الفلق».

في عام ١٩٣٣، جرت محاكمة عميل سكتلندي سابق لـ M16 - كان قد هدد بـ «كشف الغطاء» عن الخدمات السرية - بموجب قانون الأسرار الرسمية، وتم تقيمه مائة جنيه لجدة كشفه عن أن رئيس الـ M16 كان يعرف بالاسم الكودي «سى C»، اليوم لم يعد «سى» مجرد اسم - السير جون سكارليت John Scarlett - بل يتم تصويره وتبث مقابلة معه في مكتبته من قبل «بى بى سى BBC، اوائل هذا العام.



في يوليو الماضي تم الكشف عن معلومات شخصية تخص خليفة «سكارليت»، السير جون ساووز John Savers، عند اكتشاف أن حساب زوجة في الـ «فيس بوك Facebook» كان غير محمى. وقد تضى وزير الخارجية «فايد» ميليباند David Miliband، مزاعم بأن الإجراءات الأمنية لم تعد صارمة، قائلا: «انتم تعلمون أنه يرتدى رداء سباحة من نوع «سبيدو Speedo»، ذلك ليس أحد أسرار الدولة».

معدات التجسس الدافقة

يعتبر القسم «D» في الـ M16 هو المدير التنفيذي للعمليات الخاصة الحربية والمعروف أيضا باسم «جيش

تشرشل السرى». كان هذا القسم مسئولاً عن بعض أكثر الأجهزة الإلكترونية الدقيقة براعة في الخدمة السرية. كانت قوالب للأقدام الحافية تستخدم في الشرق الأوسط لصنع خف يترك بصمات اقدام، تبدو وكأنها تعود للمكان المحليين.

كانت انابيب كريم الحلاقة تصمم بحجيرات كبيرة بما يكفي لإخفاء رسائل - مع مقدار صغير من الكريم الحقيقي. كانت الفئران الميتة تملأ بالمتضخرات لتلقى على الضخم بجوار الفلايات الألمانية. وكانت تنفجر بعد أن تجرف للدخل.

كانت جذوع مصنوعة من الجص تملئ تشبه الأشجار وتملأ بالخيزرة أو الأسلحة قبل غرسها في غابة شجرية. كانت حقائب الأوراق الحارقة تصمم لحمل الوثائق. وقد انفجرت إحداها على غير المتوقع مما أوقع إصابة خطيرة بأحد الجواسيس في تايلاند.

الحيثانية الأعظم

رما كان «كيم فيليبى Kim Philby» وجواسيسه المعروفون باسم «جواسيس كامبريدج» العملاء المزدوجين الأسوأ سمعة الذين أخرجوا لـ M16، ولكن يقال أن خائناً أقل شهرة قد سبب ضرراً أكبر. ولد «جوج بليلك George Blake» في روتردام لأب بريطاني من أبطال الحرب. وقد انضم للبحرية الملكية لاحقاً وعمل في الاستخبارات تحت رئاسة «إيان» فليمينج Ian Fleming، الذي كان سيقوم بعد ذلك بتأليف كتب «جيمس بوند». عرض «فليمينج» عملاً مع الـ M16، وبعد دورة حافلة في اللغة الروسية أرسل «بليلك» إلى كوريا الجنوبية. عززت المهمة ولائته الشيوعية، وسرعان ما اتصل بال «كى جى بى KGB»، (الاستخبارات السوفيتية، المترجم) مما أدى إلى تدمير معظم عمليات الـ M16 في أوروبا الشرقية. وقد اعترف لاحقاً «لا أعلم ما الذى قدمته لأنه كان كثيراً جداً».

في عام ١٩٥٣، الأخير «بليلك» أريابه بشأن نفق كان البريطانيون يحفرونه تحت برلين الشرقية التى يحتلها الروس، في محاولة للتفتت على شبكة اتصالات الجيش الأحمر. بعد اقتناض امره في النهاية على يد متشق بولندى زعم أن «بليلك» قد

تسبب في مقتل أربعين عميلاً بريطانيا. تم استدعاؤه إلى لندن والقبض عليه. حاولت الحكومة التغطية على خيانة «بليلك»، ولكنها أخفقت في ذلك. وفي عام ١٩٦١ حكم عليه بالسجن لمدة ١٢ عاماً - وهو حكم قياسي في ذلك الوقت - ولكنه تسلى بعد خمس سنوات الجدران الخارجية لسجن «ورمود» Wormwood Scrubs، باستخدام سلم مصنوع من النايلون مدعم بآبار التريكو. وبعد عام ظهر في موسكو حيث يعيش حتى الآن. وفي عام ٢٠٠٧، كرم «فلاديمير بوتين Vladimir Putin» العميل المزدوج السابق المعجوز البالغ من العمر ٥٥ عاماً. وفي العام نفسه ذكر رئيس الاستخبارات الروسية أن «بليلك» «لا يزال يلعب دوراً نشطاً في شؤون الخدمة السرية».

عملاء مزدوجون في خطر

كان «أوليج جورديفسكى Oleg Gordievsky»، هو الأعلى منزلة من بين الجواسيس السوفيتيين الذين لجأوا إلى الغرب أثناء الحرب الباردة. وقد أرسلته موسكو ليقود عملية جمع المعلومات في لندن عام ١٩٨٢. ولكنه استمر في شرب امره عام ١٩٨٥ وعاد إلى روسيا؛ فقط ليهرب مرة ثانية إلى بريطانيا. وهو يعيش في لندن، وقد اتهم «عناصر مارقة» في موسكو بالتآمر لأغتياله بحبوب دواء مسومة.

أشهر ما يصرف به «آرثر رانسوم Arthur Ransome»، أنه مؤلف كتاب «سوالوز أند أماروزنز Amazons»، ولكنه قبل ذلك كان يعيش في موسكو وترجع سكرتيرة «تروتسكى Trotsky»، (أحد أقطاب الثورة الروسية) وقطن في شقة مع رئيس الدعاية البلشفية و«متفق أفكار لينين» - «وقام بتحرير ما لا يقل عن مائة رواية» - لدعم القضية الشيوعية بالبحار وكان عند حسن ظن البلاشفة تماماً حتى جندته الـ M16 كعميل مزدوج.

كان «كيم فيليبى» العضو الأكثر نجاحاً من بين مجموعة كامبريدج الخمسة سبئي السمعة. فقد التقى في الجامعة بـ «دونالد ماكليين Donald Maclean»، «جاي بيرجيس Guy Burgess» و«أنثوني بلانت Anthony Blunt» و«جون

من منكم يعرف MI 5

جاييل فاور

Gaelle Faure

بالجملة الشهيرة، «مرحباً سيد بوند،
(يرجى الرجوع إلى صور جيمس بوند).

● ماذا عن أكبر إخفاقات MI5؟
يرتبط ذلك بأكبر إخفاقات الاستخبارات الغربية عموماً. عندما بدأت MI5 في الانخراط في إيرلندا في بداية السبعينيات - كانوا في ذلك الوقت يعملون عن خلفات أقل مما يعلمون عن نيرويس - حسناً، لم أعرش على ملف واحد يتعلق بالاستخبارات أثناء القلاقل التي بدأت عام 1991 والاستخبارات في الفترة من ترمز صيد الفصح عام 1996 حتى إنشاء دولة (إيرلندية) حرة عام 1992. تشير الملفات من تلك الفترة السابقة إلى أن الاستخبارات كانت في حيرة لا تصدق وكان تسيبها ضعيفاً مع الشرطة المحلية. ماذا حدث في السبعينيات؟ نفس الشيء تماماً. إنه نموذج مثالي تقريبا للشلل القديم القائل بأن أولئك الذين لا يدركون أخطاء الماضي يحتم عليهم أن يكرروها. إن إلقاء نظرة طويلة الأمد كان يمكن أيضاً أن يساعد في التنبؤ بصورة أفضل بالإرهاب الإسلامي في القرن الحادي والعشرين. كانت MI5 بطيئة في إدراك معالجة حملات الجيش الجمهوري الإيرلندي في التسعينيات. ولم تدرك MI5 قبل عام 2002 أن تطرف الأقلية المسلمة البريطانية قد يؤدي إلى هجمات إرهابية على أهداف بريطانية. (يرجى الرجوع إلى صور الإرهاب في المملكة المتحدة).

● لقد اكتشف أن ثلاثة أعضاء في البرلمان من حزب العمال أثناء حكومة «بليسون» يعدون عملاء سوفيت. هل شك ذلك صدمة لك؟
كان ذلك بمثابة مفاجأة. ومع ذلك، فإن ما أدهشني أكثر هو أن درجة الاهتمام الشديد بتقديرات المخابرات الشيوعية لم تكن عادة من قبل MI5 وأبنا من الحكومات. فقد أرسلت قيادة حرة إلى MI5 قائدة بأسماء ستة عشر عضواً بالبرلمان من حزب العمال. اعتقدت قيادة الحزب أنهم شيوعيون أكثر من كونهم عمالاً. ولكن MI5 رفضت التورط حيث اعتبرت ذلك مجرد سياسات حزبية. وعلى أية حال فإننا تعلم الآن أن الرجل على رأس تلك القائمة، ويل أوين Will Owen، كان عميلاً تشكيميا منذ سنوات! ■

غير حقيقية رغم وجود ملف عنه، وأن السير «روجر هوليس Roger Hollis» رئيس MI5 طوال تسع سنوات، كان في الحقيقة عميلاً سوفيتياً. الملفات تفتش ذلك أيضاً. إذا لم تكن لديك معلومات فإنها تحصل على أكاذيب.

● بعد استعراض مائة عام من الملفات، ما الذي تعتبره أكبر نجاحات MI5؟
كان ذلك بالتأكيد ضد ألمانيا في الحرب العالمية الثانية. فقد تم تحويل بعض أفضل الجواسيس الألمان إلى عملاء مزدوجين، وكان ذلك هو الجزء المحوري للخداع الأكثر نجاحاً في تاريخ الحروب. والذي يدونه لم تكن لتتحقق عملية الإنزال في نورمادي. وما اكتشفته من خلال الملفات هو الكيفية التي بدأ بها الأمر برسمه بأسلوب بريطاني يتسم بغاية الأطوار. كان أكثر العملاء المخابراتيين في MI5 في الثلاثينيات هو أحد أبطال الجوى في الحرب العالمية الأولى يسمى «كريستوفر درابر Christopher Draper». وكان يدعى «الرائد الجشون» لأنه كان مهووساً تماماً بالطيران تحت كبري لندن. وقد دعى إلى ألمانيا. وكان، مختار، مهتماً به لغاية وأعضا أكثر من نصف ساعة يتحدث معه أثناء أحد العروض الجوية. وعند عودته إلى لندن، طلب منه أن يصبح جاسوساً للاستخبارات الألمانية فأجاب بالموافقة وعرض على MI5 لاستغلال رأيه؛ ومراقبة الاتصالات التي كان عليه أن يقوم بها مع الاستخبارات الألمانية. اكتشفت MI5 بالمصادفة عميلاً ألمانيا لم تكن تعلم عنه شيئاً، وبدأت في الإيقاع بكامل الشبكة الألمانية.

● إن كان لا MI5 لتصبينها من الخصائص المميزة؟
كانت تعمل، على MI5 في أول وكالة حكومية تحدد الحس الفكاهي كإحدى الخصائص المطلوبة في المجددين لديها. إن نظرت إلى عالم الجاسوسية، تجد أنها الهيئة الوحيدة التي تكون فيها الشخصية الخيالية أكثر شهرة مائة مرة على الأقل من أي شخصية حقيقية. وجيمس بوند، هو القائد المميز الوحيد الذي بقي على القبة الستة السنين. وقد أخبرني مسؤول في الاستخبارات ذات يوم أن التقى في إحدى المرات في أعماق العالم الثالث بأحد زعماء القبائل كان يظن أنه لا يعرف الإنجليزية، ولكنه خاطبه

■ هل منحت حرية كاملة للوصول إلى ملفات MI5 حتى وقتنا الحاضر؟
لقد حصلت بالفعل على حرية ولوج غير محدودة. ومع ذلك، فأنا لم أطلب اللوجج لملفات القرن الحادي والعشرين للفضايا التي لم تصل بعد للفضاء أو التي ما زالت قيد التحقيق.

● ما هي أكبر مفاجأة كشفت عنها النقاب؟
أحد الاكتشافات ترك عتدي انطباعاً حقيقياً. إن المهمة الأولى لأي وكالة استخبارات هي أن تذكر الحقيقة للسلطة الحاكمة. وقد عثرت على أول مثال لذلك أثناء أزمة ميونخ عام 1968، وهي إحدى أهم اللحظات المشينة في تاريخ السياسة الخارجية البريطانية. في ذلك الوقت، كانت MI5 بالفعل تقيم «أدولف هتلر Adolf Hitler»، بصورة أكبر كثيراً من الحكومة البريطانية ورئيس الوزراء في ذلك الوقت، نيفيل تشامبرلين Neville Chamberlain. عسلى وجه الخصوص، حيث لم يكن يعير اهتماماً لما يقولونه له أثناء المفاوضات التي أدت إلى اتفاقيات ميونخ. ولذلك قرر «فيرنون كيل Vernon Kell» (رئيس MI5 في ذلك الوقت) أن الطريقة الوحيدة للوصول إلى رئيس الوزراء هي أن يخبره بما يقول «هتلر»، عنه، وبالتالي أنه يطلق عليه «فتحة الشرج». وقد أبغضه بالكلمة الألمانية التي قيل أن «هتلر» استخدمها «arschloch». (يرجى الرجوع إلى صور صعود هتلر للسلطة).

● هل تعتقد أن الشفافية تساعد وكالات الاستخبارات على المدى الطويل؟ نعم. كانت الفكرة في الماضي أقل تقييداً أن يعرف العامة أي شيء، ولذلك فإنك لم تكن تخبرهم بأي شيء. والذي تغير منذ جيل مضى هو أن الشعب البريطاني أصبح أقل كياسة، وإذا لم تكن لديه فكرة ما بعد يدور فيها، لن يتسلم نظرية المؤامرة. وعلى أية حال، فإن الكتاب الأكثر مبيعاً في الولايات المتحدة عن الاستخبارات البريطانية هو صائد الجواسيس Spycatcher، «ديتير رايت Peter Wright»، وما زالت بعض القصص التي ضمنها الكتاب - وهي محض خرافة - تلقى قبولاً واسعاً. إذا كانت هناك مؤامرة ضد رئيس الوزراء الأسبق هارولد ويلسون Harold Wilson، أليس الآن أنها

كيرنكرويس John Cairncross، وقد أصبحوا شيوعيين، واستمر «فيليب» في التجسس لصالح روسيا لأكثر من خمسين عاماً شغل أثناءها منصب رئيس القسم الموسيقي في النهاية إلى وقد كشف أمره وقرر في النهاية إلى موسكو حيث توفي عام 1988.

الضم «ديس دونالدسون Denis Donaldson»، إلى الجيش الجمهوري الإيرلندي في الستينيات. وقد شق طريقه من مجرد مراقب يحمل سلاحاً إلى المساعد الأول لـ «جيري أدامز Gerry Adams»، ولكن الاستخبارات البريطانية جندته سرا في الثمانينيات. وبعد عشرين عاماً من العمل كممثل مزعج - أقام خلالها صلات جمهورية مع جماعات إرهابية أوروبية من بينها «إيتا Eta»، - اكتشف أمره عام 2002. وقد فر إلى كوخ مجهور في كاونتي دونغال County Donegal، حيث عثر عليه مقتولاً بالرصاص عام 2006.

● عندما فتحت شخصية «إم إم إس إم أند إس M & S» (Marks & Spencer) (المترجم) لعقود عديدة، اقتصر دور النساء داخل الخدمة السرية على الأعمال الإدارية والمكتباتية. ولكن في عام 1997 بدأت أمانة سجلات تعيش في الهند مع زوجها الدبلوماسي في تنفيذ مهمات صغيرة لـ MI5. وفي لندن في بداية السبعينيات وضعت اسمها على خطاب مفتوح تطلب فيه الترقية. كان الخطاب يقول «لماذا لا تصبح النساء ضابطاً مثل الرجال؟» وبعد عقدين من الزمان أصبحت ستيرلينج ريمington Stella Rimington، أول امرأة مدير عام للخدمة السرية.

● بعد تقاعدها عام 1999، أصبحت «ماركس أند سبنسر Marks & Spencer». وكاستغلال غير مألوف لها، أنها الاستخبارات، كانت تكتشف السوريزان أثناء تجولها بين مزارع الكويس ماركيت وتبلغ النتائج للمقر الرئيسي.

● و«ريمجتون»، هي ملهمة شخصية «إم إم إس إم» التي قدمتها «جودي ديتش» في أفلام «جيمس بوند». وقد وصفت «ريمجتون» لتصوير الشخصية بأنه «مبهمة»، وأضافت بأنها كانت، «جيدة جداً جداً. بل إنها تمسك يديها كما يفعل... ■

كان الإسرائيليون قد هدموا بالفعل العديد من المنازل والمباني قبل أن تقرر «راشيل» الذهاب إلى هناك



راشيل كوري

في السادس عشر من مارس

عام ٢٠٠٣، سحقت «كوري»، الطالبة

الأمريكية (٢٣ سنة)، تحت جرافة تابعة

للجيش الإسرائيلي في غزة، كانت

تقوم بتسوية الأرض وهدم

منازل الفلسطينيين.



جـوئل بينين

Joel Beinin

أن منظمي المهرجان استقدموا غير يهود «لجنة الأصدقاء الأمريكيين، وسندني كوري»، إلى داخل المجتمع اليهودي ليشهدوا شيئاً يخجل منه كثير من أعضاء هذا المجتمع.

جلب مقتل «راشيل كوري» مجموعة كبيرة من التحقيقات الصحفية، وكلها تدور في الظاهر حول الاستعراض المتفحص لروايات الناشطين من زملائها في «حركة التضامن الدولية International Solidarity Movement» الذين يقولون بأنها قد اغتيلت، والرواية المنافسة لدولة الإسرائيلية التي تفضل اعتبار النهاية المبكرة لحياتها «حادثة مؤسفة». وقد تشككت بعض الروايات الإعلانية في التحقيق الداخلي للجيش، بعكس روايات أخرى. وقد بدأ أن بعض المراسلين أكثر توقفاً لإشعال النار في نشطاء «حركة التضامن الدولية» الذين كانوا موجودين وقت الحادث، أكثر الذين كانوا موجودين تماماً مع الهجوم المضاد الذي قام به الجيش الإسرائيلي نفسه، «نحن نتعامل مع مجموعة من المحتجين الذين يتصرفون بلا مسؤولية على الإطلاق معرضين الجميع للخطر. الفلسطينيون وهم أنفسهم ووقائنا - عن طريق تعمد التواجد في مناطق القتال». وبالتالي للجيش، «فرغم ما تردد من تعهد «أرييل شارون» رئيس الوزراء الإسرائيلي للرئيس

الجيش الإسرائيلي - قد يزعج بعض المشاهدين اليهود. ولكنهم في الغالب لم يكونوا متاهبين للاعتراضات الحادة، بل الهستيرية، للمنظمات الرسمية في المجتمع اليهودي بـ «منطقة باي Bay Area»، ويالنظر إلى تاريخ مهرجان سان فرانسيسكو للفيلم اليهودي، فمن الصعب أن تخيل أن تلك المنظمات كانت منزوعة في الأساس بسبب مضمون الفيلم. من المؤكد أنها قد ادخرت أقوى لغة لديها للهجوم على المشاركين في رعاية عرض الفيلم، «الصوت اليهودي للسلام Jewish Voice for Peace»، ولجنة خدمة الأصدقاء الأمريكيين American Friends Service Committee»، ولقرار منظمي المهرجان دعوة والدة «راشيل»، سيندي كوري Cindy Corrie، والتي لقبوها بـ «مشتتة إسرائيل» للمشاركة في جلسة أسئلة وأجوبة بعد إضاءة الأنوار.

ولكن الغضب الشامل ضد الانتقاد إسرائيل، هو تفسير غير مقنع لغضب المنظمات اليهودية، حيث قامت منظمة «الصوت اليهودي للسلام»، في السابق بالمشاركة في رعاية أفلام في المهرجان، كما أن «كارميلي يولاك»، ومنحتج أفلام يهودا آخرين انتقدوا سياسات الاحتلال الإسرائيلي بعبارات أكثر حدة بكثير من أي شيء قاله أي شخص من عائلة «كوري» في هذا السياق. ربما تكمن المشكلة في

السلمى للفلسطينيين ولإيديهم في إسرائيل وخارجها لإيقاف بناء الجدار الإسرائيلي الفاصل في إحدى قرى الضفة الغربية. كما عرض المهرجان في السابق فيلمين لـ «سيمون بيتون» Simone Bitton، المواطنة مغربية الأصل صاحبة الجنسية الإسرائيلية-الفرنسية المزدوجة. الأول هو، محمود درويش، لغة الأرض Mahmoud Darwish: The Land as Language (١٩٩٨)، وهو فيلم سيرة ذاتية لمجد خليفة الشاعر الفلسطيني الراحل. والثاني «جدار Wall» (٢٠٠٥)، عبارة عن تحقيق غير مجامل من الجدار الفاصل.

إن العمل الجديد لـ «بيتون»، فيلم «راشيل» (من إنتاج شركة سينتي-زوت براموش Ciné-Sud Promotion عام ٢٠٠٨) لم يتم توزيعه بعد. ولكنه عرض فقط في مهرجانات الأفلام في برلين وباريس ونيويورك وساراييفو وتورنتو وغيرها. ولم عرضه في خريف عام ٢٠٠٩ في مهرجان حيفا للأفلام في إسرائيل. وقد تم عرضه في الخامس والعشرين من يوليو والرابع من أغسطس في مهرجان سان فرانسيسكو للفيلم اليهودي. من المؤكد أن مجلس إدارة المهرجان كان يعلم أن عرض فيلم «راشيل» الذي يناقش الموت والجيش لـ «راشيل كوري» Rachel Corrie، وهي ناشطة سلام أمريكية تبلغ من العمر ٢٣ عاماً، على يد

«جـوئل بينين» جرى لتضخيم مهرجان سان فرانسيسكو للفيلم اليهودي. الأقدم من نوعه في الولايات المتحدة - كتمرّد ضد الحكمة المعتادة. ومنذ العام ١٩٨٠، روج المهرجان للأفلام اليهودية المستقلة التي تفتد تصوير هوليود التقليدي للحياة اليهودية، وخاصة التركيز المتباكي البالغ فيه على الفخن الواقع على اليهود، وقدم بانتظام «بدائل للنظرة المعتادة غير الانتقادية للرواية في المجتمع اليهودي الأمريكي للحياة والسياسة في إسرائيل». وقد تفاعل جمهور المهرجان - ومعظمهم من اليهود - بإيجابية مع هذا التوجه، حتى في عام ٢٠٠٥ عندما قرر المنظمون عرض فيلم المخرج الفلسطيني «هاني أبو أسعد»، «الجنة الآن Paradise Now»، الذي يدور حول التصحيرات الانتحارية.

كما يرحب المهرجان أيضاً بالمخرجين المبدعين اليهود الإسرائيليين المتقدين. ففي عام ٢٠٠٨، قدم إلى سان فرانسيسكو المخرج الإسرائيلي «شاي كارميلي يولاك» Shai Carmeli Pollak، تعرض فيلمه «بلعين جببتي»، الذي يسجل الكفاح

فيلم Rachel «راشيل»

إخراج: Simone Bitton

Cine-Sud Promotion - 2008

ترجمة: عادل هتحي

قتلت، كوري، بينما كانت تقف بدون سلاح أمام منزل الصيد في فلسطين، سمير نصر الله،
في محاولة لمنع الجرافة من إزالته

.. وأيضا في سان فرانسيسكو

الأمريكي، جورج دسليو بوش، بإجراء تحقيق شامل وموثوق وشعاف، فلم يكن تقريبا مسموحا بأى إشراف خارجي ولم تستطع منظمة «مراقبة حقوق الإنسان Human Rights Watch»، التي ضمنت فقرة عن «كوري» في تقرير وضع في يونيو ٢٠٠٥ من التحقيقات العسكرية الإسرائيلية الفاصلة. أن تعلن عن رأيها في كيمية وفاتها، ولكنها استنعت أن «الزراعة والحرفية للتحقيق الإسرائيلي في وفاة كوري، مشكوك فيهما إلى حد كبير». وفي جميع الأحوال، لم يكن هناك خلاف يذكر حول الحقائق التالية

في السادس عشر من مارس عام ٢٠٠٣، سحقت، كوري، الطالبة في السنة النهائية بكلية ولاية إيفرجرين Evergreen State College في مدينة أولمبيا بولاية واشنطن الأمريكية، في شقة تحت جرافة تابعة للجيش الإسرائيلي. كانت الجرافة العملاقة من طراز، «كاترييلار D، 9، Caterpillar»، والتي جهزتها إسرائيل مالدرو تقوم بتسوية الأرض وسدم منازل الفلسطينيين في مدينة رفح عبر محور فيلادلفيا. وهو الطريق الذي يمر بجوار الحدود بين مصر وقطاع غزة. كانت العديد من المنازل والمباني قد دُمرت بالفعل لخلق مساحة فارغة استعدادا لبناء حائط على الحدود. كانت «كوري» تعمل مع «حركة التضامن الدولية»، وهي منظمة مكرسة للعمل السلمي المباشر بالتضامن مع الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال العسكري. قتلت، كوري، بينما كانت تقف بدون سلاح أمام منزل الصيد في فلسطين، «سمير نصر الله».

في محاولة لمنع الجرافة من إزالته، يصور فيلم «راشيل» مصورة مؤثرة للعابة «راشيل كوري» كإسنان وكمنطوقة في «حركة التضامن الدولية» وعلى الرغم من شباب أية استنتاجات مؤكدة، يعد الفيلم أيضا أكثر التحقيقات التي أجريت شمولاً ومصداقية وشعافية حول كيفية مقتلها على وجه التحديد ومن هو المسؤول عن ذلك. وكما كتبت «نيون» في إحدى صفحات «الديفيس بوك



Facebook، «المكرسة لفيلم «راشيل» فإنه يحقق معضا

مما كان يجب أن تتعلمه محكمة، من إخضاع رواية دولة إسرائيل عن مصرع كورى، للتحقق تحت المجهر.

تركز سيمون بيتون، في البداية على الأسابيع الماضية لأحد عشر من حياة كورى، وأصحابها الذين ذهبوا إلى غزة، وعلاقتها بالعديد من الفلسطينيين التي أصبحت شديدة القرب منهم. ونشاط، حركة التضامن الدولية، في رفع. لقد ولدت الحركة في ربيع وصيف عام ٢٠٠١. في خلال الأسابيع الثلاثة الأولى من الانتفاضة الثانية التي اندلعت في أعقاب زيارة «راييل شارون، لـ «جبل العبد» الحرم الشريف، في سبتمبر عام ٢٠٠٠. كانت صحيفة «سماريزم، اليومية الإسرائيلية اليومية» قد نشرت أن القوات الإسرائيلية أطلقت مليون رصاصة على المظاهرات الفلسطينية العزل في غلبيتهم. وقد انهم هذا المظهر من الرصاص قبل وقوع أية تشجيرات انتحارية أو أعمال إرهابية أخرى داخل إسرائيل في حدود ما قبل عام ١٩٦٧. (كان آخر تشجير انتحاري قد وقع عام ١٩٩٨).

وفي مواجهة هذا، الخلل في موازين القوة، توصل «غسان أدنوني، وجورج ريشماري، وهوديد عراب، وغيرهم إلى فكرة أن حضورا دوليا سلبيا ربما يحسم الفلسطينيين من وحشية الجيش الإسرائيلي. كما اعتقدوا. بالإضافة إلى ذلك، أن الشهود الدوليين الذين يكشفون عما راوا وسمرو به يمكن أن يزيدوا من الوعي العالمي والنشطة الإعلانية للصليب الإسرائيلي. وقد وصل أول فريق تابع لـ «حركة التضامن الدولية، إلى فلسطين في أغسطس عام ٢٠٠١. كانت كورى، مشاركة متحمسة، وقد كانت لعائلتها في هناك، إن حضورى إلى هنا هو من أفضل الأشياء التي فعلتها في حياتي، ويشمل تكرار تلك الكلمات، المعمل لحظة تمزق القلوب، حيث يعلم المشاهدون، «راشيل كورى، ستوم بعد قليل

يولى فيلم «راشيل، اهتماما دقيقا بالظروف التي أحاطت بمصرع البطله ومثل محقق جنائى، هانم «بيتون، جميع الشهادات الشفهية والوثائق والصور ومقاطع الفيديو الخاصة بالقبضات ولا تسمح في الفيلم سوى «صوت أولئك وشيئى الصلة بالوضوح: رصاصة كورى، في «حركة التضامن الدولية، والأصدقاء الفلسطينيين، والمصممين في رفع، وأدنوني، المشاركون في تأسيس الحركة، وضابط الجيش الإسرائيلي الذي حقق القضية، والمحقق

الحنانى من تل أبيب الذي فحص الجثة، و«جوناثان بولاك Jonathan Pollak، عضو الجماعة الإسرائيلية «فوضويون ضد الجدار» Anarchists Against the Wall، (وشقيق منتج الفيلم «بلعين حبيبتى،») الذى استضاف رصاصة كورى، بمنزله في تل أبيب بعد مصرعها. ويسمع في الفيلم أيضا صوت «راشيل كورى، البريد الإلكتروني التي أرسلتها لعائلتها لا توجد في الفيلم بيانات سياسية مجردة. وتجري مقارنة الشهادات المتناقضة. ومن الملاحظ أنه من بين جميع من جرت معانوتهم فإن «آدنوني، هو الوحيد الذي يعتبر أنه ربما تحمل جزءا من المسؤولية عن مصرع كورى، ناظر إلى أنه قام بتدريتها وأرسلها إلى رفع. ومثل محامى، تواصل «بيتون، استجواب الشهود دون مراعات للمسكة أو استخلاص دلائل شهادتهم. ويجعل هذا الأسلوب من الفيلم سحرا وتلقيا قويا لتجاوز قيمته كثيرا تعاطف، «بيتون، الواضح مع كورى، وتشككها في الرواية الرسمية

إن تلك الرواية: «من الواضح أن مصرع الأئمة كورى، لم يقع كنتيجة لعمل مباشر من قبل الجرافة أو مرورها فوقها، لا تصمد أمام عسدة «بيتون، وأمام الكاميرا، يصير ضابط الشرطة العسكرية الإسرائيلية الذى قاد التحقيق عن ظلال من الشك في استنتاجاته، فهو يعترف أنه لم يزر موقع منزل «نصر الله، واعتمد أساسا على شهادة الجنود. ومن بين الشهود الذين لم يستجوبوه كان متطوع «حركة التضامن الدولية، الذين شاهدوا - مسافة لا تزيد على عشرة أمتار، الجرافة تدس كورى. - لم يؤكد أن زميلتهم قد دمست من قصد تمام. ليس مرة واحدة، بل مرتين، أما الأدعاء الرسمية بأن سائق الجرافة لم ير كورى، لأنها كانت خلف كومة من التراب فقد دحضه تماما شرطت فيديو للجيش الإسرائيلي تظهر فيه كورى، واهقه فوق قمة الكومة مرتدية معظفا يرتقالي اللون عاكسا شديد الوضوح بينما كانت الجرافة تقترب.

في أبريل عام ٢٠٠٣، نشر المركز الإسرائيلي الوطني لحقوق الإنسان الشرعى تقرير تشريح يرجع مصرع كورى، إلى ضغط على الصدر (إقتناق) مع كسور في الضلوع وفقرات العمود الفقري بالظهر وعقطة الكتف وجروح خفيفة في الرلة اليمنى مع نزيف في الجاويش

العشاء البللورى. كيف يمكن لهذه النتيجة، لقد سحقت حتى الموت - أن تستقيم مع الجرم الواضح للشرطة العسكرية بشأن الجرافة؟ ونظرا لأن المحقق الجنائى الذى أجرى التشريح لم يدخر جهدا في الشرع - «بيتون، فمن الممكن أن تكون كورى، قد قتلت بسبب ثقل التراب على جسدها عندما مرت الجرافة فوقها. وحيث أنه لم يكن هناك ما يدل على أن المعدن قد لأمس جسدها، فإنه لم يستطع أن يستنتج أن الجرافة نفسها قد قتلتها.

لم يكن السلوك المريب من نصيب السلوفين الإسرائيليين فقط، ويستمر الفيلم في توضيح ذلك، يعترف الطبيب الشرعى بحق أسرة كورى، في حضور التشريح: ونظرا لعدم شكتهم من الحضور كان من اللائق أن ترسل السفارة الأمريكية في تل أبيب مندوبا عنها. ومع ذلك وزعم طلب عائلة كورى، أن يشهد

ذلك وزعم طلب عائلة كورى، أن يشهد

يعد الفيلم أيضا أكثر التحقيقات التي أجريت شمو لا ومصداقية وشفاية حول كيفية مقتلها على وجه التحديد ومن هو المسئول عن ذلك



مسئولو السفارة إجراء التشريح. فقد أخبروا المحقق الجنائى بعدم اهتمامهم بذلك، ولذلك قام الطبيب الشرعى بالعمل وحده.

حاولت عائلة كورى، بإلحاح دفع حكومة الولايات المتحدة لفتح تحقيقها الخاص. وقد حصل قرار قدمه مشتهم في الكونجرس النائب «بريان بيرد Brian Bard، (نائب ولاية واشنطن عن الحزب الديمقراطي) يطالب فيه وزارة العدل بفتح تحقيق، حصل على ٧٨ مؤيدا، ولكن القرار دفى في إحدى الجلسات. وقد أخبر

«جون مكاي John McKay، المحامى العام الأمريكى الأسبق لمنطقة غرب واشنطن وأحد ثمانية محامى عموم أمريكيين هضمتهم إدارة بوش عام ٢٠٠١، عائلة كورى، «إن يكون هناك أبدا تحقيق أمريكى في قضية «راشيل». وقد طلعت الحكومة الأمريكية عازفة عن التدخل رغم موقفها الخاص الذى لم تتراجع عنه أبدا، والجميل في خطاب إلى عائلة كورى، من مسئول وزارة الخارجية الأسبق «لورانس ويلكرسون Lawrence Wilkerson، بأن التحقيق الإسرائيلى كان قاصرا.

هل تعتمد سائق الجرافة، الذى أبقى الجيش الإسرائيلى اسمه على الكتان، قتل «راشيل كورى؟ لقد ظل الفيلم معابدا في تلك النقطة، فبطحا لا كثرته «بيتون، «إن الجريمة المتعمدة التي يتعرض لها فيلمي ليست مصرع «راشيل كورى، إنها تدمير المجتمع لأحياء باكلمها، والتي تتم مع العلم بأن من سيقبون في منازلهم أو يحاولون الدفاع عنها سيلقون حتفهم أثناء العملية. ويكمن لعمره أن يصرح بوضوح أين يؤدي بنا ذلك، فيعد ست سنوات وفي نفس البقعة، كما نفس الجرافة يقتل المئات من الضحايا الإسرائيليين في عمليات قصف يفترض أنها دقيقة التصويب. فالأيوم وصلنا إلى المحصلة النهائية: فجميع المدنيين الفلسطينيين، وكذلك كل من يسعى لتقديم المعلن لهم، هم ضحايا متضامون محتسولون، والحديث عن جرائم الحرب أو الإشارة إلى التفاقيات جنيف يجعله تبدو ساذجا وعتيقا. لقد دوت تلك الكلمات في بداية عام ٢٠٠٩، إثر «الحرب الشاملة الإسرائيلية على «حماس وأمثالها، في غزة، وهي العملية التي خلفت ما يزيد على ألف قتيل فلسطيني أعزل، ولكن الكلمات كانت صالحة لعام ٢٠٠٣ أيضا. فقد بدأ الجيش في تدمير مجموعات كاملة من المنازل في رفع لإغلاق نفس أنشاق

الإعدام العنبرية المحدود التي انتفض أمرها أثناء حرب غزة عام ٢٠٠٦.

ما قيمة حياة واحدة؟

إن مما يقلق بال شك عمل فيلم يركز على حياة وموت شابية أمريكية واحدة بينما قتلت إسرائيل آلاف الفلسطينيين غير المختطفين منذ اندلاع الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧. أحد المبررات أن كلا من التقاليد اليهودية والإسلامية تؤكد على أن قيمة حياة كل إنسان هي مطلقة بنفس القدر، ومبرر آخر هو شهادة الجندي الذي يقول «لم تكن تعلم أنهم أجانب، اعتقدنا أنهم فلسطينيون». هل يشير ذلك إلى أنه لو كانت «راشيل كوري، فلسطينية، فإن قتلها كان سيكون أمراً رزوتينياً؟ هل كان الإعلام العالي سيقى غافلاً عن ملاحظة مصرعها، وخاصة أن أي تحقيق كان سيكون - في أفضل الأحوال - غير مهال؟ إن سجل إسرائيل في المناطق المحتلة ورد فعل الإعلام التجاري تجاهها يشير إلى أن هذا الحس ليس مستبعداً. ومع ذلك، فإن رد الفعل لمصرع كوري، لم يكن قويا أيضاً. حتى قتلت «كوري»، لم تكن «حركة التضامن الدولية» تتصور أن يقدم الجيش الإسرائيلي على قتل أجانب، وفي الواقع، كانت «كوري، الأولى من بين العديد من الصحابيا الأجانب» في الحادي عشر من أبريل عام ٢٠٠٣ قتل شاب ناشط آخر من الحركة - «توم هيرندال Tom Humdal». برصاصه في رأسه في قطاع غزة بواسطة قناص إسرائيل يدعى «تيسير الهيب»، وهو يدعى ويخدم العديد من أفراد عائلته في الجيش الإسرائيلي». دخل هيرندال، في غيبوبة ومات بعد تسعة أشهر. وفي أبريل عام ٢٠٠٥، أدانت محكمة عسكرية إسرائيلية، الهيب، بالقتل الخطأ وإعاقة العدالة: وحكم عليه بالسجن ثمان سنوات. وبعد ذلك بعام، قررت هيئة قضائية بريطانية أن «هيرندال، كان ضحية قتل غير قانوني، ووفقاً لما ذكره محامي عائلة «هيرندال، فإن هذا التعبير القانوني يعني أنه قتل عمداً، أو اغتيال

في الثاني من مايو عام ٢٠٠٣، قتل بالبرصاص مخرج أفلام من ويلز - «جيمس ميللر James Miller»، على يد جندي إسرائيلي هو «التشيب هيب» الهيب. وقد توصلت الشرطة العسكرية الإسرائيلية إلى أنها لم تتمكن من تأكيد

أن طلقة «الهيب، هي المسؤولة عن مصرع «ميلر». ومع ذلك، عوقب التشيب بإدراية لانتهاكه قواعد الأخلاق، وتغيير رتبته عن الواقعة. وفي أبريل عام ٢٠٠٦، أصدرت هيئة قضائية تابعة لمحكمة جنائية في لندن حكماً بـ «القتل غير القانوني». وفي أغسطس عام ٢٠٠٧، صرحت جريدة «هارتس»، اليومية الإسرائيلية أن المحامي البريطاني العام كتب إلى نظيره الإسرائيلي يطالبه بإجراء تحقيق جنائي، على أساس أن اختيارات القذائف التي أجريت في إسرائيل «تظهر فقط أن الرصاصة التي قتلت «جيمس ميلر، لم تخرج من حواشير بندقية السلاح الذي جرى فحصه». وتأسس على تحليل القذائف التي أجراها البريطانيون، فإنهم يعتقدون أن الإسرائيليين قد اختبئوا البنادق الخطأ أو حتى قاموا بتغيير مسأورة السلاح المقصود. ولم تقدم إسرائيل التحقيق، الهيب، للمحاكمة.

كانت هناك أيضاً عمليات إطلاق رصاص غير قانونية، ففي الخامس من أبريل عام ٢٠٠٣، أطلقت قوات إسرائيلية عدة طلقات من رشاش آلي في وجه «برون أفيري Brian Avery»، وهو متطوع أمريكي من «حركة التضامن الدولية»، في مدينة «جنين»، بالضفة الغربية. وقد حملت الطلقات فكه وسحرج عينه، ورفع «أفيري، قضية تعويض في الأضرار. وقد رفض الجيش التحقيق في القضية، زاعماً أن أحداً من الجنود لم يبلغ عن الواقعة. وفي فبراير عام ٢٠٠٥، أمرت المحكمة العليا الإسرائيلية الجيش بإعادة فتح التحقيق. وفي نوفمبر عام ٢٠٠٨، توصل «أفيري، إلى تسوية خارج المحكمة بقيمة مائة وخمسين ألف دولار. ومُخراً، في الثالث عشر من مارس عام ٢٠٠٩، أصيب «ترستان أندرسون Tristan Anderson»، من أوكلاه - كاليفورنيا، بقتل خاطئ في المعارك في قرية «تلين»، بالضفة الغربية، عندما أطلقت القوات الإسرائيلية على رأسه نوعاً جديداً من صواريخ القذائف المدممة عالية السرعة، والتي تستخدم منذ شنت إسرائيل هجومها على غزة في ديسمبر عام ٢٠٠٨، كان «أندرسون، يتظاهر مع القرويين والإسرائيليين والأجانب مع الحدار المواصل الذي تبنيه إسرائيل والذي سيضم بالفضل ربع أراضي «تلين». وقد أصيب أحد سكان «تلين» في نفس المظاهرة بطلقة في ساقيه بالذخيرة الحية. وما زال «أندرسون، راقداً في حالة حرج، غير أن المؤكد توقع شفائه على المدى الطويل.

لا يتعرض هيلم «راشيل، لثلاث إصابات أو يحاول تقييم تأثير تدخل «حركة التضامن الدولية» في الصراع الإسرائيلي- الفلسطيني على المدى الطويل. وبين أن أي شكل من المقاومة، السلمية أو المسلحة - لم يستطع دفع إسرائيل عن ذبح المدنيين في قطاع غزة في شتاء ٢٠٠٨-٢٠٠٩. فربما كان من الإنصاف القول بأن أهم تأثير لأنشطة المتطوعين أنفسهم، يستكشف الفيلم بإيجاز تنوع الدوافع الشخصية والسياسية التي آلت بـ «راشيل كوري، ورملائها إلى فلسطين. من بين تلك الدوافع، المثالية غير الواعية والسنداجة الشابة (وأنى يتفوقون هم أنفسهم بها بالنظر على ما حدث في الماضي). لم يكن أي منهم، خبيراً، بتاريخ الصراع أو أدرك بصورة شاملة تعقيدات المجتمع الفلسطيني الذي أقعوا أنفسهم فيه.

«يحقق الفيلم

بعضاً مما كان يجب

أن تفعله

محكمة» من إخضاع رواية

دولة إسرائيل

عن مصرع «كوري، للخص

تحت المجهر

في

في

في

في

في

في

في

في

في

في

في

في

في

في

في

في

في

في

في

في

ولكنهم تعلموا الآن درساً عبراً. أي شخص يقف في طريق إسرائيل قد يتعرض للقتل.

تجاوز خط أحمر

بينما يتعرض «غسان أنثوني، ويضع أعصاه، حركة التضامن الدولية، للفكر النقدي لمصرع «راشيل كوري». تحدثت المؤسسات الرسمية للمجتمع اليهودي بمنطقة «باي، للاعتراض على ذلك. من المؤكد أن المؤسسات اليهودية الرسمية لم تكن متاهة لتأخذ في الاعتبار تمسير «جوناثان بولان، لاستعدادة استضافة متطوعي «حركة التضامن الدولية»، بمنزله، «لم أسمع الغيش في هذا المكان دون مقاومة. ليس فقط باللسان، وإنما بالفعل. قد أصيب «بولان، وهو يهودي إسرائيلي - عدة مرات على يد الجيش الإسرائيلي أثناء تظاهرة سلمية في جندي على رأسه عبوة غاز مسيل للدموع مسببة له نرفينغ داخلين بالدماع وجرح احتاج ٣٣ غرزة. وحيث إن المؤسسات اليهودية لم تثر في الماضي احتجاجاً ضد أفعالهم ضد شخص القدس من الاستفزاز، فربما كان رد فعلهم «المنفي تجاه عرض فيلم «راشيل، نوعاً من التحسن. بعد الإذانة الدولية الواسعة لهجوم الإسرائيلي على قطاع غزة.

وقد بدأت المواجهة في المجتمع اليهودي بمنطقة «باي، بمقالة في الجريدة اليهودية الأسبوعية، التي أثار سخطها على وجه الخصوص أنه في غياب «سيمون بيتون، فإن «سيندي كوري، قتلت الأسئلة بعد العرض. كتبت جريدة «آر، «بعد ظهور «سيندي كوري، تجاوزوا لخط أحمر. إن مهرجان الفيلم اليهودي ليس ملزماً بتقييم ميكرومولي كحكمة إسرائيل. تشير الجريدة إلى أن هناك - ويجب أن تكون هناك - خطوط، تعين حدود «الحوار المقبول» داخل المجتمع اليهودي. استخدمها عبارة المدير التنفيذي للمهرجان، «بيتر شتاين Peter Stem». أثناء العرض، تبذرت مربية مثل الموهوب الكارثي - «الأنشطة المعادية لأمریکا». ولم يوضح المحررون لماذا اقترضوا أن «كوري، الأم كانت «مكرهه إسرائيل».

وبينما منحت جريدة «آر، لنصها الحق في تحديد الخطوط الحمراء، صغطت المؤسسات الصهيونية اليهودية



ما يبدو متهمين لكلمات «كوري»
عموما.

إن الشهود



هل أصبحت فرنسا بدا محرقة

من الكتب التي تستمد السياسة الإسرائيلية بقسوة، لا سيما تلك المتعلقة بطرد الفلسطينيين ما بين عامي ١٩٤٨ و١٩٤٩، فقد صدرت في فرنسا سواء عن دور النشر الكبرى أو الأقل أهمية، بدءاً بكتاب ايلان مانييه، التطهير العرقي في فلسطين، (الصادر عن دار نشر فايبار Fayard) التابعة لمجموعة أنشيت Hachette)، وحتى كتاب دومينيك بيدال، كيف طردت إسرائيل الفلسطينيين،، فهذا الكتب، شأن الكثير غيرها، لا سيما تلك التي أنجزها ما حوّن متخصصون، تسلط الضوء على السياسة الإسرائيلية في الأراضي المحتلة

أما المسألة الأكثر حساسية في فرنسا، فهي مسألة جماعات الضغط أو اللوبيات، فلقد تنامي لدى فئة من النشطاء والصحفيين خوف من تناول بعض الموضوعات معينة، خوف يتجلى ما إن يتبادر الحديث إلى الدور الذي يلعبه اليهود، خاصة أن عوامل الجهل، والعدم الثقافية، وسوء النية، والتحيز، تتمازج كلها بهدف الخلط بين معاداة السامية ومعاداة الصهيونية، فتمتد اتجاه إخفاء مجمل النشيط المقعد الذي تتسمه العلاقات بين الصهيونية، واليهودية، واللاسامية، وإلخفاء ذلك الرضى الذي أظهرته طوال عقود طويلة لسلية يهود المانيا أو بريطانيا أو فرنسا أو البلدان العربية إزاء المشروع الصهيوني. وفي المقابل، ثمة إصرار على النظر إلى كل انتقاد موجه لإسرائيل على أنه شكل من أشكال اللاسامية المستترة. ولقد أدت الدهوشة المقامة ضد الصحفى دانييل ميرسي وسد الفكر - اليهودي - الكبير أدمور، والعمليات الإعلامية العدائية التي استهدفت رسام الكاريكاتير سينيه، أدت إلى خلق مناخ فاسد، وإلى تكريس شكل من أشكال الحرمات المعمورة

وهو ما لا يعنى بالضرورة أن كل أولئك الذين يكافحون هذا المحظور هم دائماً أناس محترمون. ففي فرنسا قد يلجأ جاس مارى لو بن رعيم اليمين المتطرف أحياناً لأن يبدو كمدافع عن العرب أو كمنشقد لإسرائيل لكي ذلك لا يفضي حقيقة كونه رجلاً خطراً. وكذلك عندما استضاف الممثل الهزلى ديدودنيه، في عرسه المسرحي السيد، «روبير فوروسون»، أحد المروجين في فرنسا لإفكار المحرقة ولرفض حقيقة إبادة اليهود، لم يرتكب ديدودنيه خطأ فحسب، وإنما هو أيضاً قد أصر بصالح القضية الفلسطينية مهما كتب الفكر الأمريكى الفلسطينى الكبير أدمور سعيد . إن الفكرة التي تذهب إلى أن المحرقة ما هي إلا صناعة من اختلاق الصهيونية تروج هنا وهناك بصورة غير مقبولة. فكيف نتوقع من العالم أجمع أن يشعر بالآنا



لم يجد الكاتب الفرنسي بول ايريك بلانرو ناشراً «فرنسياً» يرضى أن ينشر كتابه الأخير عن «ساركوزي وإسرائيل واليهود، فاضطر في نهاية المطاف إلى أن يلجأ لدار نشر بلجيكية لتتشر الكتاب وهو ما أحدث جدلاً واسعاً في فرنسا حول اللوبي اليهودى وحرية التعبير في بلد كان يرمز أساساً لحرية الفكر والتعبير. الكتاب الذي بات معروفاً بالكتاب المنوع يناقش فيه كاتبه مدى تغفل التأثير الصهيونى الاسرائيلى في دهاليز صناعة القرار الفرنسى.

المفكر الفرنسى اليسارى المعروف آلان جريش علق على الكتاب في مدوّته التي أصبح يعتجدها منبراً رئيساً لأفكاره وآرائه، فكان أن طلبت منه «وجهات نظر» أن يكتب لها مقالاً يبسط فيه رأيه. وهو من أكثر المثقفين الفرنسيين انشغالا بشأن الصراع العربى الإسرائيلي.. فكان هذا المقال الذى ننشره بجوار مقال كنا قد طلبنا من بلانرو (مؤلف الكتاب) أن يكتبه لنا حول كتابه والحدل حوله.

المحرر

== يمد كتاب «ساركوزي وإسرائيل واليهود، الذى صدر مؤخراً من دار نشر «أوزي دير، والبلجيكية (Oser Dire)، للمؤلف بول ايريك بلانرو، كتاباً مثيراً للاهتمام على عدة أصعدة فهو يمس في ذات الوقت مسألة حرية التعبير في أوروبا، ودور الطوائف واللوبيات في فرنسا، وسياسة باريس الخارجية. ولنتناول - أولاً- مسألة حرية التعبير، فهذا الكتاب، الصادر في بلجيكا، لم يجد ناشراً في فرنسا. كما رفض الموزعون الرئيسيون هناك توزيعه. بيد أن هذا الكتاب، بغض النظر عن الرأى السائد حوله، ليس فيه ما يضى بمعاداة السامية، بل إن ذلك الرافض من شأنه - من طرف حقه - أن يفضي مصداقية على الفكرة القائلة بتعتز توجيه النقد لإسرائيل في فرنسا، وهو ما يجاها الحقيقة تماماً، فالعديد

Sarkozy Israel et Les Juifs
Paul-Éric BLANRUE
Oser Dire (Marco Petteur Eds)
208pp, 15.20 Euro

ترجمة: داليا سعودى

آلان جريش

Alain Gresh

«إن الفكرة التي تذهب إلى أن المحرقة ما هي إلا صناعة من اختلاق الصهيونية فكرة تروج هنا وهناك بصورة غير مقبولة. فكيف نتوقع من العالم أجمع أن يشعر بالآنا نحن كعرب إن كنا نحن غير قادرين على أن نشعر بالآنا الآخرين، حتى وإن كان الأمر يتعلق بمضطهديننا...»
لكن القول بأخذ المحرقة بعين الاعتبار لا يعنى أبداً أنه يتحتم علينا القبول بفكرة استخدام المحرقة كذريعة لتسامحة الصهيونية فيما تقتترفه من شروء في حق الفلسطينيين».

أدمور سعيد

يخطئ الكاتب حين ينسب إلى ساركوزي المنعطف الذي شهدته السياسة الخارجية الفرنسية، خاصة فيما يتعلق بالشرق الأوسط

د. عبد الله

«مايا»، صاحب «إند بديصريح براسيكيه ووصفه بالمعاداة السامية».

ولم كان لي أن أصدد الانحرافات نفسها في جنوب إفريقيا، إذ كتبت في مقال سابق.

أما على إدارة المنظمات اليهودية (جنوب إفريقيا)، فلقد اعتمدت، في بيان لها، «تأييدها القوي لقرار الحكومة الإسرائيلية بشأن عملية عسكرية ضد حماس في غزة»، ثم ما لبثت الإدارة نفسها أن أدت استقراياها، بعد بضعة أيام، من أن ما قامت به من خلط بين اليهود وإسرائيل هي نفس الكفة قد أدى إلى إطلاق نداءات معادية للسامية عبر الإنترنت - وهي النداءات التي أدانتها بشدة المنظمات وحزب المؤتمر الوطني الإفريقي وعدد من المفكرين المسلمين والمنظمات المؤيدة للشعب الفلسطيني، فلسطين، «Regards sud-africains sur la Palestine» (مقال، نظرات جنوب إفريقية على فلسطين، ٢٠٠٩)، «وكانت، يبقى هذا الانتباها الذي يخلط بين «اللات»، اليهود، والصهيانية، وإسرائيل، متسقة سواء ما بين الساميين الحقيقيين أو بين مؤيدي إسرائيل الداعمين، ويظل المؤلف هنا جان بريكون قولاً، ينبغي ألا ننسى أن السياسة الإسرائيلية إنما ترسم باسم دولة تقول إنها يهودية، وإن تلك السياسة تحظى بتأييد منظمات تقول إنها تمثل اليهود (سواء كان ذلك باحث أو بايابلط) فكيف نطعم، في مثل هذه الأجواء، إلى عقد تحول كثير من الناس إلى معاداة اليهود؟ إن في ذلك إسرافاً في التحويل على قدرات النفس البشرية».

لكن ما من إسراف في التحويل على قدرات المفكرين واصحاب القرار السياسيين، لكن معاداة السامية، شأن أي صورة من صور العنصرية، لا يمكن قبولها، وتكون الانزلاق في مهوول السامية بعد الحليف الأمثل للحكومة الإسرائيلية التي تسعى لوضع علامة «يساوي» ما بين انتقاد السياسة الإسرائيلية، ورفض الصهيونية، ومعاداة السامية.

وفي معرض مناقشتها لدور اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة، يصدر ملادرو حكماً جلياً على عموم تشومسكي، إذ يتهمه بأنه يجعل خالفاً حينما يتعلق الأمر بتوجيهات إسرائيل. وهنا لا يقتضي المؤلف بإظهار جعل بكتابات تشومسكي بهذا الشأن، وإنما هو أيضا يفتق عن فهم معزى الجدل الذي يتسمه الحوار اليساري الراديكالي في أمريكا، فأراد أن يذهب إليه تشومسكي، ومفكر راديكاليون آخرون مثل جورج ميلر، يتنحس عن أن السامية الأمريكية كنس، أو لا يقلل كل شيء، مصالح الولايات

في المقابل، يخطئ الكاتب حين ينسب إلى ساركوزي المنعطف الذي شهدته السياسة الخارجية الفرنسية، خاصة فيما يتعلق بالشرق الأوسط. فهناك العديد من المؤرخين والباحثين الذين يؤيدون ساركوزي في عهده، جاك شيراك ولم تشهد أي تغيير مع وصول ساركوزي إلى الرئاسة. كما أن التحول لصالح إسرائيل كان يمكن أن يمتد منذ عام ٢٠٠٥، مع زيارة أرييل شارون لباريس، بالطبع. قام ساركوزي بتقوية هذا التأييد، ولكن ليس بصورة مبالغ فيها. (هنا، صوت فرنسا المشوش، La voix bruyante de la France - لوموند ديبلوماتيك، ٢٠٠٦).

هذا ويصعب الخلاص، إنشاء قراءة هذا الكتاب. من شور بعدم الراحة، فهو يبدو سلخياً في بعض أجزائه، ويتمتع على كثير من المصادر الموثوقة في الإنترنت (و هو ما لا يمثل مرجعاً يعتد به أو بهانا يوفق في قيمته مقالاً في جريدة)، كما أن الكثير من تلك المصادر بعيد تمام اليد عن الدقة. وحتى وإن كان المؤلف يناهز بنسبة عن الترويج للشكافة التي تدعى أن ساركوزي قد تم تعينه من قبل الموالين، فهل كان لزاماً عليه أن يخص صفحتين كاملتين لتلك الشكافة؟ ثم في صفوف قضية التبرع الذي تم في صفوف شبكات الاستخبارات الفرنسية بعد انتخاب ساركوزي، مكتوماً بالاستناد إلى مصدر واحد؟ (ولم جاء به ذلك الكتاب استند هذا التبرع الاشتراكيين من العملاء، ومؤيدي العرب، وكل من اكتشفوا طبيعة العلاقات التي تربط بين ساركوزي والمخاطفين الأمريكيين الجدد وبعض المنظمات الصهيونية) ثم من ذا الذي

يبحث أن تعينه برنار كوشنير وزيرا للخارجية يرجع بالأساس إلى نفوذ الشبكات الموالية لإسرائيل؟ فهنا أيضاً تعد أهواء كوشنير الجانحة عبر الأطلسي، وقادريه مع الولايات المتحدة، العامل الذي لعب دوراً أساسياً في اختياره.

غير أن الكتاب يحفل بالمخالفات، وبالتصريحات الخيرية لا لامتثالاً، وهو بحق كتاب محرج للمساواة التي يتجهتها المجلس النيابي للمنظمات اليهودية بفرنسا، CRIF، والرئيس الحالي وشارون. إلى أي جهة في الطبقة من مفهوم «الطفلة اليهودية»، وبين جميع ممارسات الحكومة الإسرائيلية، ثم راجع يتعجب من اختلاط المفاهيم في أدهان البعض حتى صارت كلمة اليهود - إسرائيل

فيعدوا صرح وشارون براسيكيه با ٩٥٪ من يهود فرنسا يساندون الجيش الإسرائيلي في هجومه على غزة، إنما كان يقصد باستيراد إسرائيل داخل فرنسا ويتحول إلى نزاع طائفي. ولقد أصاب فرانسوا كان، مدير تحرير أسبوعية

العودة إلى أرض الميعاد، فما الذي استجد اليوم؟

أم أنه يعني رفض توجيه أي انتقاد لسياسة الحكومة الإسرائيلية الحالية (أو لحكومات إسرائيل على تعاقبها)؟ هنا يقتصر رأي الكاتب إلى تمام الوضوح.

وقد أصاب بلانزو إذ أعرض عن استخدام تعبير اللوبي اليهودي، في معرض الحديث عن فرنسا. ممضلاً استخدام تعبير، الشبكات المؤيدة لإسرائيل، فمضلاً يشرح بإسهاب في الفصل الأول، لا توجد في فرنسا أية معاملة تلك التي تقوم عليها اليهودية في الولايات المتحدة. خاطفة اليهودية (و هو مصطلح لا يناهز عن إثارة الجدل حول صحته) طائفة منقسمة على نفسها، موزعة ومتفرقة، بلدها الحالي لا يبدئها البعض (ويلاصحي في المجلس النيابي للمنظمات اليهودية بفرنسا، CRIF) من أجل تخطيط الطائفة وتحويلها إلى أنه دعم لدولة إسرائيل، ويؤكد الكاتب أنه يرى أن مصطلح «الشبكات المؤيدة لإسرائيل»، شأنه أن يعبر بصورة أفضل تلك الحقيقة على تسلمها وتعظيمها، الحقيقة كما سيصعب لنا في كتابه.

سجد في هذا الكتاب عناصر جديدة بالاتجاه حول تأييد نيكولا ساركوزي للتقسيم الطائفي أو الغزوي للمجتمع (سواء بالنسبة لليهود أو المسلمين)، وهو تعامله مع إسرائيل، ويميل إلى إيجاد تماثل كامل بين جميع اليهود ودولة إسرائيل فهو الذي كتب عام ٢٠٠٤ «هل لي أن أذكركم بالتعلق القوي الذي يربط بين كل يهودي في فرنسا وبين إسرائيل، بوصفها وطنه؟».

وهناك أيضاً تعاضل تتعلق علاقات ساركوزي بالولايات المتحدة، ويهدد في العديد من الأدلة كبرى لا تم مؤرخاً من تعيين مستشاره باريس البلدي هاليري وهو سرج في منصب الممثلة الخاصة لفرنسا للشؤون الاقتصادية والتجارية والتجارة والتعبئة والبئية في عملية السلام في الشرق الأوسط، فهذه السيدة تشغل منصب مدبرة قبة فرنسا والتي تابعة للجمعية الأمريكية اليهودية (AJC)، وهي إحدى المنظمات اليهودية الأمريكية، وهو قد دعمها غير الشروط لإسرائيل، وتبدل تلك المنظمة الأمريكية جهداً نشاطاً بهدف تحويل المجلس النيابي للمنظمات اليهودية بفرنسا، (CRIF)، إلى لوبي على غرار النموذج الأمريكي.

لكنني أعتقد أن المؤلف يولي أهمية أكبر من اللازم للبعد الإسرائيلي على سياسة نيكولا ساركوزي، فالرئيس الفرنسي قبل كل شيء ولاؤه أمريكي، وهذا هو العامل الذي يتحكم في حركاته على الساحة السياسية والاقتصادية.

نحس كعرب إن كنا نحن غير قادرين على أن نشعر بالآلام الآخرين، حتى وإن كان يأخذ الحرفة بعين الاعتبار لا معنى أبداً أنه يستحق علينا القبول بغيره استخدام الحرفة كدعاية لشماحة الصهيونية فيما تقتصره من شروط في حق الفلسطينيين، ومن جهة أخرى، حينما يثار الجدل حول دور وسائل الإعلام الفرنسية في تناول النزاع الإسرائيلي الفلسطيني لا يمكن الاسترسال في تحليلات مبتسرة ومضلوعة عن سياقها التاريخي والسياسي، فهناك حرب يونيو ١٩٦٧، كانت الصدمة الفرنسية منبعا لإسرائيل بصورة هائلة (على عكس الموقف الذي اتخذه الجنرال ديغول والتشويصيون)، ويغير الحاجة إلى استرجاع كافة مراحل التطور الذي متنا فيما بعد، يمكن القول بأن وسائل الإعلام قد شهدت تطوراً مشهوداً في العقود اللاحقة هكذا، شاء الانتفاضة الأولى (١٩٨٦-١٩٨٧) وكذا مع بداية الانتفاضة الثانية، كانت وجهة النظر الفلسطينية تحظى بعرض موسع بل وبإصافه جيد - نحن نعتقدنا حقاً أن وسائل الإعلام مرتبطة بتأييد اللوبي اليهودي، فلن يسمنا أن نتوسع ولا أن نعرض أوجه التطور تلك.

ولكن، منذ بض سنين، ثمة انزلاق للإعلام نحو كفة إسرائيل، وذلك لسببين رئيسيين:

تنامي الموقف المؤيد لإسرائيل من جانب الحكومة الفرنسية (ويمكن رصد هذا التطور منذ عام ٢٠٠٥، منذ حكم حاك شيراك، وهو ما أراد قوة مع نيكولا ساركوزي)؛

تغير معاني قراءة النزاع، والفرع المتزايد إلى النظر إليه عبر عصة، التحارب على الإرهاب، والبعيد عن الغرب والإسلام، وهكذا لم يعد النزاع الإسرائيلي الفلسطيني مرعاً فاقنا بين محتل وشعب تحت الاحتلال.

هذا وتحتل القضية التي يطرحها ملادرو منذ الصفحات الأولى لكتابه، إذ يفتك، إذ صارت إسرائيل خارج نطاق النقاش الديمقراطي (في فرنسا)، وهو يتساءل: هل أصبحت فرنسا بلداً صهيونياً، ولكنه لا يصرر بالصمت ما يغمه ذلك التعبير العجيب، بلد صهيوني.

هل معناه هو تقبل شرعية دولة إسرائيل؟ ولكن على حد علمي، لم تقم أية حكومة فرنسية منذ ١٩٤٨، بما في ذلك حكومة الجنرال ديغول، بالتشكيك في هذه الشرعية، ولا ما ينطبق على كل الأحزاب الفرنسية الكبري باستثناء بعض اللحظات الخاطفة في تاريخ الحزب الشيوعي، فكل الأحزاب لم تعارض الصهيونية كثيراً بحسب علمي.



بول إيريك بلانرو

Paul-Éric BLANRUE

تعدير لا تشعرون بأننا متعاطفون معهم، ولقد علقت صحيفة "لير سيون" على تلك العبارة بقولها "إن الرسالة التي يوجهها ديكيلا ساركوزي رسالة بسيطة مفادها أنه لو تم له الوصول إلى الألبانيزه سيكون ذلك بمثابة نهاية عهد العقيدة الديجوبليه القائمة على ما يسمى بسياسة فرنسا العريضة".

وفي عام ٢٠٠٦، في واشنطن، في معرض خطاب عمومي آخر، عاود ساركوزي الهجوم على السياسة الخارجية التي ينتهجها شيراك. ولقد أكد إسرائيل سنجر، العضو في مؤتمر اليهود العالمي، أن "ما جاء على لسان الرئيس جورج ساركوزي من تصريحات أمام الرئيس جون بوش بشأن مكافحة اللاسامية، ومحاربة الإسلام الأصولي، وضرورة اتخاذ مواقف الداعمة لإسرائيل، ومكافحة الإرهاب الفلسطيني والتضامن مع الشعب الإسرائيلي، كانت في مجملها تصريحات خلق بها زعيم منظمة يهودية، (والأصح لو أنه قال "زعيم منظمة صهيونية")".

وفي اسمه بلوغ الحكم، راهن ساركوزي زعيمه على فكرة "الغوف"، التي تقطنها أعداد صغيرة من المهاجرين من ذوي الأصول المغاربية. وأن ذلك وزير للخارجية، لم يتردد في دعوة رجال من الشرطة الإسرائيلية لكي يشرحوا لزملائهم الفرنسيين كيفية إبعاد المقاتلين النازيين في الصحاري، وكأنهم يصدون دباباً من محبلة، جديدة وطوال حملته الانتخابية، استخدم ساركوزي المفردات والأبوابولوجية الخاصة بمؤيدي الصهيونية، ممن يخلطون خلطاً تاماً بين أن تكون "مغربية" لإسرائيل، وأن تكون "يهودية"، وهو ما يتيح لشكل العبارة تجنب أي نقاش جوهري، كانت الكلمة وسيلة لا انتداب الجاهلين القدامى أثناء الانتخابات، وهم في فرنسا يمثلون ثالث أكبر تجمع يهودي على مستوى العالم، ويذكر ما قاله وقتها رئيسيتان استرليني، العضو في حزب الاتحاد من أجل حركة شعبية (UMP) من أن ساركوزي هو "المرشح الطبيعي لليهود"، (والأصح لو أنه قال "المرشح الطبيعي للصهيانية")، وبوتلو ساركوزي الزبائنة، لنقى المصطف الحاد الذي سيقبل إلى فرنسا ترحيباً عظيماً من أبرز ممثلي اللوبي المؤاتي لإسرائيل ومن إسرائيل ذاتها. وهو ما عبر عنه اليهود أبلغت بقوله "إن وصول صديق بني أوطاننا إلى الحكم في فرنسا ليعيد في إسرائيل بمثابة "نعم، من نعم".

وفي شهر من عام ٢٠٠٧، ما كاد ساركوزي

لأن ساركوزي قد ارتدى لخدمة تلك الشبكات وقام باستخدامها في المقال لتحقيق مطامحه السياسية، فيصير ديماجوجية، استبعاد ساركوزي ذات الموضوعات التي عرف بها رئيس الجبهة الوطنية جان ماري لو بون، حتى وصل إلى سدة الحكم عام ٢٠٠٧ كما أنه قد اكتسب مناعة كاملة تحاربه مع اللوبي الداعم لإسرائيل في أمريكا وبين يديهم عنه في فرنسا، أولئك الذين كان لهم الفضل في حمايته من أي هجوم إعلامي موسع.

هذا يعود تاريخ ذلك التحالف إلى بضعة أعوام خالية، فمع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية عام ٢٠٠٠، أدرك ساركوزي مبلغ القوة التي اكتسبها اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة، وسمى لأن يتصلح بها. بأن استجلب إلى فرنسا كثيراً من الممارسات المادية عبر الطائفة، التي يتحتم على كل مرشح للترشيح الانصياع لأملاءات لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية (AIPAC) وفي أغسطس من عام ٢٠٠٤، نشرت جمعية Forward اليهودية الأمريكية مقالاً يقيس حجم النفوذ المؤثر للوبي الصهيوني على الأرواح الفرنسية، ومن بين الأسماء المذكورة آنذاك كان اسم ديكيلا ساركوزي يحتل مكانة بارزة.

وفي ديسمبر من العام نفسه، عندما كان ساركوزي ضيفاً على إسرائيل، كان يستهدف الرئيس شيراك تحربه عندما صرح لمضيفيه قائلاً: "أعلم أنكم تشعرون بأنني، في فرنسا، ثمة من يرغب إلى اللامبالاة بالأمم، أو أنكم على أقل

حتى إجراء الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٧، كانت الشبكات الحليفة لإسرائيل تواجه في فرنسا مشكلة أكبر، إلا وهي أننا كنا نعيش حتى ذلك التاريخ تحت حكم "ديجولي"، ففي عام ١٩٦٧، كان الجنرال ديغول قد أدى عظيم استنكاره لنشوب حرب الأيام الستة وما استتبته من احتلال إسرائيل لأراضي عربية. وخلف من بعد ديغول، رؤساء الفتوة آثروا كيفما اتفق، فقبل انتخاب ساركوزي، كانت المقاومة التي تبديها السلطة في مواجهة مطالب الشبكات الصهيونية، حقيقة واقعة تستشعرها إسرائيل ومؤيديها، حتى أن السياسة الفرنسية كانت وقتها مضمضة على أنها الفرنسية، المحايدة للحرب، على سبيل التحقير والأزداء هكذا نادى الصهاينة بالتصويت ضد فاليري جيسكار ديستان عام ١٩٨١، وفي عهد فرانسوا ميتران، كان رولان دوموا وأوبير ديبيرون من أشد المتحمسين لانحياز موقف متوازن في الشرق الأوسط، أما جاك شيراك فكان يلتصق بشيراك العربي، من قبل متقدميه، ولتتذكر محاولة التذلل التي وقعت له أثناء ويارته للقدس عام ١٩٩٦، حينما هدد شيراك رجال الأمن الإسرائيليون المراقبين له بالرجوع إلى طائرته ولعودة إلى فرنسا وإن لم يهدوا، من حوله. كان سايستنا من التأثر بما جعل رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق إيهود بارون يرفض استقبال وزير الخارجية الفرنسي ماثيومان دو فيليب عام ٢٠٠٣، عندما أعرب هذا الأخير عن اعتزازه زيارة ياسر عرفات في رام الله، غير أنه منذ انتخاب ديكيلا ساركوزي، تهاوت تلك المقاومة أمام شبكات مؤيدي إسرائيل، الذين التزم بهم مقادير الأمور جميعها.

فكيف وصلنا إلى هنا؟ وصلنا وهنا

المتحدة (أو بالأحرى مصالح الطبقة الحاكمة هناك) وأنه من العيب الاعتقاد بأن اللوبي اليهودي يوسعه أن يفرض استراتيجيته مخالفة لتلك المصالح (أفرا جدال حول دور اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة، Jobby juif aux États-Unis مدونة Nouvelles d'États-Unis).

و في الفصل الخامس من الكتاب، يسترجع بلانرو النقاش الصباح الذي استبته نشر مجلة "تايم"، الأمريكية، في ٢١ نوفمبر ٢٠٠٧، ملف حول "موت الثقافة العرنية"، وهو يبرز لذلك مقولة منسوبة لكريستوف بوكو وهو محاضر في الفن- يشر فيها أن "الكثير من الفنانين الفرنسيين قد تخلقوا فنياً كرد فعل معارص لنظام التعليم السائد، فأرومانسيون والتأثريون والحداديون، جميعاً، كانوا من الفنانين على القيم الأكاديمية التي راجت في صيغهم،

إلى تلك الأصوات المعارضة المنطق لم تخف اليوم، ولكنها غابته عن وسائل الإعلام الكبرى، واستبدلت بها هذيان برلن هنري لوبو، وأين فينكلر، وأندريه جولدسمان... (الترجمة ثلاثتهم من منسقي، الصف الأول المتعصبين لإسرائيل).

لكن المعارضة والانشقاق، على عكس ما يراه بلانرو، لا تكون أيضاً بالاستجابة لنداء جمعية الحرية من أجل التاريخ، التي تقول إنها نشأت لمكافحة "الترهيب، الذي يمسو في فرنسا، وللتصدي للترهيبات الخاصة بأحداث النازية الوطنية (المحرقة)، الاستعداد، إعادة الأرمين، هاهه الجمعية تدافع في رأي عن مفاهيم غامضة ومتلبسة، فهي مثلاً تعترض على تشديد فرنسا بالاستعداد بوصفه "جريمة ضد الإنسانية، فليس ما يمنع الآخرين عن عملهم أن تغالب السلطة السياسية بأن تتحمل مسئولياتها، إلى أن يفرسان أن تتصرف بالجرأة التي ارتكبتها في الجزيرة هنا أيضاً يبدو المؤلف على غير علم بالجدل الدائر في فرنسا، ذلك العمل الذي يساعد على فهم إبعاده الكتاب المميز الذي نشرته مؤخر المرحمة الكبيرة المتخصصة في شؤون أفريقيا كاترين كوكري فيديوفيتش، تحت عنوان "الرهانات السياسية لتاريخ الاستعمار"، (منشورات آجون، ٢٠٠٩).

من قاطماً، من المؤسف ألا يكون هناك دراسات أكثر تصفحاً حول هذا الموضوع الهام، موضوع العلاقات بين إسرائيل وفرنسا والكتابة التي تحتلها المجتمعات اليهودية الفرنسية، فالساسة تكاد تخلو من هذه الدراسات لاسيما في الأعوام العشرة الأخيرة. ■

قبل ساركوزي. كان سياستنا من التأثير ما جعل رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق أريئيل شارون يرفض استقبال وزير الخارجية الفرنسي دومينيك دو هيليان عام ٢٠٠٣



فرنسا تظهر ذلك استعدادها الكامل لتحمل كافة تبعاتها لضمان استقرار تلك المنطقة المتحركة بصورة أساسية في توازن العالم، والمعروف أيضا أن الإمارات العربية المتحدة تقع جغرافيا في مواجهة إيران. ولا حاجة لنا هنا للتذكير بمسلك نيكولا ساركوزي أثناء الانتخابات الرئاسية الإسرائيلية الأخيرة هكذا، على الرغم من تحفظات نادرة أبداها ساركوزي في مناسبات متفرقة. فقد انحاز تماما لفرصة الإسرائيلية للعثور على السيادة السياسية العالي.

هكذا، صار لدينا اليوم في فرنسا رئيس يعاخر بأنه يتحارب انخيارا غير مشروط إلى أمن إسرائيل، وعلى حد ما وصفته به أسبوعية «ساريان» صار ساركوزي يوش في سلطته الفرنسية، حتى وإن لم يكن يباريه في عدد الحروب التي أشعلها. ولكن، أن نضع يهود على فرنسا من وراء تلك السياسة؟ أين ذهب استقلالنا الوطني وسياقتنا على أرضنا؟ إن سياسة ساركوزي ما هي إلا شرع في تاريخ فرنسا الحاصرة، وهي تسوق البلاد إلى طريق مسدود، إذ تربط مصيرها بالسياسة اللاعقلانية التي تتبعها الدولة العبرية، التي تحتاج إلى الحروب للحفاظ على تماسكها الداخلي، والتي تجتهد في مقاومة تفكيكها بالتشبيث بأوهام القوة.

إن ساركوزي إذ يربط مصيرنا بمصير إسرائيل ليس خصمنا لمصالح مغايرة لمصالح فرنسا؛ وهو في ذات الوقت يضحى بالأخلاق وبالعادلة وبالقانون الدولي وبالتوازن العالي في مقابل «الدفاع غير المشروط عن أمن» خرافة أيلة للزوال. إن السياسة الخارجية التي ينتهجها ساركوزي توشك أن تزعج فرنسا في إقليم نزاعات خطيرة، صارت النظرية الجديدة التي تتبعها فرنسا اليوم هي نظرية «صراع الحضارات»، مع إضافة بسيطة، لم يتكرها هنتجتون، وإن بات ممكنا لمسئ آثارها، التي تستلهم ما جاء به مؤسس الصهيونية، تيودور هرتزل، من أن إسرائيل هي «طليعة» الحضارة في التصدي لجحافل الهمجية.

وأزاء هذا الوضع، أعطاب بنقاش وطني موسع، يتناول سياسة بلاذري الخارجية. لأجل ذلك أنشأت كتاب «ساركوزي وإسرائيل واليهود» الذي قوبل بالهتف المضخم، على حد تعبير المحامي الخاص بي، جون باستاردى دومون.

يضم هذا المؤلف نحو ستمائة حاشية وشرح هامشي لأن يبلغ مائتين

المصفون، ويذبح أطفالها الأبرياء بالملات. تلك كانت الصورة المثلى والأشد قسوة ورعبا، لذلك التحول الذي طرأ على السياسة الخارجية الفرنسية منذ يونيو ٢٠٠٧.

وأخيرا لاحظ أن الموقف الفرنسي إزاء إيران قد ازداد تصلبا. فعندما صرح برنار كوشنير في سبتمبر ٢٠٠٧ بأنه «يدنى التهويل لأدواء» في مواجهة إيران، وبأن «الأسوأ ما هو إلا الحرب»، إنما كان يبرهن على أن متعلفا خطرا قد تم اتخاذه، استنادا إلى مبادئ ساركوزي التي كان قد صرح، أثناء زيارته للولايات المتحدة في سبتمبر ٢٠٠٦، فيما يتعلق بإيران، بأن كافة الخيارات مطروحة، وعلى النقيض، صرح رئيس الوزراء السابق دومينيك دو هيليان، معلقا على تلك العبارة المثقلة بوجع الحواشي، فقال: «لا مجال اليوم للتهويل للحرب».

بالفادر هو النضال من أجل السلام، لأن قرار ليست خيارا مطروحا ضمن خيارات أخرى. الحرب ملتجأ أخير إذا ما انشبت جميع الطرق. ولقد رأينا ما أحدثه ذلك في العراق من مآلوم وآلام ومأس كبرى. هكذا، فلنحظ ما يلي من الرجولي (وما بين السياسيين يكونا شامعا: فادعاهم يستلم أفكاره من المبادئ الجديوتية، أما الآخر فيكون إلى الأبدولوجية الصهيونية، سيما وراء إعلاء البلاغ عن إسرائيل فوق كل اعتبار. وعليه، ما كان اقتناع ساركوزي للقاعدة العسكرية في أي طلي في مايو ٢٠٠٩ محض مصادفة عابرة هذه هي القاعدة العسكرية الفرنسية الأولى في الخليج. ولقد صرح الرئيس قائلا: «إن

استهجها أسلافه من الرؤساء وزراء الخارجية قد أدت بفرنسا إلى فقدان كامل تأثيرها في تلك المنطقة» وهو رأي كاتب وإن كان كاشعا.

أما إيميريك شوبارد، أستاذ العلوم السياسية بكلية العلوم العسكرية والدفاعية، الذي كان من بين ضحايا محاكم التفتيش الساركوزية، فقد صرح بأن «فرنسا تعيش حاليا حملة من التطهير الناعمة والصامتة الموجهة ضد كل من تعارض أفكارهم مع مصالح إسرائيل والولايات المتحدة. وقد يبدو ذلك مصيبا على التصديق، لكنها مع ذلك الحقيقية. فسواء كان الأمر يتعلق بأشخاص من اليسار أو من اليمين المحافظ، كل من «يسقطون» يجمعهم قاسم مشترك واحد، ألا وهو تعارض تحليلاتهم مع المصالح الأمريكية والإسرائيلية».

كما تشي إقامة «الاتحاد من أجل المتوسط، برغبة ساركوزي في إدخال إسرائيل» التي يراها بمثابة بلد ديمقراطي، شأنه شأن غيره، في الاتحاد الأوروبي، وهذا عملية مغفلة عن إدراك الفرنسيين.

ولكن، إلى الآن، بلغ التعاون الفرنسي الإسرائيلي ذروته في يناير ٢٠٠٩، عندما تم إرسال الشرطة الفرنسية «جرمنا» إلى سواحل غزة لكسر المقاومة الفلسطينية، التي كانت في تلك الأثناء تتعرض للحرق بقتال

يتولى الحكم حتى طار إلى الولايات المتحدة، مصطحبا معه رئيس المجلس النيابي للمنظمات اليهودية بفرنسا، (CRIF) وزير خارجيته برنار كوشنير. لتستقبله الجمعية الأمريكية اليهودية (AJC). وهي إحدى أهم مجموعات الضغط الصهيونية الأمريكية، وتسلمه جائزة «النور بين الأمم»، وهي إحدى أربع المكافآت التي لا يتأهلها سوى الشخصاء من الشركاء. وعلى جسم الجائزة كتبت تلك العبارة «تقديرًا لتسعيكم الدؤوب لخدمة القيم الديمقراطية وحقوق الإنسان» والسلم، وعرفانا لصدقكم ووفائكم للولايات المتحدة وإسرائيل والشعب اليهودي، ويهدهد المناسبة، قام رتشارد سايدمان، رئيس الجمعية، بتحيةة الرئيس ساركوزي على ما أوتي من نشاط لا يصاحبه ومبادئ نادرة، مشيرا إلى التشديدات المشتركة والتهديدات المشتركة، بالديمقراطيات الثلاث الشقيقة، الولايات المتحدة وفرنسا وإسرائيل.

وفي عام ٢٠٠٩، كانت المرة الأولى في تاريخ الجمهورية الرسمية الخامسة التي يوافق فيها رئيس الجمهورية على أن يكون الرئيس الشرفي لجمع العشاء السنوي الذي يقيمه المجلس النيابي للمنظمات اليهودية بفرنسا (CRIF). وهي المناسبة التي باتت تعد منذ بضعة أعوام بمثابة فرضية واجبة على السياسة الرسمية. وفي ذلك رسالة واضحة أخرى.

ومع مرور الوقت، لم يفعل ساركوزي سوى كل ما من شأنه أن يوافق الأمل التي عقدنا عليه مؤيدو إسرائيل، كما يمكن فهم الطريقة التي تألفت بها الحكومة الفرنسية بمساعدة جحش قراءة أساسى: فمن شاء أن يكون حذرا منها على أن يعتقد نفس آراء الرئيس فيما يتعلق بإسرائيل فهو سبيل المثال ما كان اشترازا برنار كوشنير من الحزب الاشتراكي لعمده إلى الحكومة إلا لأنه بدا أكثر تقاربا مع إسرائيل، من أوبير هيدبيرن. كما يسرى ذات التقسيم على ما تم مؤخرا من تعيين هاتوري هونينج في منصب المثلة الخاصة لفرنسا، للشئون الاقتصادية والثقافية والتجارية والتعليمية والبيئية في عملية السلام في الشرق الأوسط، بينما هي في الوقت نفسه تشغل منصب مديرة فرع فرنسا التابع لجمعية الأمريكية اليهودية (AJC). وكان هونينج أن تصرح أنه ذلك قافلة. «نعد تديد ساركوزي أن السياسة المختلة المؤيدة للحرب التي

كتاب الزاوية



تقرير بعثة الأمم المتحدة لتقصي الحقائق بشأن النزاع في غزة تقرير جولدستون

(١)

في ٣ نيسان/أبريل ٢٠٠٩، أنشأ رئيس مجلس حقوق الإنسان بعثة الأمم المتحدة لتقصي الحقائق بشأن النزاع في غزة مُسنّداً إليها ولاية قوامها «التحقيق في جميع انتهاكات قانون حقوق الإنسان الدولي والقانون الإنساني الدولي التي قد ارتكبت في أي وقت في سياق العمليات العسكرية التي جرى القيام بها في غزة في أثناء الفترة من ٢٧ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٨ إلى ١٨ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٩، سواء ارتكبت قبل هذه العمليات أو أشاءها أو بعده».

وقام رئيس المجلس بتعيين القاضي ريتشارد جولدستون، القاضي السابق بالحكمة الدستورية لجنوب أفريقيا والمدعي السابق للمحكّمين الجنائيين الدوليين ليوغوسلافيا، في ١٠ ديسمبر ٢٠٠٨، لكي يرأس هذه البعثة. وكان الأعضاء الثلاثة الآخرون المعينون هم: الأستاذة الجامعية كريستين تشينكين، أستاذة القانون الدولي بكلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية، التي كانت أحد أعضاء «البعثة رفعة المستوى لتقصي الحقائق» المؤهدة إلى بيت حانون ٢٠٠٨؛ والسيدة هينا جيلاني الحامية لدى المحكمة العليا لباكستان والمثلة الخاصة سابقاً للأمن العام المعنية بحالة المذاهبين عن حقوق الإنسان، والتي كانت عضواً في لجنة التحقيق الدولية المعنية بدوافر ٢٠٠٤؛ والعقيد ديزموند ترافيرس، وهو ضابط سابق في قوات الدفاع الأيرلندية وعضو مجلس إدارة معهد التحقيقات الجنائية الدولية.

أما الإطار المعايير للمبعة فقد تمثّل في القانون الدولي العام وميثاق الأمم المتحدة والقانون الإنساني الدولي وقانون حقوق الإنسان الدولي والقانون الجنائي الدولي.

ينبغي أن كان على الانتظار ستة أشهر كاملة لكي أتمكّن من توزيع الكتاب رغم أنه لم يصدر ضدّي أي قرار قانوني بالحظر أو بالملاحقة). وهو ما يعد بمثابة عيب فعلي في بلد يدعي اعتماد حرية التعبير وحقوق الإنسان. في فرنسا، صار جلياً أن كل جدل يتناول العلاقات مع إسرائيل قد بات من الحرامات، وأضحى كل انتقاد للسياسة الإسرائيلية يصنّف بانتظام كمعاداة للسامية، والفرق واضح وبين، فاليهودية ديانة عسرها آلاف السنين، أما الصهيونية فهي أيديولوجية ظهرت قبل قرن من الزمان، وكانت في وقت من الأوقات تصنّف من قبل الأمم المتحدة على أنها «شكل من أشكال العنصرية». وضرب من ضروب التمييز العنصري. بنّا شاهد اليوم حالة من الابتزاز المعنوي الوضع، فقد وصلت الصهيونية إلى رأس الحكم ومن هناك، على القمة، راحت تعيد تعريف الخير والشر، فالعيسوف ادّعى موران- اليهودي الأصل- قد استعنى بالحكمة لأنه تجرأ وانتقد إيزيل شارون. وهناك صحافيون مثل آلان ميشاج، ودانييل ميسيريه، وروسمو كاريكاتير مثل سينيه، والكوميديان ديودوتي، واللب العمد برونو جيج، الذين تعرضوا للفصل أو للمضايقات لأنهم سمحوا بالتشكيك في كون إسرائيل أهم ديمقراطية على وجه الأرض. وفي نفس الوقت، راح الديسوف، برنار هنري ليفي يدافع عن جيش الدفاع الإسرائيلي، أما زميله آلان فيسكلو، الذي أصابه الخرس أثناء عملية الرصاص المنصهر، فلقد تم تكريمه ومنحه وسام الشرف الأرفع، في يناير ٢٠٠٩.

ننّا تشير على أمفنا، ولعل ذلك ما يحوي من أي دعوة يهود فرنسا إلى التخلي بأسرع وقت ممكن عن معتقدهم الذين لا يتناول في واقع الأمر أكثر من سمس الطائفة اليهودية، والذين يسيئون إليهم بما يعمدون إليه من خلط بين الإيمان بالعقيدة اليهودية والمذاهب عن الصهيونية ولعل ذلك أيضاً ما يحوي إلى دعوة الفرنسيين جميعاً إلى تحرير أنفسهم، لا كي يجهروا برايتهم في إسرائيل فحسب، ولكن أيضاً كي يسارعوا إلى التمدد بالآخر الضار الذي راح يخلفه اللوبي الإسرائيلي على وجه فرنسا. جميل أن تكون مبنا رضية في مساعدة الفلسطينيين، ولكن يجدر بنا أولاً أن نحرر أنفسنا من أيديولوجية مدمرة باتت إصاها على قيد الحياة إياها معدودة. ■

وسبع من الصفحات، وهو أمر استثنائي الوجود في المشهد الأدبي الفرنسي. وهي كل مرحلة من مراحل بحثي، حرصت على تدعيم جميع أطروحاتي واستنتاجاتي بالأدلة والبراهين الدامغة، كما أنني قد حرصت عاماً على أن أشير في مراجعي إلى مقالات نشرتها الصحف الفرنسية والعالمة الكبرى، بما في ذلك الصحف الموالية لإسرائيل ولكن سرعان ما تبين لي بريد الناشئين الفرنسيين وإعراصهم الثام عن كتابي. فمثلاً هراك سيجلر، من دار نشر بلانش، التي كان قد صدر لي عنها كتب من قبل، كتب لي بعد أن أتم قراءة المخطوط خطاباً جاء فيه: «لا يمكن نشر هذا الكتاب للأسف، لأنه فضلا عن المخاطر التي تكمن وراء النشر، فمن تحظى بسمر واحد في الصحافة ولا في الإعلام المرئي أو المسموع، وذلك بالطبع لأن أولئك الذين لا يستطيعون التفهم بأسمائهم وعلاقتهم بضعون الإعلام في قبضتهم، وبالطبع لن تكفي بعض التحركات على الإنترنت لجعل الناس على شراء الكتاب من المكتبات. هذا الكتاب ليس متنوعاً، ولكن يبدو أنه قد كتب عليه أن يدخل في طي الكتمان... وقد كان محققاً، ولكن بقدر صليل، فهنا نحن قد أصدرنا الطبعة الثانية بعد أن فُقدت الطبعة الأولى، بفضل الجهد الهائل الذي بذلته مجموعة من مستخدمي الإنترنت الذين تطوعوا بمسألتهم بلا كلل أو ملل، وكذا بفضل مشاركة الأستاذ باستارد ديومون وشجاعة باشري الهمام ماركو ببيتر.

لقد جاء رد سيجلر ليكشف القاب عن المناخ السائد في عالم النشر، فلنكن يمتنع الناشر عن إصدار كتابي، سبق إلى جميع الأصدان. حتى أن أحدهم قد اعتبر بأن لمبعة أجنبية مكتظة حتى عام ٢٠١٤، وعليه، لكي يصدر كتابي في هذا الزمان، اضطررت لأن أخرج به من بلادتي لكي أجد له نأشراً في بلجيكا. ولكن لم تنته مامرة هذا الكتاب عند هذا الحد، وإنما بدأت حين خرجت ذلك أن المؤرخ الفرنسي الذي داب على توزيع كتب ناشري البلجيكي قد رفض توزيع الكتاب في فرنسا، وهو ما يعد حادثة لا سابقة عليها في التاريخ الحديث للمكتبات الفرنسية. ولكن ربما تكون مشكلة طريقها إلى تسوية. ولعل نشر هذه المخطوط يحين في وقت يكون فيه كتابي هذا على أرفف المكتبات الفرنسية. جنباً إلى جنب مع كتبي السابقة. وهذا لا

■ للمرة الأولى التي سمعت فيها تعبير «أولاد أدو»، كانت في إحدى المحاضرات السياسية في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، عندما كنت تلميذاً في المدرسة الثانوية في دمشق. أيام صعود حركة التحرر الوطني

كنت نقيب للوحدة والتحرر ولعبد الناصر عندما سمعت همسات بعض الرفاق بأن علينا أن نأخذ حذراً لأن بعض «أولاد أدو» قد أندسوا في المظاهرة

لم يكن بد من مضي على نزوحنا من فلسطين إلى دمشق إلا بضع سنوات، ولهذا كنت ما زلت لا أعرف معنى بعض التعابير الدمشقية. ولكني أدركت على الفور أن المقصود هو أن بعض المعادين لحركة التحرر الوطني قد أندسوا في المظاهرة

لم أسأل عن المعنى الحرفي للتعبير وأصل استعماله مع أنني رحت أسمعته بشكل متكرر في سنوات نهاية الخمسينيات حيث كان أصدقائي يتعنون السياسيين والصحفيين المؤيدين لحركة التحرر الوطني في سوريا ولبنان بأنهم من جماعة «أولاد أدو» ويشكل عموي رحت أحد الأراء الصادرة عن مقالات كانت تنشرها جريدة «الحياة» في بيروت، بين الجهن والآخر، وتحمل توقيع الكاتب العربي الكبير، علي أنها مشثلة للفكر السياسي لجماعة «أولاد أدو»، فقد كانت تؤكد أن مصلحة العرب ليست في إنهاء سياسة التحرر من سيطرة الدول العربية ولكن في الانضمام لحلاف العسكرية التي كانت تقيمها تلك الدول ضد الخطر الشيوعي، كما كانت تؤكد أن الأسلوب الذي تشبهه حركة التحرر العربي بقيادة عبد الناصر في الصراع المباشر مع الاستعمار لا يجدي، وأن الأسلوب الذي يحقق نتائج عملية ملموسة هو أسلوب «دخل وطالب»، الذي سلكه الملك فيصل الأول، وبعد عهد نوري السعيد في العراق وكان في إصرار جريئة «الحياة» على عدم إفشاء اسم «الكاتب العربي الكبير» وإبقائه محاطاً بالسرية والغموض ما يزيد من صلاحيته، بالنسبة لي في تمثيل آراء ومواقف «أولاد أدو» السياسية.

ولم اسمع تعبير «أولاد أدو» مرة أخرى إلا بعد سنوات في نهاية عام ١٩٦١ حين كنت في السنة الجامعية الثانية في إحدى جامعات الولايات المتحدة الأمريكية وحمل الانتماء في سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة، التي

قادني هذا التماثل في التجربة بين كتاب تيار المحافظين الجدد، وكتاب «ثقافة الاستسلام» إلى أن أتساءل عما إذا كان هناك تماثل آخر بالفكر والأيديولوجية يجمع بين كتاب المجموعتين؟

وفي نهاية عام ٢٠٠٢، والولايات المتحدة تقترح طوبول الحرب على العراق، اتصل بي أستاذ للعلوم السياسية في الجامعة الحاممة بنزوى الفياض برحلة بحثية إلى البلاد العربية. وقال هذا الأستاذ إنه قام بقراءة بعض ما كتبه محمد حسنين هيكل وإدوارد سعيد، وأصبح على معرفة تامة بمنطق الكتاب المعادين للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، وهو يريد أن يقرأ لكتاب عرب يمثلون وجهة النظر الأخرى، وجهة نظر المؤيدين للسياسة الأمريكية. وهو يطلب مني أن أقرح عليه أسماء بعض الكتاب الذين يمثلون ذلك الاتجاه.

قامت بين مصر وسوريا عام ١٩٨٨، فلوحتها لتقيمت مكالمة هاتفية من أحد الأصدقاء الدمشقيين، الذي كان يدرس في جامعة ولاية أمريكية مجاورة. وسألني إن كنت قد سمعت عن أسماء الضباط الذين قادوا حركة الانتماء. وعندما أجبتة بالنفي، قال هو: لا بد أن يكونوا كلهم من جماعة «أولاد أدو».

ومرت بعد ذلك سنوات طوال لم أسمع خلالها ذلك التعبير. ولم أستعمله. ولم أتذكر. حتى جاء وقت توقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية عام ١٩٧٩ واشتطن. وكنت مقيماً في كندا أعمل أستاذاً في كلية الاقتصاد في جامعة وترنو.

كنت أراقب المشهد على شاشة التلفزيون، وفجأة، شعرت أنني لا أرى بينين والسادات على الشاشة ولكني أرى أولاد أدو، الذين تسللوا خلسة في صفوف المظاهرة وقد تمسكوا من السيطرة عليها وفيادتها وأخرجنا منها حتى وقفنا على جانب الطريق نتفرج عليها. وهذا ما رأيته أيضاً عندما شاهدت عرقات بصافح رابين في حفل توقيع اتفاقية أوسلو في البيت الأبيض عام ١٩٩٣. وهو منظر يتكرر أمامي كلما شاهدت اجتماعاً من الاجتماعات التي يحضرها عرب وإسرائيليون، فكل اجتماع من تلك الاجتماعات يبدو لي على شاشة التلفزيون على أنه مهرجان سياسي جديد من مهرجانات «أولاد أدو».

فضل مصطفى النقيب

عليه كان، وليس بد لي يكن واضحاً لي يومها، يساعدي على فهم منطق أوطحات حركة التحرر الوطني بشكل أفضل. وهكذا، وجدت نفسي في مطلع القرن الجديد أبحث عن كاتب عربي عنده منطق يختلف عن المنطق الذي تركزت عليه فئائتي، ويمثل الاتجاه السائد في سياسات الحكومات العربية التابعة بشكل كامل للإملاء الأمريكية حاولت في طريق الإنترنت قراءة مقالات بعض الصحفيين المؤيدين للتوجه الصحيح والمعادين لتنهج المقاومة في فلسطين ولبنان، ولكني اكتشفت سريعاً أنه إذا كانت مقالات «الكاتب العربي الكبير»، قد صدرت في الخمسينيات من منطق خاطئ من وجهة نظري، فإن مقالات ممثلي جماعة «أولاد أدو» في مطلع القرن الجديد خالية من أي منطق. وعندما شكوت ذلك لصديق يشغل منصباً هاماً في أحد عواصم الاعتدال العربية، صمكت وقال: «كنت تضعيف وقتك في قراءة مقالات كتاب التدخل السريع»، ثم شرع لي أن أولئك الكتاب يحصلون على لقب «كتاب التدخل السريع» لأنهم يكتبون مقالاتهم عادة بعد ساعات قليلة من تلقي أخباره تلفيزونية من دائرة معينة في الدولة.

حاولت أن أعثر على «منطق» لكتاب «أولاد أدو» في عاصمة عربية أخرى. ومرة أخرى، باتت محاولتي بالفشل، وعندما شكوت ذلك لكاتب صديق في تلك العاصمة، قال: «هؤلاء الصحفيون يكتبون لقرائي واحد، وبما أنك لست ذلك القارئ هقرامك لتلك المقالات مصعبة للوقت».

في مطلع عام ٢٠٠٤، أرسل لي الصديق بلا الحسن مخطوطة كتاب يعده للطباعة بعنوان «ثقافة الاستسلام»، وهو عبارة عن قراءة نقدية في كتابات خمسة كتاب عرب، يعيشون في العواصم الأوروبية، يؤيدون نهج معاهدات السلام مع إسرائيل كما يؤيدون غزو الولايات المتحدة للعراق. وطلب مني أن أقوم بقراءة المخطوطة وكتابة دراسة تعالج الموضوع من الناحية «الفكرية»، بشكل تكون فيه الدراسة متناكسة مع المعالجة السياسية، التي تضمنتها مخطوطة الكاتب.

تعمست للاقتراح على أمل أن يكون بين الكتاب خمسة يحكم حياتهم خارج البلدان العربية، في يكتب بشكل مخالف

لقد عدت الدهشة لسانني، فلفظت اكتشفت أنني شخصياً لا أعرف أي كاتب عربي يمثل وجهة النظر الأخرى. وبعد هذه الحادثة، تمكنني فضولي في معرفة ما إذا كان هناك كاتب أو صحفي عربي يعبر عن آراء ومواقف وتوجهات «أولاد أدو»، في الوقت الحاضر. فأقرأ له كما كنت أقرأ مقالات «الكاتب العربي الكبير»، في سنوات الخمسينيات. فلا زلت أذكر أنني كنت أنتظر صدور تلك المقالات بشغف، لأنها كانت مكتوبة بأسلوب جميل وترتكز على منطق معين. ومع أنني كنت أعارض ذلك المنطق بشكل تام، إلا أن التعرف

مصانفة «أولاد أدو»

لأسلوب، كتاب التدخل السريع، وكتاب القارئ الواحد...، وشرعت في قراءه المخطوطة وقراءة النصوص الأصلية للكتاب الخمسة، وكل أمل في أن أعتبر أخيراً على كاتبه، «مطلق»، أستطيع أن اتعامل معه بما هو ممثل لمصر، الولاد ادو، في الوقت الحاضر كما تعاملت مع فكره، والكاتب العربي الكبير، قبل عقود من الستين

كان الكتاب الخمسة جميعاً يكتبون بشكل مخالف لأسلوب، كتاب التدخل السريع، وكتاب القارئ الواحد...، فلهذا كان في كتاباتهم منطق، منطق غريب جداً أثار دهشة واستعراس، ولكنه منطق

كان ذلك المنطق يحتجب بشكل جدي عن منطق أطروحات، والكاتب العربي الكبير، المؤجبة لسياسة الأحلاف العسكرية والمهادية لحركة التحرر العربي في الخمسينيات فقد كانت أطروحات الكاتب العربي الكبير، تصهر عن منطق، المصالح العربية كما يفهمه الكاتب في الزمن الذي يتحدث عنه، أما أطروحات الكتاب الخمسة فكانت تدعي أنها لا تصدر عن موقف سياسي ولكن عن موقف، ممسلي، وكان ذلك المبدأ هو الانحياز الكامل لمشروع «الحدادة» الغربي، وحتى يكون ذلك الموقف، منسجماً مع ذاته، فإنه يرجع بالزمن إلى الزوا ليعيد كتابة التاريخ العربي في القرنين الماضيين وفق معيار واحد وهو تصنيف، من وقف من العرب مع الحدادة؟، ومن وقف من العرب معارضا للحدادة؟، وعلى هذا الأساس، تصبح كل ثورات الشعوب العربية ضد الاستعمار البريطاني والفرنسي ومن أجل نيل الاستقلال حركات متأخرة ظلامية، أساس أنها كانت تمادي البريطانيون والفرنسيين ممثلي الحدادة في ذلك الوقت، وفق هذا المعيار فإن تلك الثورات قد أسهمت لحد كبير في صناعة التأخر العربي الذي تعاني منه الشعوب العربية في الوقت الراهن كما أن ذلك، بالمنطق، يلخص كل المأساة الفلسطينية في أن النضال الفلسطيني فشل في أن يتحالف مع الاستعمار البريطاني، بينما نجت الحركة الصهيونية في ذلك، أي أن القصبة تتلخص في وجود طرف قاوم، الحدادة، ففشل، وطرف طرف تحالف مع الحدادة، وانتصر. ويصير

الكتاب الخمسة بعد ذلك على أن تصحيح هذا الخطأ التاريخي لا يتحقق إلا عبر التخلي الكامل عن نهج مقاومة الحدادة، والسير الجدي في طريق التحالف معها، أي التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية، ممثلة، الحدادة، في الوقت الراهن

مصر
البحر

ومن ناحية أخرى فلهذا وجدت في تحارب أولئك الكتاب الخمسة تسخاً من تجارب بعض الكتاب الأمريكيين الذين ينتسبون إلى التيار المعروف باسم «المحافظين الجدد»، فكما كان معظم كتاب ذلك التيار ينتسبون إلى فصيل الترويسكية في اليسار الماركسي، عندما كانوا شباباً في الخمسينيات ومطلع الستينيات من القرن الماضي تم انقلبوا إلى أقصى اليمين في أواخر الستينيات ومطلع السبعينيات بعد أن أصبحوا كتاباً وأساتذة وصحفيين في منتصف العمر، كذلك كان كتاب ثقافة الاستسلام ينتسبون إلى يسار حركة التحرر العربي عندما كانوا شباباً في البلدان العربية في الستينيات والسبعينيات وأول الستينيات، ثم انقلبوا إلى أقصى اليمين في مطلع التسعينيات، بعد أن أصبحوا كتاباً وصحفيين في الصحافة العربية القيمة في العواصم الأوروبية ولقد قادني هذا التماثل في التجربة بين كتاب تيار «المحافظين الجدد» وكتاب ثقافة الاستسلام، إلى أن أتساءل عما إذا كان هناك تماثل آخر بالفكر والأيديولوجية يجمع بين كتاب المجموعتين؟

وهكذا، كان على أن أقرأ في الخلفية الصكورية والفلسفية لأشهر كتاب تيار «المحافظين الجدد»، في الولايات المتحدة، حتى أعرف على وجه نظرهم بالنسبة لموضوع، الحدادة، الذي يشكل حجر الأساس في فكر كتاب، ثقافة الاستسلام.

لقد خلعت تلك القراءة في نفسي رعباً حقيقياً، فبالرغم من أنني كنت قد تابعت التوجيهات السياسية لمعظم كتاب تيار «المحافظين الجدد»، خلال العقود الثلاثة الماضية، إلا أنني اكتشمت أنني

لم أكن على معرفة بالنظر الأيديولوجي الذي ينظرون من خلاله إلى العالم والتاريخ.

كما قد تعرفت على ذلك التيار عندما أتتني في مطلع السبعينيات يعارض المسوحة العام لسياسة الامريكته في ذلك الوقت، المسى على اسس سياسة، الانفراج الدولي، (Detente)، ويبدو إلى أنفتح سياسة العداء الكامل مع الاتحاد السوفياتي، وتابعت تطور أطروحات التيار في الثمانينيات عندما أصبح له نفوذ هائل أيام إدارة الرئيس رونالد ريغان التي تخلت عن نهج سياسته، الانفراج الدولي، ودخلت في سياسة سباق التسليح، حرب التجمد، لإنهاء الاتحاد السوفياتي التي كانت تظهر اليه على أنه «مبارطورية» في العالم، وتابعت أطروحات التيار في التسعينيات التي كانت تطالب بعرو العراق ورفض أسلوب العملية السلمية في الشرق الأوسط القائم على أساس مقايضة الأرض بالسلام والدعوة إلى ضرورة احتفاظ إسرائيل بالنفاعة العربية والجولان وتحقيق السلام على أساس مقايضة السلام بالسلام، وتابعت أخيراً أطروحات التيار في السنوات الأولى من القرن الجديد التي كانت تطالب بالكف عن اعتماد معايير، المصالح القومية، في رسم أولويات السياسة الأمريكية الخارجية واعتماد معايير، القسيم الأمريكية مدلا عها، وهذا يعنى عدم الاكتفاء بمعاداة الدول ذات الأنظمة التي فتنتج سياسات تهدد المصالح الأمريكية بل معاداة أي دولة فيها نظام معاد لتقيم الأميركية المسى هي الحرية والديمقراطية

كنت على معرفة تامة بكل ذلك ولكني لم أكن مطلعاً على الموقف الصكري والمسلبي الذي تتخلى منه تلك المواقف ولقد وجدت من خلال قراءتي أن الخصمية الفكرية لتيار المحافظين الجدد تعود إلى فلسفة الأستاذ ليو ستراوس (١٩٩٩) التي تعادي كل مفاهيم، عصر النهضة، وتؤكد أن من واجب النخب الأمريكية الكعب عن اتباع أسلوب، الحدادة في النقاش والتور والعودة إلى الأساليب الفلسفية اليونان القديمة في حجب الحقيقة عن عامة

الحق
الزمن
٢٠٠٩





ولتر ليبمان

محدثين. ولقد كتبت في مقال سابق عن الظروف الاقتصادية والسياسية في الولايات المتحدة الأمريكية التي قادت إلى ولادة كتاب «المحافظين الجدد»^١ وأحد في بقية هذا المقال أن عرض الدور المحوري الذي لعبته الصحافة الأمريكية في تكوين البيئة الفكرية والسياسية لولادة التيار ونموه وتطوره. وسنرى من خلال هذا العرض أن الصحافة «كتابت التدخل السريع» و«كتاب القرائن الواضح فضاء وتطلعت في الولايات المتحدة أولاد» وبعد ذلك بسنوات وصفت في المواضع العربية. حيث تم تبنيها مع صرورات الظروف المحلية في مناخ التبعية للسياسة الأمريكية.

ودرو لسون وولتر ليبمان

ولندون جونسون

لا تحصل أي مهنة في المجتمع الأمريكي على الاحترام والتقدير، على المستوى القومي، إلا بعد ظهور نجوم لها يشاركون بنجوم الألعاب الرياضية ونجوم هوليوود في الظفر بالإعجاب الشعبي. ولقد بدأت مهنة الصحافة في إنتاج نجوم لها في بداية العقد الثاني من القرن العشرين. وفي بداية العقد الثالث، أصبح من المتعارف عليه أن يطلق على نجم الصحافة لقب «البنديت» (Pundit) وهي كلمة من أصل سنسكريتي تعني «الإنسان العالم، وتستعمل في الثقافة الهندية وعلى سبيل المثال، فقد كان رئيس وزراء الهند جواهر لال نهرو يدعى البنديت نهرو. وأول صحفي أمريكي دعى بالبنديت هو على الأغلب أهم صحفي في

أن أصل استعمال تعبير «أولاد أدو» يعود إلى السنوات الأولى من القرن العشرين، عندما كانت العائلات الهندسية العريقة تعيش داخل السوق القديم وتنتظر بشكل وربيّة لتصرفات الدين جاموا من أمكنة أخرى وأقاصي خارج السور، فتدعواهم «أولاد أدو»، على أساس أن لهم أخلاقاً وقيماً مختلفة عن أخلاق أهالي دمشق وفيهمهم، وعلى الفور. رأيت أن إطلاق وصف «أولاد أدو» على «الكاتب العربي الكبير»، وبعد ذلك على كتاب ثقافة الاستسلام، ثم على كتاب «المحافظين الجدد»، ينسجم تماماً مع أصل استعمال التعبير الذي يصف الناس الذين يقومون بممارسات تتبع مع أخلاق وقِيم مغايرة لما هو متعارف عليه. وفي هذا المجال، فإذا كان «الكاتب العربي الكبير» وكتاب «ثقافة الاستسلام» قد طرحوا فكرة يتعارض مع أسس الثقافة العربية في القرن الماضي، الحديثة. فإن كتاب «التيار» «المحافظين الجدد»، يقومون بطرح فكر لا يتعارض مع أسس الثقافة الأمريكية فقط ولكنه يتعارض بشكل مطلق مع أسس الثقافة الإنسانية. وهذه التي يشكل عصر النهضة الأوروبية وعصر التنوير من انتباه من مهج الحداثة وأحد أساسيات لها في العصور الحديثة وهذا يعني أنهم بالفصل «أولاد أدو» على المستوي الإنساني.

لا تأتي التيارات الفكرية أو السياسية من فراغ، ولكنها تتشكل دائماً تعبيراً عن ظروف موضوعية تخص زمناً ومكاناً

قبل أكثر من نصف قرن، قال ولتر ليبمان: «إن أزمة الديمقراطية في جوهرها أزمة صحافة، ويبدو أننا في عالمنا العربي نعيش التجربة ذاتها



الناس وتزويدهم فقط بما يحتاجون إليه في حياتهم العملية. وفي هذا السياق، هليس هناك أي قيمة لمصاهيم الديمقراطية أو الحرية، إلا بقدر ما تستطيع النخب تسخيرها وسيلة للسيطرة على الجماهير. خرجت من تلك القراءة «المربعة» وأنا أفكر في أنه على الرغم من الاختلافات الكبيرة بين أطروحات «الكاتب العربي الكبير» في منتصف القرن الماضي، وبين أطروحات كتاب «ثقافة الاستسلام» وكتاب «المحافظين الجدد»، في مطلع القرن العشرين، فإن هناك شيئاً مشتركاً بينها جميعاً، إلا أن جوهر كل واحدة من تلك الأطروحات الثلاث هو ضرورة التخلص (التحرر) من مصاهيم وممارسات «ضارة» كرسيتها مرحلة تاريخية معينة.

كان «الكاتب العربي الكبير» هي منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، يريد التخلص من مصاهيم حركة التحرر الوطني وممارساتها التي انطلقت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. أما في مطلع القرن الواحد والعشرين فكتاب «ثقافة الاستسلام» يريد التخلص من تلك مبادئ فترة النضال ضد الاستعمار الأوروبي الذي صبغ تاريخ العلاقة بين بلدان العالم الثالث والأمبراطورية الأوروبية منذ منتصف القرن التاسع عشر وكل ممارسات هذه الفترة، بينما يصير كتاب «التيار» «المحافظين الجدد»، في الولايات المتحدة على ضرورة التخلص من كل الأسس المعرفية والمنهجية التي كرسيتها حركة «الحداثة»، كما نشأت وتطورت منذ عصر النهضة الأوروبية ويشكل طبيعياً قلبي هذا الشيء المشترك بين الأطروحات الثلاث إلى التفكير في ظاهرة «أولاد أدو» بما هي ظاهرة عالمية وليست ظاهرة مقصورة على العالم العربي. فهذه الأطروحات تمثل في واقع الأمر، ظاهرة التفكير غير العقلاني الذي يريد أن يعود بالتاريخ إلى الوراء. وفي هذا المجال، تساءلت بيني وبين نفسي عما إذا كانت هناك أي صلة بين أصل استعمال تعبير «أولاد أدو» على المستوى العربي كما سمعته أول مرة في دمشق قبل أكثر من نصف قرن، وبين ما أظنه اليوم من معنى للتعبير على المستوى العالي، وخطر لي أن اتصل ببعض الأصدقاء الذين عاشوا خمسينيات القرن الماضي في دمشق عليهم يعرفون من أين جاء تعبير «أولاد أدو» وما هو أصل استعماله. وعندما حدثت زوجتي من ذلك، ابستمتم، ثم عادت بعد دقائق ومعها ورقة فيها ما طبعته من برنامج «توغيل» الذي حدد

التاريخ ولتر ليبمان (١٨٨٩-١٩٧٤)^٢ بالطبع ولتر ليبمان في مدينة نيويورك ولد ولتر ليبمان من أصل ألماني يهودي في وضع صادم مريح. حيث كان أفراد العائلة يقضون جزءاً من أشهر الصيف كل عام في أوروبا. وعندما بلغ ولتر سن السابعة عشرة انتسب لجامعة هارفرد حيث درس الفلسفة على يد الفيلسوفين المعروفين جورج سانتانيا (١٨٣٦-١٩٠٢) ووليم جيمس (١٨٢٧-١٩١٠). وفي أثناء دراسته أصبح طالب الفلسفة محباً لمجلة الجامعة المعروفة باسم «شورية هارفرد» كما شارك في تأسيس النادي الاشتراكي في الجامعة، وكان طالباً متفوقاً. إذ تخرج بتقدير مرتبة الشرف بعد ثلاث سنوات فقط من الدراسة وليس أبعدها كما هو معتاد، ولكنه بقي سنة أخرى في هارفرد ليعمل مع سانتانيا

عمل ليبمان نوعاً من هارفرد صحفياً في مجلة تدعى «مجلة كل الناس». وبعد سنة قام بنشر أول كتاب له بعنوان «مقدمة للسياحة»، والحزب الكتاب على شهرة سريعة حتى أن الرئيس ثيودور روزفلت (١٨٥٨-١٩١٩) قال عنه إنه «صغير الجبل الجديد». وفي عام ١٩١٢ أسس ليبمان مع أحد رجال الأعمال وصحفي آخر مجلة أسبوعية جديدة باسم «الجمهورية الجديدة» وعمل محرراً فيها. وإثناء الحرب العالمية الأولى عمل مساعداً لوزير الحرب، ثم أصبح على علاقة خاصة بالبرئيس ورو ولسون (١٨٦٣-١٩٢٦)، حيث ساعده على صياغة نقاش ولسون الأربع عشرة من أجل السلام. وفي سنة ١٩١٩، كان عضواً في الوفد الأمريكي ل مؤتمر السلام في باريس، وشارك في تأسيس عصبة الأمم. وفي سنة ١٩٢٠، ترك العمل في «الجمهورية الجديدة» وأخذ يعمل مديراً لتحرير الجريدة الجديدة للحزب الديمقراطي في عالم نيويورك، وعندما توقفت هذه الجريدة عن الصدور عام ١٩٣١ تحول هو إلى العمل في جريدة «هيرالد تريبيون» المعروفة بيمويلها المحافظة، وفيها أخذ يكتب مقالاً بعنوان «اليوم وبعد»، الذي اكتسب شهرة عالمية. وقد حاز ذلك المقال على شهرة هائلة، إذ كان يتم نشره في أكثر من ٤٠٠ جريدة يومية. كان ولتر ليبمان محباً للعمل كصحفي، ولقد رفض الكثير من العروض العريضة للعمل في وظائف لها احترام وتقدير أكبر من مهنة الصحافة في ذلك الوقت. وعلى سبيل المثال، فقد اعترض من العمل استاذاً للفلسفة السياسية في جامعة هارفرد، كما اعترض من قبول منصب رئيس

يصرون على أن تصحيح هذا الخطأ التاريخي لا يتحقق إلا عبر التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية

١٩٦٧



كيسجر

جامعة نورث كارولينا. وفي ذات الوقت، فقد كان دالم القلق على مستقبل المهنة وقدرتها على خدمة الرأي العام بموصوبية. وظل طوال حياته يغير هذا الموضوع اهتماماً كبيراً، وأصدر عدداً كبيراً من الدراسات والكتب حول الموضوع، وفيها انتقد عدم قيام الصحافة بمهمتها توعية المواطن بحقيقة ما يدور حوله من أحداث. أما التأثير المباشر لكتابات ليبمان على مجريات السياسة الأمريكية، فقد تكبر مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية. فلقد كان هو أول من استعمل تعبير الحرب الباردة، وأول كتابه الذي حمل العنوان ذاته والذي نشره عام ١٩٤٧ من أهم كتب على الإطلاق.

يمكن تقسيم كتاب «الحرب الباردة» إلى قسمين. القسم الأول يتضمن تأكيد المؤلف لشرع مارشال على إعادة الصراخ وأهمية ذلك المشروع بالنسبة للأمم القومية الأمريكية والسلام العالمي. أما القسم الثاني والأهم فهو يخص معارضة المؤلف لنهج السياسة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية المتمثل في «سياسة احتواء الاتحاد السوفياتي، ورميدا ترومان».

من المعروف أن أول من تحدث عن سياسة الاحتواء في عام ١٩٤٦ كان هو الدبلوماسي الأمريكي جورج كيسجر (١٩٠٤-٢٠٠١) في برقية سريعة مكنونة أرسلها من السفارة الأمريكية في موسكو إلى وزارة الخارجية في واشنطن. ثم قام بتحويل أفكار تلك البرقية إلى مقال نشره في مجلة «الشؤون الخارجية»، بعنوان «مصادر السلوك السوفياتي» ويتوقع (X). كانت سياسة الاحتواء تعتمد على أطروحتين. الأولى تؤكد أن طبيعة النظام السوفياتي هي طليعية توسعية وأنه يهدف في النهاية إلى السيطرة على العالم. والثانية تؤكد أنه من الخطأ مقاومة التوسع السوفياتي بأساليب الحرب المباشرة أو بأسلوب المفاوضات، وأن الأسلوب المناسب هو منع التوسع السوفياتي عن طريق مساعدة البلدان التي تتعرض لخطر السقوط في دائرة النفوذ السوفياتي على مقاومة ذلك الخطر.

وبناءً على هاتين الأطروحتين، صاغ الرئيس ترومان (١٩٤٥-١٩٥٣) المبدأ المعروف باسمه، هذا الذي أعلنه في خطاب أمام الكونغرس في آذار/مارس ١٩٤٧ والذي قال فيه إن الولايات المتحدة سوفها زعيمه للعالم الحرة وتعمل على تقديم العون العسكري والدبلوماسي والاقتصادي والدبلوماسي لأي بلد في العالم يعمل على مقاومة الخطر

السلام يتكون عندما يتمكن الإنسان من التحرر من ضغوط الوقت الحاضر وتشويشه ويمكن من العودة بعيداً إلى الماضي والتفكير بعيداً إلى المستقبل، وكان ليبمان في ذلك الموقف قريباً جداً من وجهة نظر الرئيس شارل ديغول الذي كان يكن له احتراماً كبيراً ويعتقد أنه من أهم القادة المعاصرين.

أما الأساس الثاني لمعارضة ليبمان لسياسة الاحتواء، وهنا تتجلى حكمته وبعد نظره، فهو اعتقاده بأنه حتى لو نجحت تلك السياسة بشكل كامل فإن مكائليها ستكون أكبر من أرباحها. وقد بنى ليبمان هذا الاعتقاد على أساس أنه سيكون لتلك السياسة تكاليف عسكرية واقتصادية غير مسبوقة في التاريخ، وقد أنها ستشتمل دعماً عسكرياً واقتصادياً وسياسياً لتعدد كبير من الدول، بعضها ذات أنظمة دكتاتورية وفاسدة وبعضها الآخر يحكمها قتل وسجور من.

وانسجاماً مع خلافه مع سياسة الاحتواء، فقد وقف ليبمان معارضاً لكل مواقف إدارة الرئيس ترومان وبشكل هام. فقد أخذ موقفاً معارضاً لتأسيس حلف الأطلسي، كما عارض دخول الولايات المتحدة الحرب الكورية. وفي أثناء حكم إدارة الرئيس أيزنهاور (١٩٥٣-١٩٦١)، أيد جهود الإدارة في إنهاء الحرب الكورية. وعارض بعض سياسات وزير الخارجية جان فوستر دالاس التي اعتمدت أسلوب «حافة الهاوية» في الصراع مع الاتحاد السوفياتي وكان مؤيداً ومتحمساً لجيء

الشيوع والنفوذ السوفياتي. وعلى الرغم من أن جورج كينان مهتس سياسة الاحتواء تخلى عن تلك السياسة بشكل مبكر في نهاية عام ١٩٤٨، على أساس أن الوضع الدولي قد تغير، ودعا إلى اتباع أسلوب المفاوضات مع الاتحاد السوفياتي، إلا أن إدارة الرئيس ترومان، وبقيادة وزير خارجيته دين تشسون (١٩٤٩-١٩٥٣)، صملت وفق نهج تلك السياسة حتى أصبحت هي السياسة المفضلة للولايات المتحدة طوال سنوات الحرب الباردة.

ارتكزت معارضة ولتر ليبمان لسياسة الاحتواء في كتابه «الحرب الباردة» على أساسين. الأول هو الاختلاف في تقييم أهداف السياسة السوفياتية، فهو لم ينظر إلى الموضوع على أنه صراع أيديولوجي بين النظام الرأسمالي وبين النظام الشيوعي، كما كان يفعل أكثر الكتاب والصحفيين طوال سنوات الحرب الباردة، بل كان ينظر إلى الموضوع من زاوية مصالح روسيا بما هي دولة كبرى ومصالح الولايات المتحدة بما هي أيضاً دولة كبرى. ومن هذا المنظور كان ليبمان يرى وجود إمكانية كبيرة للتوصل إلى تفاهم بين الطرفين يراعي مصالحهما.

ولقد بنى فيه أهدافه الحميرية لسياسة السوفياتية، ليس عن طريق قراءته الأيديولوجية الماركسية-اللينينية التي كان ستالين يمدح أن الاتحاد السوفياتي يعمل وفق تاليها، ولكن عن طريق قراءته لتاريخ روسيا وما تكون عبره من مصالح قومية لا يمكن لأي حكومة سوفياتية تجاهلها وكان تفكيره هنا مبنياً على أساس إيمانه بأن التفكير

إدارة الرئيس جون كينيدي. على أمل أن يكون بمقدور الرئيس الشاب أن يتحرر من قيود الحرب الباردة ويوصل إلى التوصل لتفاهم معقول مع الاتحاد السوفياتي ويعد اغتيال كينيدي عام ١٩٦٣، كان ليبمان من أشد مؤيدي سياسة الرئيس ليندن جونسون التي تمت تسميتها بسياسة «الجميع العظيم». وهذه هي السياسة التي كان لها شأن الأول يخص إصدار قوانين جديدة على مستوى الحكومة المدراية لتلغى التمييز العنصري ضد المواطنين السود وتسمح الحقوق المدنية، والثاني محاربة الفقر في أمريكا عن طريق قيام الحكومة، لاتحادية ببرامج دعم يتمكن بواسطتها الفقراء من الحصول على السكن والغذاء والخدمات التعليمية والصحية بأسعار رخيصة. ولقد عمل الرئيس جونسون منذ توليه الرئاسة على كسب ود ليبمان، فقام بدعوته لتشضية عطلة نهاية الأسبوع ضيفاً عليه في مزعته في ولاية تكساس، كذلك طلب عليه بحضوره في زوجته إلى بيته للمشاركة في الاحتفال بعيد ميلاده السادس والعشرين عام ١٩٦٤، وأهم من ذلك، فقد طلب جونسون من وزيره ومساعديه إحاطة ليبمان بكل ما يجري من تطورات في جنوب شرق آسيا، حيث كان ليبمان يدعو إلى سحب الولايات المتحدة من تواجداتها في فيتنام وحل الصراع الدائر بين الشمال والجنوب عن طريق مؤتمر دولي للعظمى، وهكذا، مضت السنة الأولى من عمر

إدارة الرئيس جونسون ولتر ليبمان قريب جداً منها. فعندما كان أحد مساعدي وزير الخارجية أو وزير الدفاع أو أحد الجنرالات، يود من زيارة عمل في فيتنام، كان ولتر ليبمان يجمع به في البيت الأبيض قبل اجتماعه بالرئيس، وأحياناً كان يحضر اجتماعات ليبمان ويتكرر في مناقشات تستمر ساعات طويلاً. فلقد كان ليبمان يقوم بشكل كامل بدور «بنيت»، الصحافة، أي تفكر المزجج الذي يعمل فيه مستشاراً غير رسمي للدارة فيقدم لها النصيحة والمشورة ويوصل في الوقت ذاته في مقالاته على شرح سياسة الدار للراي العام، كما يشرح اتهامات الرأي العام ومخاوفه للدارة.

ولكن ذلك الوضع لم يستمر طويلاً. فمع نهاية عام ١٩٦٤، تأكد ليبمان أن جونسون مصر على أن يحسم الوضع في فيتنام عن طريق القوة العسكرية على أسس أيد ومستشاريه اليمينيين ينظرون للموضوع من وجهة نظر «سياسة الاحتواء» التي تعنى

اعتذر ليبمان عن العمل أستاذاً

لفلسفة السياسة

في جامعة

هارفرد،

كما اعتذر عن

قبول منصب

رئيس جامعة

نورث كارولينا



ينفق على الاثنين من طريق الديون من الداخل والخارج، ولقد قاد هذا الأسلوب، كما هو معروف، إلى حدوث مشكلة التصخم المالى وارتفاع الأسعار، وهكذا، اقترح فشل إدارة جونسون الديمقراطية فى حرب فيتنام بفشل آخر فى الاقتصاد، مما فتح الطريق أمام عودة الحزب الجمهورى إلى الحكم.

جاء هنرى كيسنجر إلى واشنطن عام ١٩٦٩ مع إدارة الرئيس نيكسون منحازاً إلى اتجاه الامبراطورية، فى السياسة الأمريكية. وإذا كان لنند جونسون قد اكتسب أسلوب الخداع والكذب من تربيته السياسية فى ولاية تكساس^(١) ومن السنن الطويلة فى عقد الصفقات السياسية فى الكونغرس، وواشنطن، فقد كان هنرى كيسنجر يستعمل أسلوب الكذب والخداع بما هو اختيار أيدىولوجى مبنى على أساس فكرى.



درس كيسنجر العلوم السياسية فى جامعة هارفرد، وفى عام ١٩٥٤ حصل على شهادة الدكتوراة، وفى فى هارفرد ليعمل استاذاً وأستاذاً فى معهد برامج الدفاع، كان انضم إلى مجلس العلاقات الخارجية فى نيويورك، وأصبح من المستشارين القريبين من لنسون روكفلر الذى كان حاكماً لولاية نيويورك (١٩٥٩-١٩٧٣). وفى منتصف الستينيات عندما أصبح الطلبة والأساتذة فى الجامعات الأمريكية من أشد معارضى حرب فيتنام، كان هنرى كيسنجر يكتب المقالات، ويظهر فى مساجلات تلفزيونية، مؤيداً للحرب وقد انتزع فيها بعد أن كان يعمل ذلك ليحصل على الشهرة، فقد كان مقتنعا بأنه لا بد من استمرار الحرب لأنه ليس بإمكان الولايات المتحدة تحقيق الانتصار العسكرى.

جاء هنرى كيسنجر إلى واشنطن مستشاراً للأمن القومى فى إدارة الرئيس نيكسون الأولى (ثم أصبح وزيراً للخارجية فى إدارة نيكسون الثانية) وعنده هدفان يريد أن يحققهما.

كان الهدف الأول يخص وضع الولايات المتحدة فى العالم، فقد كان مدركاً أن عجز إدارة جونسون عن دفع تكاليف الحرب فى فيتنام وتكاليف برامج الإصلاحات الداخلية له دلالة خطيرة، وهى أن الامبراطورية الأمريكية قد وصلت إلى مرحلة التآكل فيما فيها الامبراطوريات بالانحدار، أى عندما يصبح وضع الامبراطورية الاقتصادى غير قادر على



ولتر ليمان

الاستقلال، كانت معاملة الأمريكيين البيض للسكان الأصليين من الهنود والمواطنين السود معاملة إمبراطورية بمعنى التحكم فى مصيرهم وتقليلهم من مكان آخر وحرمانهم من الحقوق السياسية والخدمية. وبعد الاستقلال، أصبح التاريخ الأمريكى كله تاريخ التوسع الامبراطورى، ابتداءً من التوسع فى الغرب الأمريكى طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بشكل تضاعف فيه عدد ولايات اتحاد من ثلاث عشرة ولاية إلى أضعاف لذلك العدد، ثم تحول التوسع إلى بسط النفوذ على بلدان أمريكا الجنوبية أخرى، ثم تكريس التوسع على امتداد العالم عبر الدخول فى حربين عالميتين والخروج منهما بسياسات وراثية الامبراطوريات الأوروبية وإقامة القواعد العسكرية فى آسيا وأوروبا وأفريقيا.

كان نند جونسون، من ناحية التبرية السياسية، وعلى الرغم من أساليبه فى الكذب والخداع، اميل إلى اتجاه (الحرية) من اتجاه الامبراطورية، فى السياسة الأمريكية، فقد كان اهتمامه الأول هو العمل على تطبيق برامج (الجمع العظيم)، أى توسيع مساحة الحرية بالنسبة للمواطنين السود والمواطنين البيض الفقراء. ولقد اعتقد أن الطريقة الوحيدة التى يمكن فيها من ضمان تأييد معسكر (الامبراطورية)، فى الكونغرس لتلك السياسة هو اتخاذ الموقف المتشدد فى جنوب شرق آسيا وتحقيق النصر العسكرى فى فيتنام. ولقد نصحه مستشاروه الاقتصاديون بأنه إن يكون قادراً على دفع تكاليف برامج (الجمع العظيم)، وحرب فيتنام، فى آن واحد، ولكنه لم يستمع لهم، وراح

ولكن فشل إدارته فى حل المشاكل التى تعرضت لها لم يكن بسبب أسلوب الكذب والخداع الذى مارسه طوال سنوات تواجده فى البيت الأبيض (١٩٦٣-١٩٦٩). ففى الواقع كان فشل تلك الإدارة يعود بالدرجة الأولى إلى أنها استعملت الحكم فى فترة زمنية وصل فيها التوتر بين الاتجاهين الرئيسيين اللذين يشكلان نسج السياسة الأمريكية إلى درجة عالية من التوتر قادت إلى الصدام من المعروف أنه ومنذ انتصار المستعمرات الأمريكية فى حرب الاستقلال (١٧٧٦) وقيام الولايات المتحدة الأمريكية (١٧٧٦) والسياسة الأمريكية تتحدد نتيجة للعلاقة بين الاتجاه الذى يكرس الحرية، كهدف أول فى السياسة وبين الاتجاه الذى يكرس الامبراطورية، كهدف أول. ومن المعروف أن قوة الاتحاد الأول تنبع من كون معمل المهاجرين الأمريكيين الأول قد تركوا أوروبا هرباً من أنظمة تفقدت إلى الحرية السياسية أو الحرية الاقتصادية. يؤكد أن الحفاظ على الحرية يتطلب حرب دامية ضد الاستعمار البريطانى. وقد كرس هذا التاريخ مفهوم أمريكا يؤكّد أن الحفاظ على الحرية يتطلب، جسداً متواصلاً من جيل إلى جيل، ومضموناً أو للحرية مضموناً اقتصادياً واجتماعياً يتغير مع الزمن. أما قوة الاتحاد الشائى فتنبثق من حقيقة أن التاريخ الأمريكى له وحتى قبل الحصول على الاستقلال كان تاريخ تأسيس للامبراطورية وتطورها، لها، فقبل

فكما كان معظم كتاب ذلك التيار ينتمون إلى اليسار الماركسى،

فى الخمسينيات

والستينيات من القرن الماضى، ثم

انقلبوا إلى أقصى اليمين فى أواخر

الستينيات



أن أى حل فى فيتنام لا يشمل على الهزيمة الكاملة للشيوعيين فى الجنوب يعنى انتصاراً للإتحاد السوفياتى وهزيمة للولايات المتحدة الأمريكية كما تأكد أن الرئيس جونسون يحرص على إبقاء علاقة جيدة معه هو لآ ذلك يساعد الرئيس على ضمان تأييد الجناح الليبرالى فى الحرب الديمقراطى تأكد لييمان أن جونسون قد خدعه، فراح يكتب المقالات التى يهاجم بها سياسته فى فيتنام، ويحذر من أن سياسة التصعيد العسكرى التى تتبعها الإدارة لن تقود إلا إلى كارثة بالنسبة للمصالح الأمريكية، وعندها شعر جونسون بأن لييمان قد انقلب عليه وانضم إلى معسكر أعدائه، فاعطى الأوامر إلى مساعديه بقطع أى اتصال به، وراح جونسون يتحدث عنه فى المحافل الدبلوماسية وأمام السفارة الأجانب على أنه ذلك العجوز الخرفان، الخائن، حشد الشجار العلنى بين رئيس الجمهورية وبنيتى الصحافة فى أوج تزايدت فيها التقارير الصحفية والإشاعات عن أن حادثة خليج تونكين التى حصلت بموجبها إدارة الرئيس جونسون على تفويض من الكونغرس فى ٧ آب ١٩٦٤ باستعمال القوة العسكرية فى جنوب شرق آسيا بدون إعلال حرب كانت حادثة لمعقتها الإدارة وأن الظروف الحربية لفيتمان الشاعلية لم تهاجم سوى البحرية الأمريكية كما تدعى إدارة جونسون^(٢).

لم يعد ولتر لييمان قادراً على أن يمارس دوره كينديت، ولم يعد قادراً على موازنة مهنة الصحافة، ولم يعد قادراً على الحياة فى واشنطن. وقد قال هو نفسه لأحد أصدقائه إنه لم يعد قادراً على التفكير فى واشنطن، وفضل أن أجواء كلها كاذب وخداع. فكتب لييمان فى ٢٥ أيار/ مايو ١٩٦٦ آخر مقال له فى عمود (العمل وفدا) فى الهيرالد تريبيون، وعزل اليوم الصحفى، وترك واشنطن إلى نيويورك.

بحرور ولتر لييمان فى واشنطن، بدأت اتجاهات الصحافة الأمريكية تسوء حتى تسلى هنرى كيسنجر من وراء سور دمشق القديم وأسس فى واشنطن (صحافة التدخل السريع)، التى كانت بداية صحافة (أولاد أدو، فى الولايات المتحدة الأمريكية).

هنرى كيسنجر وجيمس رستون

كان لنند جونسون كذاباً ومخادعاً، وعلى ذلك يجمع كل الذين كتبوا عنه^(٣)

كان ولتر ليبمان يحب العمل كصحفي، ولقد رفض الكثير من العروض الخيرية للعمل في وظائف لها احترام وتقدير أكبر



كيسنجر

وفرانكلين (١٩٣٣-١٩٥٠). كما كان من حريجي جامعة هارفرد وله سجل ممتاز في الحرب العالمية الثانية. ولقد أصبح له شهرة كبيرة جداً في الخمسينيات والستينيات، وخصوصاً أنه كان معروفاً بأنه من الصحفيين الذين يعملون بجهد كبير للتوصل للحقائق. كما كان يتمتع بتقدير كبير لوفقه الشجاع في الدفاع عن الصحفيين في سنوات الكارثية السوداء، ولكن جوزيف السوب كان من أول ضحايا حرب الفيتنام، فلقد جره تأييده للحرب إلى أن يتخلى عن الموضوعية المهنية، فاستمر منذ منتصف عام ١٩٦٤ وحتى نهاية عام ١٩٦٨ يتنبا كل بضعة أشهر بقرع انهيار الفيتكونغ وانتصار الولايات المتحدة بالحرب. وكان من الطبع أن يؤدي ذلك إلى خسارته صدقيته كصحفي ومحلل سياسي.

أما الصحافي الثاني فكان جيمس روستون (١٩٠٩-١٩٨٥) الذي كان يعمل مراسلاً لجريدة نيويورك تايمز ومديرًا لكتبها في واشنطن، والذي كان الكثيرون يرون في مطلع الستينيات، أنه أقوى صحفي في واشنطن، ويجمع كل الدين كتبوا عنه بإشادة بأخلاقه وقدرته اللامتناهية على العمل الدؤوب ساعات طوالاً من أجل الحصول على الأخبار الدقيقة ومن أكثر من مصدر واحد. كان جيمس روستون محباً جداً لوزير الخارجية دين اتشون في نهاية الأربعينيات، وكان في تلك الفترة يكتبه الخالط للأحرار، مؤيداً سياسة اتشون التي كان اتشون يقوم بالإشراف على تنفيذها في إدارة الرئيس ترومان كما ورد سابقاً، وقد ذلك، لوستون وصديقاً وتلميذاً لوستون ليبمان ووصف تلك الصداقة بقوله: «كان ولتر يستعمل

القيام بأعباء متطلبات الامبراطورية العسكرية. وكان مدركاً أيضاً أن سياسة توصيف الإنفاق على برامج الإصلاحات الداخلية، التي ينفذها فيها اليمين الأمريكي، هي سياسة غير حكيمه واستعمل على إضعاف الامبراطورية من الداخل، فهو في موقعه في الحزب الجمهوري لم يكن من المحافظين المرجعيين بل كان من المحافظين المعتدلين كنكسون، والذين يطلق عليهم في السياسة البريطانية اسم المحافظين الجرم (Red Tones) وكان يعتقد أن بإمكان الولايات المتحدة تقليص تكاليف السياسة الامبراطورية، وذلك عبر إقامة توازن دولي جديد يقصر إلى حد كبير إمكانات نشوب حرب مكشوفة كحرب فيتنام. وكان يرى أن الظروف العالمية مؤاتية لإقامة توازن دولي جديد، يحاكى التوازن الذي قام في أوروبا طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر، وهو التوازن الذي تكسره بعد مؤتمر فيينا عقب هزيمة نابليون ولعب في الإغراء له وزير خارجية بريطانيا روبرت كاستراي (١٧٩٤-١٨٢٢) ووزير خارجية النمساوي كليمنس فون شونشويخ (١٨٠٧-١٨٨٠). فلقد كان موضوع أطروحة هنري كيسنجر التي نال عنها شهادة الدكتوراه عام ١٩٦٤ هو «السلام والشرعية والتوازن: دراسة في موهبة رجل الدولة عند كاستراي وشونشويخ، ومن أجل تحقيق هدف بناء توازن دولي جديد، بدأ كيسنجر تصالاته السرية باليمين.

كان هدف كيسنجر الثاني، فكان يخص وضع الصحافة والإعلام في الولايات المتحدة بشكل عام. فلقد كان مقتنماً أن إحدى مشاكل حرب فيتنام هي أن التلفزيون الأمريكي قد أدخل الحرب إلى كل بيت أمريكي، ولذلك بدأ على الفور في محاولة التأثير على الصحفيين عن طريق عقد صلات مع الصحفيين الذين يستطيعون أن يكونوا نجوماً «مبتدئين» قادرين على التأثير في الرأي العام بشكل يخدم مصالحه.

بعد أن ترك ولتر ليبمان واشنطن، كان هنالك كثير من يطعن على واحد منهم في أن خلفه ويصعب بتدبير الصحافة الأولى، وفي الحقيقة، كان هناك اثنا عشر فقط لهما من القدرة والشهرة ما يؤهلها لتبني ذلك المركز.

كان الأول هو جوزيف السوب (١٩٠١-١٩٨٩) الذي كان يكتب عموداً في جريدة نيويورك هيرالد تريبون يتم نشره في ٣٠٠ جريدة أخرى في المدن الأمريكية. وكان جوزيف من أسرة لها صلة قرابة مع أسرة روزفلت التي جاء منها رئيسا للجمهورية: ثيودور (١٩٠١-١٩٠٩)

قدمي وكنت أستعمل عقله... وكان في ذلك نصف حقيقة أنه هو روستون كان يدور في واشنطن طوال النهار بحثاً عن الأخبار، وفي المساء كان يقوم بعرض ما عنده على ليبمان الذي كان يقوم بشرح معنى تلك الأخبار ووضعها في السياق الصحيح. وبعد سنتين من غياب ليبمان عن واشنطن، جاء هنري كيسنجر ليملأ مكان الأصحاب الخالي في عقل جيمس روستون وقلبه.

في السنوات الأولى من عصر إدارة الرئيس نيكسون كان اسم جيمس روستون من ضمن أسماء القائمة السوداء السرية التي وضعها مساعدا الرئيس في البيت الأبيض، وفي القائمة التي تضمنت أسماء أعداء الرئيس من الصحفيين. وفي الوقت ذاته، كان جيمس روستون يكتبه الخالط لوستون ليبمان مؤيداً سياسة مستشاراً للأمن القومي. وقد وصل ذلك التأييد إلى ذروته عندما كتب روستون أحد مقالاته في النيويورك تايمز بعنوان «لقد هنري كيسنجر مع جيمس روستون». وقد قادت تلك العلاقة إلى حادثة هامة في نهاية عام ١٩٧٢. ففي منتصف كانون الأول / ديسمبر من ذلك العام، أهدمت الولايات المتحدة على قصف هانوي عاصمة شمال فيتنام بالطائرات في العملية المشهورة باسم «فتايل عيد الميلاد»، وعندما كتب جيمس روستون في مقاله في النيويورك تايمز يقول: «من المؤكد أن هنري كيسنجر يعارض عمليات قصف هانوي، وهو لم

كان كتاب، ثقافة الاستسلام، ينتمون إلى يسار حركة التحرر العربي في الستينيات والسمينيات، ثم انقلبوا إلى أقصى اليمين في مطلع التسعينيات



يتحدث عنها بشكل علني. وإذا استمر القصف ولم يتوقف، فإن من حقه أن يقدم استقالته... وما أن صدر المقال حتى جن جنون الرئيس نيكسون، وذلك لأن هنري كيسنجر كان هو الذي اقترح فكرة قصف هانوي. وهو الذي اقنع الإدارة بها. وعندما واجهه أعوان نيكسون بالموضوع أنكر كيسنجر أنه هو الذي أوحى لروستون بمكرة القصف. فلم يصدقه نيكسون. بل أمر بضخ سجل تلفيات كيسنجر فتيبين أنه أجرى مخابرة تلفونية مع رستون قبل ساعات قليلة من صدور المقال في النيويورك تايمز. وهكذا، أسس هنري كيسنجر ومساعدة جيمس روستون «صحافة التدخل السريع، في واشنطن». لقد خدع كيسنجر روستون لأنه كان يريد تضليل الكونغرس وتضليل الشعب الأمريكي وتضليل العالم. ومع ذلك، لم يصد نكسون إلى إالبته، بل على العكس، قام بعد سنة بترقيته من مستشار للأمن القومي إلى وزير خارجي. كذلك، لم يقضب روستون من كيسنجر ولم يتوقف عن الإعجاب به. وبشره المقالات بأبيدأ سياسات، فهدمها لصالح الصحافة في وضع «صحافة التدخل السريع، تكون الأمور قد وصلت إلى مرحلة اللاعودة

عبد الناصر وهيكال السادات

كان جيمس روستون يتمتع بمزاييا شخصية جيدة، ومنها أنه كان يعرف قدر نفسه. فهدمها سائة أحد أصدقائه لماذا يكتب دوماً مؤيداً الإدارة الموجودة في الحكم. أجهانه بأنه: إذا كنت صحفياً يسلك نهج انتقاد من هم في السلطة، فسبأني يوم يرحم الله رجال السلطة الاجتماع بك والرد على أخبارائك التليفونية، وستجد نفسك في النهاية وحيداً مع أرائك الشخصية، وأذا لا أحب ذلك، لأن رأيت الشخصية ليست جيدة... كانت الخصائص العربية مليئة بالصحفيين الذين ليس عندهم آراء شخصية جيدة، ولا يستطيعون الحياة بعيداً عن السلطة وما تؤمنه من امتيازات. ومع ذلك، شابت الأقدار أن لا يتم كشين «صحافة التدخل السريع، بشكل رسمي في العالم العربي إلا بعد أن بدأ هنري كيسنجر القيام برزائه المؤكدة للوصم للعربية وإسرائيل بعد حرب ١٩٧٣. كما شابت الأقدار أن لا يتم ذلك التشهير إلا بعد أن ترك هيكال «أساتذ، الصحافة العربية عمله الصحفي في القاهرة، تماماً كما تم تشهير



ولكنها محزنة في الواقع لتلّار الليبرالي في السياسة الداخلية ولتأثير اتصافهم مع الإنفاق السوفياتي في السياسة الخارجية، وأنها تقوم بتقليد الشبب الأمريكي وحجب حقائق الخطر السوفياتي عنه. ولقد وجد أولئك الكتاب بسرعة مشكلة عناصر في اليمين الأمريكي تمول لهم مجلات جديدة ومراكز أبحاث جديدة للدعوة إلى سياسة محافظة في الداخل تتناقض مع سياسات الإصلاحات الداخلية، وإلى سياسة متشددة ضد الاتحاد السوفياتي تعتمد على زيادة الإنفاق على التسلح، أي الانحياز الكامل لاتجاه «الامبراطورية، ومحاربة اتجاه الحرية». ولقد تم فيما بعد تسمية التيار الذي مثله أولئك الكتاب بتيار «المحافظين الجدد».

أما التطور الثاني الذي حصل في نهاية السبعينيات وكان له تأثير كبير على الصحافة الأمريكية، فهو تكريس التمتع الاعلام المرئي في منافسته مع الاعلام القروء. فقد أصبح المواطن العادي يسمع في الصحف، كما أصبح يتعرف على معنى القضايا المطروحة ومعضلها من مشاهدته برامج الحوارات السياسية في التلفزيون، أكثر من قراءته لافتتاحيات الصحف، وهكذا، لم يعد ممكناً أن توجد نجم أو بنيت صحفي أو كان يصحبر عمله في الصحافة المقروءة فقط. لقد أصبح النجم الصحفي هو الذي يظهر بشكل دوري على شاشة التلفزيون حيث يشاهده عشرات الملايين، وخبا نجم الصحفي الذي يكتب ويقرأ عشرات الآلاف أو حتى مئات الآلاف.

كانت النتيجة الأولى لهذه التطويرات الهائلة تكريس وضع مؤسسي لمرحلية «صحافة التدخّل السريع» يمنحها صفة الاستمرارية ويمنحها مشاكل الرغبات والأهواء المرئية. وقد تم ذلك عبر تسخير برامج حوارية في التلفزيون تبدو من ناحية ظاهرية أنها تهدف إلى تعريف المواطن الأمريكي على وجهات النظر المختلفة حول القضايا السياسية المطروحة، بينما هي تهدف في حقيقة الأمر أولاً وأخيراً إلى إقناع المواطن بوجهة نظر الحكومة حول تلك القضايا. ففي آخر الستينيات وبطالع السبعينيات، انشأت كل قناة لتلفزيون أمريكية برنامجاً حوارياً يضم ثلاثة أربعة من نجوم مقرباتها، الصحابة المكتوبة، يتحاورون لمدة ساعة أو نصف ساعة كل أسبوع حول أهم قضايا



ولتر ليبمان

مع صحافة التدخّل السريع، التي أسس لبداياتها هنري كيسنجر في أوائل السبعينيات يتطلب فهم تطوّر هامين حصل في المجتمع الأمريكي في أواخر السبعينيات. يخص التطور الأول مجمل الأوضاع الاقتصادية في بداية السبعينيات، حين لم يعد ممكناً السير على الطريق الذي سارت عليه إدارة الرئيس جونسون في الإنفاق على الحرب في فيتنام وعلى برامج الإصلاح الداخلية عن طريق التضخم المالي، كما أن أزمة الطاقة قادت إلى مشكلة الانكماش وارتفاع معدلات البطالة عن العمل. وما أن انتصف عقد السبعينيات، كان حال الاقتصاد الأمريكي يعاني من الأزمة المزوجة التي أطلق عليها اسم الانكماش التضخمي (Stagflation)، وهي مشكلة لم يمان منها الاقتصاد الأمريكي من قبل. وعندما استغلت الأزمة وعجزت سياسات الحكومة الاتحادية التقليدية عن التخلص منها أوحى وقف تفاقمها، بشكل صارخ أن التاريخ الأمريكي قد وصل إلى لحظة الحقيقة. فلم يعد ممكناً أن يتعاشر اتجاه «الحرية» مع اتجاه «الامبراطورية»، وعلى الحكومة الاتحادية أن تختار بين الإنفاق على التسلح أو الانسحاب على برامج الإصلاحات الداخلية. في هذه الفترة، ظهرت مجموعة من الكتاب الذين أخذوا يصغون بصوات عالية جداً محذرين من تعاطف قوة الاتحاد السوفياتي وتهددها للأمن القومي الأمريكي. وفي الوقت ذاته، أخذ أولئك الكتاب يهتمون الصحف الرئيسية في الولايات المتحدة أنها تدعى الموضوعية

والصحافة في البلدين. فإما صحافة التأييد المطلق للسلطة وإما صحافة المعارضة الكاملة.

جورج ويل وروالد ريفان

ليس هناك أي فرق في العالم العربي بين «صحافة التدخّل السريع»، و«صحافة القارئ الواحد»، على أساس أن الصحفي الذي يكتب بعد استلام مكالمة تليفونية من مسؤول في السلطة ينتهي إلى أن يكتب بشكل يرضي ذلك المسؤول فقط. وكلما ازداد رضا ذلك المسؤول عنه كلما ازداد حجم الحساب والامتيازات التي يحصل عليها من السلطة.

أما الوضع في الولايات المتحدة فهو ليس كذلك. هي الهيئة الديمقراطية الأمريكية لا يستطيع «كتاب التدخّل السريع» أن يحتفظوا بصديقهم مدة طويلة كما أنهم لا يستطيعون التحويل إلى «كتاب القارئ الواحد». ففي نهاية المطاف يحتاج الصحفي إلى مؤسسة إعلامية يعمل بها، وهذه تحتاج بدورها إلى تمويل الشركات التي لا تأثر بأمر رجل واحد، حتى لو كان رئيساً للجمهورية أو رئيساً للمخابرات. ولذلك، فإن فهم التطور الذي حصل

تلك الصحافة في الولايات المتحدة بعد أن ترك ليبمان «بنديت» الصحافة الأمريكية عمله الصحفي في واشنطن. من المعروف أنه طوال الخمسينيات والستينيات كانت هناك علاقة خاصة بين الرئيس جمال عبد الناصر والصحفي محمد حسنين هيكل. فقد كان هيكل يقدم المشورة والنصيحة لعبد الناصر في الوقت ذاته الذي يشرح فيه للقارئ سياسة عبد الناصر ويشرح لعبد الناصر هموم واهتمامات القارئ وكانت تلك العلاقة قوية وفعالة وناجحة. لأن ثقافة الرأفة بدون كانت تسمح بوجود مساحة بينهما شبيهة بالمشاحة التي كانت موجودة بين الرئيس ولسون ولييمان. أو الرئيس ديغول وأندريه مورو. كان عبد الناصر وهيكل على اتفاق تام حول الإطار العام للمصلحة القومية، ولكن كانت هناك اختلافات كثيرة بينهما حول الأساليب والتفاصيل. وكان الرجلان قادرين على مناقشة قلقة الخلافات بالحوار الذي يستفيد منه الإنسان وعندما أصبح أنور السادات رئيساً للجمهورية بعد رحيل عبد الناصر في نهاية عام ١٩٧٠، أصر على إبقاء العلاقة بينه وبين هيكل كما كانت أيام عبد الناصر. ولكنه كان لا تكون علاقة بدون مساحة. ففي الشهر الأول من توليه رئاسة الجمهورية، إقنع السادات وهيكل وأخبره بأنه ضمه أثناء اجتماعه الأخير مع جعفر النميري رئيس جمهورية السودان، بأن المبريري مستاء من أن هيكل يلقب ضمه متحيزاً للمعارضة في السودان. وقال السادات لهيكل إنه طمان النميري بأن ذلك غير صحيح وليست له ذلك فقد وعد به ما كتب هيكل ما يزال فيه كل الشكوك حول الموضوع. بالطبع، اعتذر هيكل ولم يقبل أن يكتب مقالاً يحدد موقفه لرئيس الجمهورية، وبالطبع، فإن ذلك أغضب السادات لأنه اعتقد أن هيكل لا يعامله كما كان يتعامل مع عبد الناصر. ولم يخطر بباله أنه هو الذي يسعى لأن يتعامل مع هيكل بطريقة مختلفة عن طريقة عبد الناصر. وبعد حرب ١٩٧٣ وتوصل علاقة «الصحافة» وبالنسبة كينيسر السادات والتي استمرت عن الحجاز سياسة الحكومة المصرية للمعسكر الأمريكي، كان من المستحيل بقاء أي علاقة بين السادات وهيكل. فترك الأخير رئيس تحرير الأهرام، ووقف عن الكتابة في الصحافة المصرية. وكان لخروج هيكل من الأهرام، تأثير على الصحافة المصرية مثابه إلى حد بعيد لتأثير خروج ولتر ليبمان من واشنطن على الصحافة الأمريكية. فقد كان مع الأخير إعلاناً صارخاً مبنياً عن إلغاء المسافة بين السلطة

لم يعد ولتر ليبمان قادراً على أن

يمارس دوره، ولم يعد قادراً على

مزاولة مهنة

الصحافة، فكتب آخر

مقال له في عمود

واعترز العمل

الصحفي



كان هيكل يشرح فيه للقارئ سياسة عبد الناصر ويشرح لعبد الناصر هموم واهتمامات القارئ



كيسر

CNN. وبرنامجه، مجموعة ماكليليفين، في محطة NBC.

عند التعليق في تاريخ هذه البرامج تلاحظ أن لكل برنامج مشرفا يقوم بدور توزيع الأذنين. وقد احتفظ ذلك المشرف، في كل البرامج، بوظيفته لمدة طويلة، وعادة حتى في التقاعد أو الوفاة. وتلاحظ أن العكس تقريبا هو ما حصل مع نجوم الصحافة الذين يشتركون في البرامج، حيث تغير الجوهرة بسرعة هناك من ظهر لمدة أشهر فقط، وهناك من حافظ على موقعه لبضع سنوات، ما عدا نجم واحد الذي هو جورج ويل الذي ابتداء بالظهور عام ١٩٧٧ في برنامج أفروديسي وشركاء ثم أخذ يظهر في الوقت ذاته في البرنامج الحواري لحظ ABC. عندما ابتداء عام ١٩٨١، وما يزال يظهر عليه حتى يومنا هذا مع أي كل الذين ظهوروا معه في بداية البرنامج غالبا عنه واحد بعد الآخر، كما جاء بعضهم من عمل بعد قصيرة ثم اختفى، فلما هو سر جورج ويل؟ كان جورج ويل في أوائل السبعينيات

استاذ جامعة يدرس مادة فلسفة السياسة، ثم ترك الحياة الأكاديمية وعمل مستشارا لأحد أعضاء مجلس الشيوخ الجمهوريين. وعندما سقط ذلك الشبح في الانتخابات ١٩٧٢، انتقل جورج ويل ليعمل في مجلة "المصلحة القومية"، وكانت هذه في تلك الفترة من أهم وسائل الإعلام التي تمثل الفكر المحافظ وتعدى الفكر الليبرالي وبسرعة صاروخية، تمكن من خلال هذه قصيرة من أن يصبح نجما صحفيا يظهر على برامج التلفزيون بشكل دائم، ويكتب مقالات صحفية أسبوعية في جريدة الواشنطن بوست ومجلة نيويوركر، ويشر القلم، ويسعى لإلقاء المحاضرات في الجامعات، لقد

الأحداث، ويستضيفون دوماً واحداً من كبار المسؤولين في الإدارة، كوزير الخارجية أو وزير الدفاع أو مستشار الأمن القومي أو أحد أعضاء مجلس الشيوخ. ويبدو للمشاهد أن المسؤولين عن البرنامج قاموا بأنفسهم باختيار المسؤول الحكومي الذي يظهر في البرنامج ليتحاوروا معه، ولكن، في الواقع، يقوم موظفو البيت الأبيض بتحديد من سيظهر من مسؤولي الإدارة في كل برنامج كل أسبوع، والأهم من ذلك هو أنه بعد أن ينتهي المسؤول الحكومي من شرح وجهة نظره حول القضية المطروحة ويبدأ نجوم القضايا الضرائف والأشواق الحكومية على الحالات المختلفة أو قضايا الأجهاض أو برامج الرعاية الصحية، إلخ. ولكن، إذا كانت القضية تخص الأشواق العسكرية أو الشرق الأوسط أو الحرب على الإرهاب، فإن "جملة الحوار" تتحول إلى مشهد وصفه أحد الكتاب الأمريكيين بأنه أقرب ما يكون إلى مشهد "قاعة التهيئة" (Cheers) (Leaders)، وهو مشهد يمثل الجميلات اللواتي يظهرن نصف عاريات على شاشة التلفزيون في مباريات كرة القدم يرفعهن ويهتفن تشجيعاً للفرق. أي أن يكون هدف كل أسئلة نجوم الصحافة هو إعطاء المسؤول الحكومي الفرصة ليتأكد على القضايا الرئيسية في موقف الإجابة، فليس هناك نقاش وليس هناك حوار. وهكذا، تحولت برامج التلفزيون الحوارية ببريقها الديموقراطية إلى مقر الإقامة المفضل للصحافة التدخل السريع..



وهو يبرز السؤال الطبيعي التالي: إذا كان البيت الأبيض هو من يحدد من سيظهر في البرامج التلفزيونية الحوارية كل أسبوع، فمن الذي يحدد من سيشارك في البرامج الصحفية في البرامج التي لا أسبوع من الذي يصنع نجوم أو "بندنيات" الصحافة الأمريكية؟ أشهر برامج الحوارات التلفزيونية هي برنامج "أفروديسي وشركاء" في واشنطن، وبرنامج العام وبرنامجه "داخا" وسمته، في محطة CBS. وبرنامجه هذا الأسبوع مع ديفيد برنكلي، الذي أصبح اسمه الآن هذا الأسبوع مع جورج ستيفانوبوليس، في محطة ABC، وبرنامجه "العصاة الرئيسية"، في محطة

أي فلسفة أو مبادئ أو قضايا وكان مستعد أن يترك لمعاونه ومساعديه ترتيب الأولويات ورسم السياسات واقتراح البرامج، بينما يكتب هو معرضا على المواطن الأمريكي. وكان يعرضها بشكل ناجح وفعال حتى وصفته وسائل الإعلام بأنه "المحدث العظيم" (The Great Communicator) بولذلك، أصبح جورج ويل من أشد المحبسين والداعين والمؤيدين لترشيح رونالد ريفان لرئاسة الجمهورية في انتخابات ١٩٨٠، وصل أثناء الحملة الانتخابية مستشاراً لريفا، ووصل الأمر به إلى أن يعمل مدبراً لريفا في الساعات التي سبقت مناظرة التلفزيونية مع الرئيس كارتر ثم أن يجلس أثناء المناظرة في مقعد المراقب الصحفي لجمعة ABC. ويقتل للمشاهد تقييمه لأداء المناظرة. ولقد رأى بعضه بوضعية تليق بصحافة "أولاد ادو"، ريفان كان أفضل من كارتر في المناظرة وبعد انتخاب ريفان، عمل جورج ويل مستشاراً غير رسمي للرئيس لكتب له بعض خطابات.

استمرت إدارة ريفان ثمان سنوات (١٩٨١-١٩٨٩)، وطوال تلك السنوات، كان جورج ويل زملا الفكري الموجود في عقل رونالد ريفان، تماماً كما كان هنري كيسنجر قبل ريفان زملا فراقاً فراقاً كيسنجر جود في نفسية جيمس روستون ولكن الشبه بين هنري كيسنجر وجورج ويل لم يتوقف على ذلك، فإذا كان هنري كيسنجر قد نجح على المستوى الاستراتيجي في فكris الصراع العربي - الإسرائيلي جزءاً من الصراع بين الولايات المتحدة وبين الاتحاد السوفياتي في سنوات الحرب الباردة، فقد نجح جورج ويل في وقتنا الراهن في فكris الصراع العربي - الإسرائيلي جزءاً من الصراع بين الولايات المتحدة وبين الاتحاد السوفياتي والصراع بين الأنظمة الديمقراطية والإرهاب العالمي، فهو يعرض قضية إسرائيل على أنها مقطع من التاريخ الأمريكي، إذ أنه يؤكد أن الخطر الذي يهدد إسرائيل هو في كونها تمثل في الشرق الأوسط الاستثناء وليس القاعدة، كونها كونهما الدولة الديمقراطية الصغيرة المسألة التي تميت وسط عالم عرس كبير تحكمه الدكتاتوريات الشمولية للدماء، وبشكل مماثل فهو يرى أن الخطر الذي يهدد الديمقراطية الأمريكية هو في كونها الاستثناء في التاريخ وليس القاعدة، من حيث أن الأنظمة الشمولية العالمية هي أكثر تشابهاً للأنظمة التي حكمت في التاريخ.

وقد شاركه في التحجيم الحلق لإسرائيل صحفيون

بدو تضليل المواطن بشكل دائم. ففي خلال عقد الثمانينيات، مارست صحافة أولاد أدو أكبر عملية تضليل في تاريخ الولايات المتحدة. ففي الوقت الذي كان الاتحاد السوفياتي على فراش الموت، كانت الصحافة تؤكد للمواطن الأمريكي أن الاتحاد السوفياتي يتقدم بسرعة كبيرة ويزداد تهديده للأمن القومي الأمريكي يوماً بعد يوم. وكانت تلك الصحافة تعتمد فقط على تقارير وكالة الاستخبارات الأمريكية التي أكدت أن الاتحاد السوفياتي في سنوات ١٩٨١-١٩٨٥ قد نما اقتصادياً بمعدل أكبر من معدل نمو دول الاتحاد الأوروبي بحوالي ٢٥ ٪. كما كانت تلك التقارير قد أكدت أن الاتحاد السوفياتي في سنوات ١٩٨١-١٩٨٥ قد نما اقتصادياً بمعدل أكبر من معدل نمو دول الاتحاد الأوروبي بحوالي ٢٥ ٪. كما كانت تلك التقارير قد أكدت أن الاتحاد السوفياتي في سنوات ١٩٨١-١٩٨٥ قد نما اقتصادياً بمعدل أكبر من معدل نمو دول الاتحاد الأوروبي بحوالي ٢٥ ٪.



وفي النهاية علينا أن نلاحظ ثلاثة أمور لها أهمية كبيرة. الأمر الأول هو أن صحافة أولاد أدو في الولايات المتحدة، أصبحت عبارة عن مستمرين من مثلي التضليل ومثلي مراكز الصمغ، ولم تعد هناك صحافة لها الاستقلالية التي كانت تدعى السلطة الرابعة. وفي هذا المجال، يكفي أن نلاحظ الفرق بين تعاطية الصحافة الأمريكية لحرب الفيتنام وتغطيتها لحرب غزو العراق. ولذلك، أصبح تأثير تلك الصحافة على الرأي العام ضئيلاً جداً. فعندما تقوم الفيتنام وتغطيها على نتائج استفتاءات الرأي العام في الولايات المتحدة في ربع القرن الماضي، نجد أن أراء غالبية الرأي العام كانت دوماً متناقضة مع آراء نجوم الصحافة والتلفزيون. ففي منتصف الثمانينيات، عندما كان نجوم الصحافة يتحدثون بشكل مستمر عن خطر الاتحاد السوفياتي كإمبراطورية لتشر في العالم تهديد الأمن القومي



ولتر ليبمان

الموقف عندما أخذت تكرر فكرة أن السلام مع إسرائيل هو الخيار الوحيد وأخذت تعرض ضد المقاومة في لبنان وفلسطين.

مستقبل صحافة أولاد أدو

قبل أكثر من نصف قرن، قال ولتر ليبمان، إن أزمة الديمقراطية الأمريكية هي في جوهرها أزمة صحافة، والذي يقصده بذلك هو أن التطبيق الناجح للديمقراطية يتطلب وجود المواطن الذي عنده معرفة حقيقية بالقضايا السياسية المطروحة حتى يتمكن من ممارسة الاختيار السليم للحكومة التي تشتهل وتكون قادرة على التعامل مع تلك القضايا على الشكل الذي يرضيه، ولكن طبيعة الحياة الديمقراطية الأمريكية المستحيل أن يكون عند المواطن العادي الوقت الكافي ليصبح مواطنًا مطلعاً على حقائق الأمور. ولذلك فإن للصحافة دوراً مركزياً في تثقيف المواطن وتوعيته على حقيقة ما يدور حوله من قضايا وأصوار. وكان ليبمان يرى أن الصحافة في وقته لا تقوم بذلك الدور بشكل فعال، حيث لا يقوم الصحفيون بنقل حقيقة الأوضاع السياسية للقرآن، ولكنهم ينقلون له دوماً وجهة نظريهم حول تلك الحقيقة. وغالباً ما تكون وجهة النظر تلك ما يخدم مصالح معينه وليس المصلحة العامة.

ولقد رأينا أن المشكلة مع صحافة أولاد أدو، سواء في الولايات المتحدة أو في العالم العربي، ليس أنها لا تقوم بنقل الحقيقة بشكل كامل للمواطن، بل إن المشكلة مع تلك الصحافة هي أنها تقوم

وبين إسرائيل التي لا تسعى إلا إلى حماية الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط.

وبعد ذلك، بدأ ويل في كتابة المقالات الصحفية والحديث في برامج التلفزيون الحوارية مهاجماً سياسات إدارة الرئيس أوباما التي كانت تقسوة له يمارسها في قبل. حتى وصل به الأمر إلى القول في مقاله في واشنطن بوست في الأسبوع الأول من سبتمبر/أيلول ٢٠٠٩ إن أوباما أصبح رئيساً غير فعال وأنه يحاول القيام بمهمات كثيرة بدون جدوى، وأنه أصبح كموسيقى المصاعد. هي دائماً مسموعة، ولكن لا أحد يهتم لها.

وعلى الأغلب إن هذا هو الأسلوب الذي سنتبنيه صحافة أولاد أدو في الولايات المتحدة تجاه الرئيس أوباما فمهما لم يهاجمه بشكل مباشر على موقفه من الاستيطان اليهودي في الضفة الغربية، ولكنهم سيركزون هجومهم على سياسته الداخلية. فهذا هو الأسلوب الذي اتبعه مع الرئيس بوش الأب عندما قامت إدارته بربط موضوع ضمان حكومة الولايات المتحدة لأقارب إسرائيل عشرة مليارات دولار بوقف الاستيطان اليهودي في الضفة الغربية في مطلع التسعينيات. صحافة أولاد أدو في الولايات المتحدة تتصرف على أساس اعتبار أي اختلاف مع السياسة الإسرائيلية جريمة يجب معاقبة مرتكبيها أشد أنواع العقاب. ولقد تبينت صحافة أولاد أدو في العالم العربي ذلك

أخرون. من أشهرهم ولهم سافير (١٩٩٦-) في نيويورك تايمز، وتشارلز كرومبار (١٩٥٠-) في واشنطن بوست. ففي الثلاثين سنة الماضية تبني هؤلاء الثلاثة مواقف متباينة تجاه كثير من القضايا، كما أن كل واحد منهم تبني مواقف تختلف مع مواقف تبناها في السابق تجاه قضايا معينة بعد تغير الظروف، ولكن لم يحدث أبداً خلال كل تلك السنوات أن اتخذ أي واحد منهم موقفاً ينتقد فيه إسرائيل. وأكثر من ذلك فهم يهاجمون بشكل دائم ما يسمى بحركة السلام في إسرائيل ويعتبرون أن دعوتها لتقديس بعض التورات، من الجانب الإسرائيلي من أجل التوصل للسلام مع العرب سياسة خطيرة. وإذا أردنا أن نأخذ مثلاً حياً على أسلوب عمل صحافة التدخل السريع، الدخيلة في صحافة مراكز الصمغ، فلننا أن ننظر إلى ردود فعل جورج ويل على الحطاب الذي ألقاه الرئيس باراك أوباما في جامعة الشافنر يوم ٢٠٠٩. بعد الخطاب حزين/أولونيو ٢٠٠٩. بعد الخطاب مباشرة، قال جورج ويل في أحاديته التلفزيونية وفي محاضرة ألقاها في احتفال لتسليم إحدى الجوائز التي تمنحها له المؤسسات اليهودية بشكل دوري، إن الرئيس أوباما لنسى أن يذكر الحقائق التالية في خطابه:

• لم يكن هناك دولة فلسطينية عبر التاريخ حتى قيام الانتداب البريطاني عام ١٩١٨.

• إن إسرائيل قامت عام ١٩٤٨ على مساحة أرض تساوي سدس من واحد بالمئة من مساحة الأرض التي تعرف بالعالم العربي، ومع ذلك فالعرب لا يقرهون بها.

• لم تنضم إسرائيل خلال واحد وستين سنة من عمرها بتاتية واحدة من السلام الحقيقي بسبب الاعتداءات العربية عليها.

• للضفة العربية ليست كما وصفها الرئيس أرميا محتلة من قبل إسرائيل. إنها أرض تركت بلا ملكية بعد انتهاء الانتداب البريطاني عام ١٩٤٨. وتم احتلالها بشكل غير شرعي من الأردن حتى عام ١٩٦٧ حين احتلتها إسرائيل بشكل شرعي نتيجة لتسديدها للاعتداء عليها من قبل الأردن في حرب ذلك العام.

كما أكد ويل أنه في العار على الولايات المتحدة أن تحاول إقناع سياسة مصفوفة ومتوازنة بين العرب وإسرائيل، إذ كيف يمكن لأمركا أن تساوي بين عالم عربي لا يسعى إلا إلى التحطم والدمار

بدأ كيسنجر في التأثير على الصحافة عن طريق عقد صداقات مع الصحفيين الذين يستطيعون أن يكونوا نجوماً قادرين على التأثير في الرأي العام بشكل يخدم مصالحه



جری تکریس بگرامج حوارية فی التلفزيون. تبدو أنها تهدف إلى تعريف المواطن على وجهات النظر المختلفة حول القضايا المطروحة

التي اكتفيتها حكومة الولايات المتحدة
في العالم العربي مع توافد صحافة
الاولاد ذوو هوانك
يطهر من هذه الامور الثلاثة
هناك مقاومة حقيقية ولا تصحاصا
والاولاد ذوو هوانك
المتحدة وتمتد هذه الظاهرة في الولايات
المتحدة في سياق الصراع بين الجناح
الامبراطوري و الجناح العربية، في
السياسة الامريكية، ان كانت في العالم
العربي في سياق الصراع بين الجناح
الشيعية، والجناح «التحرري» وفي
القول ان مستقبل العراق على
الولايات المتحدة يؤثر بشكل مباشر على
مستقبل الصراع في العالم العربي، وفي
في القول ان هذا العنصر صحيح

ثقافة الاستسلام، فقد رأينا أنهم يحاولون إلى تأييد السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، والذين هم في المحنة العرب بحجة أن الولايات المتحدة هي منة الله علينا، ولقد رأينا من قبله الحادثة، في عصرونا، ولقد رأينا كيف ينفخ في حقيقته الأمر يبدون مساعدات إلى أعداء الحادثة في الشرق الأوسط ويعدون العقاب الحقيقيين للحادثة إلى كل المجتمع. إن ولا يمكن الحقيقة ليس لهمود الحادثة ولكن الجوروت القوة في العالم العربي، وفي الولايات المتحدة، وفي فلسطين المحتلة، وللثقافة لا تصنع كتابا.

الأمر الثالث، وهو التواطؤ المزدوج للامم الثاني، فيخص وهو صحافة حرة شريفة لا يمكن بشكل شجاع وفي ظروف صعبة في العالم العربي وفي الولايات المتحدة ولها تأثير هائل على الرأي العام، فيمكن أن نلاحظ اهتمام الناس الكبير ببرنامج ص، فيمكن، في هذه الجزيرة الذي تدعى مسامك في شخصين في كل أودو في العالم العربي، وأما سور دمشق القديمة، ولقد ساعرا كلمة يرتفع فقط قصص الحزام الحرين ماضي الحرب وحاضروا ومستقبله، كما يمكن أن نرصد آثاره، يتجلى بحدسه مثل مقال من مقالات سمير هيرش في مجلة النيويوركر الأمريكية، وأما زخري، فمن أثر في كل يوم يصنع الضيغ الخزع في صحافة أودو المرمية والمروعة في الولايات المتحدة، فيص بصرير الجميع إلى الاستسلام إلى الكفص الضالمة الجديدة



الأمريكي والسلام العالمي. كانت استثمارات العالميتين أن أقلية (حوالي ٠.٢ ٪) تعتقد أن هناك خطراً سوف يأتيا على الولايات المتحدة. وأن للعالميتين تعتقد أن ما يهدد المجتمع الأمريكي هو الفقر والجريمة وندني مستوى النظام التعليمي. وفي تسعينيات، عندما كان نجوم تلك لصحة جيدة يتحدثون يوم توفى من خطر نظام صدام حسين في العراق على الأمن القومي الأمريكي لم يظهر ذلك الخطر إلا في الإطلاق في أي استفتاء للرأي الأمريكي، وبعد غزو العراق وبينما كانت غالبية تصور تلك الصحافة تطالب بزيادة بقاء الجيش الأمريكي في العراق ضرورتها غالبية الرأي العام تطالب بضرورة الانسحاب الفوري من العراق. وحتى في الأسابيع الأخيرة، ثلثي ما كانت تعتقد هي تلك الصحافة تصرون على أنه من الخطأ أن تقوم الحكومة الاتحادية بأي دور في تأسيس نظام قومي للربعية الصحية، ظهر استطلاع غابوب للرأي العام أن غالبية الرأي العام الأمريكي تعتقد أن من واجب الحكومة الاتحادية أن يكون لها دور أساسي في ذلك البرنامج.



DAVE GRANLUND © www.davegranlund.com

حبر الأيام الخوالي

مايكل ماسينج
Michael Massing

خاصة في الصحف يتم تسريحهم أو المؤسسات بأكلها تعلن إفلاسها. وهذا أدى بالضرورة إلى انقراض الاتصال من خلال الانترنت المليء بمحاولات صحفية ولكن في أغلبها لا ترقى للمهنية المطلوبة.

هذا الاتجاه الذي يهدد Keller من الجوقة التي تتعنى به والذي يقتل من شأن الانترنت وقدرته على ممارسة الصحافة وقدره المولدين على التمليق على الأحداث.

ولكن هذا الاتجاه يواجه نقدا لاذعا على يد المولدين أنفسهم، David Simon المراسل السابق في جريدة Baltimore Sun ومبتكر The Wire في مؤتمر عن مستقبل الصحافة، في مجلس الشيوخ اعلمها، «الإنترنت وسيلة رائعة».

ونفى عنهم صمة الطفيلية التي يتهمهم بها تيار الصحافة التقليدية تحت دعوى أنهم يأخذون الأخبار من الصحافة جاهزة ويعلقون عليها دون إضافة جديد، ولكن المدونين يرون أن مساهماتهم تخطي التكرار والتعليل؛ بل تتعدى هذا الدور بأنها مصدر الأخبار، حيث بدأ مستخدمو الانترنت يعتمدونهم بدلا من الصحف التقليدية. ولكن بالتأكيد الصورة الطفيلية التي يوضع فيها الانترنت بها شيء من الصحة، أولا جمع المعلومات الذي تقوم به المؤسسات الصحفية كان لكثير من مواقع الانترنت أن تحضر وتموت من قلة المعلومات. ولكن هذا الادعاء وحده

انهيار توزيع الصحف والجرائد... وتراكمت الديون والخسائر، وأصبح كثير من الصحفيين التقليديين بلا وظيفة... ولكن انتبهوا!... هل رأيتم ما جرى في إيران؟

تحرير صحيفة New York Times الصحفي Bill Keller، عن تناقص منتج صحافة الجودة، وتعبير، صحافة الجودة، هنا يقصد به هذه الصحافة التي تقوم بها مجموعة من المراسلين الذين تتوافر لديهم الخبرة، للذهاب إلى مكان الحدث، والتحدث مع شهود العيان، والبحث في الوثائق والملفات، والتواصل مع مصادره ليؤكد الخبرة والثقتين؛ وعادة ما يكون هذا المراسل مدعوماً بمحرر يطبق أعلى قواعد المهنة الصحفية.

ولكن Keller يرى أن هذه صحافة مكلفة وخطرة في بعض الأحيان، وأن الممارسين التقليديين لهذه الحرفة

انهاء الولايات المتحدة لا تستطيع تحمل مصفات مكاتبها في جنوب اسيا او الحفاظ على مراسل دائم لها في المكسيك او حتى بغداد، على الرغم من العمل الرائع الذي قام به مراسلو هذه المكاتب. في «الأيام الخوالي» كان من الممكن الاستغناء عن المراسلين ولا تتغير القدرة على تعطي الأخبار، هذا ما كتبه المحرر الرئيسي في مجموعة McClatchy الصحفي Mark Seibel ولكنه الآن يعترف أن هذه التقليصات الأخيرة في الميزانية وما ترتب عليها من تسريحات قد أثرت عليهم وبشدة مهتيا. في اوائل هذا العام تحدث رئيس

«وهذا لثبوتة Paper Cuts فإن 1947 عاملا بالصحف خسروا وظائفهم في عام 2008 وفي النصف الأول من عام 2009 انضم إليهم 10000 آخرون؛ قد يكون هذا رقما مضجعا ولكنه واقع لحوالي 26000 مراسل، محرر، مصور، كاتب عامود حول شئون العالم، ومحلل سياسى او اقتصادي، وصحفيين ممن كشفوا قضايا فساد، وآخرين يكتبون عن الثقافة والترفيه والرياضة... فقدوا وظائفهم ويواجهون هذا الواقع».

لقد تقلصت عضوية الاتحاد المراسلين الحريين والمحررين، من 600 عضو في عام 2001 إلى 100 عضو حاليا. وفي ابريل، أغلقت صحيفة Cox Newspapers مكتبها في واشنطن مما أدى إلى نقص في عدد المراسلين الذين يغطون أخبار الحكومة الفيدرالية.

أما Boston Globe، The Philadelphia، Baltimore Sun، The Philadelphia، Baltimore Sun، Inquirer، Newsday، كلهم اضطروا لإغلاق مكاتبهم الخارجية لتقليل النفقات، أما عن مجموعة McClatchy التي تضم صحيفة The Sacramento، Bee، The Charlotte Observer، وأكثر من عشرين صحيفة يومية تنوع في

بترتيب مع
The New York Review of Books

ترجمة: منة أكرام

يبدو قديماً وواقعياً، حيث إنه في أشهر الماضية المتصرفة بدأت مواد أصلية، ومثيرة ومستكبرة على الرغم من موضوعيتها في الظهور على الأنترنت. وهذا ما يسمى «بإعادة اختراع الصحافة»، باستخدام الأنترنت، على خلال تجارب متنوعة في جمع الأخبار وتقديمها وتوصيلها. وهذا ما يجب أن يفهمه محروو الصحف ليكونوا قادرين على مواجهة هذا التطور والبقاء على الدوام اللذان يعتبران رائدي هذا المجال هما Andrew Micky Sullivan. حيث أنشأ Kaus مؤسسته kaustfiles سنة ١٩٩٩، كما بدأ Sullivan Slate مؤسسته EŠullivan في The Daily Dish عام ٢٠٠٠، ويلنسون أيضاً في The Atlantic.

وهما مازالا يستخدمان نفس الأسلوب الذي نشراه وتميزا فيه، وهى تدوينات قصيرة وحادة تلمح على الأحداث وتقدم وصلات لمخالات وأعمدة رأى وثائق ومدونات أخرى، مما قد يهتم

موقعه قبل التطور في وسائل الإعلام الجماهيرية Sullivan محابياً أو حاول ادعاء هذا، فلقد كان راعياً ويشده في سقوط حكومة «أحمدى نجاد»، وفي حين كانت الكثير من وسائل الإعلام مكممة كانت The Daily Dish هي مركز الأخبار من قلب طهران، فأنا عند مشاهدته لشبكة CNN كنت أتابع وأقرأ موقعه وأقول وأنا واثق أنه وهو جالس على حاسوبه تفوق على شبكة CNN بكل مواردها

أسلوب Kaus و Sullivan الذي يعتمد على الاختزال والتعليق، هو أسلوب شائع بين المدونين ولكن على مر السنوات طوره البعض وأصبح له أسلوبه الخاص، ومن الأمثلة الواضحة هي مدونة Talking Points Memo التي بدأها John Marshall سنة ٢٠٠٠ عندما كان محرراً في واشنطن في The American Prospect.

بعد خلافات عدة مع زملائه المحررين

التي تضم TPMDC الشخصية، التي تغطي الأخبار السياسية، TPMuckraker التي ينشر فيها تحقيقات TPMcafe التي تظهر المشاركات من القراء والمتابعين، إلى Memo يوضح تغييراً سياسياً كبيراً حدث على الأنترنت.

في عام ٢٠٠٥ حين كتبت عن «عالم التدوين» blogosphere كان اليمين هو المسيطر وكانت أشهر المدونات اليمينية هي Drudge Report، ولكن اليسار الليبرالي هو الاتجاه الصاعد في الحين الذي وجهت طلائع المحافظين للحد من عبر الراديو.

وفي زيارة مؤخرًا لكتاب TPM في منهاتن، كان المكان به حوالى دريتة من المرسلين الشباب والكتاب والموصليين،

الخيارية مثل The New Minutes 60 York Times، ونشر هذه التحقيقات من خلال هذه المؤسسات حتى وجدت أنه من الضروري أن يكون لها موقعها الخاص على الأنترنت. ولقد تحدث Paul Steiger رئيس التحرير السابق لصحيفة Wall Street Journal، ولدير الحالي للمعنية «أن الشباب المثقف الذي يجيد التعامل مع الأنترنت المدونين أصيهم من أمثال Paul Kiel هم كز حقيقي فيدلًا من قراءة الوثائق الحكومية فقط فهو يبحث على الأنترنت ويتصل بمصادره ويصنع الأخبار من مكانه لتدور حيلة الموقع».

من مهام Kiel الترجمة على الأنترنت والبحث عن التحقيقات التي قام بها الآخرون وتوسيع هذه التحقيقات والتعليق عليها لإلقاء الضوء عليها وجذب الانتباه إلى ما تحتويه من أخبار وأراء. كما خصص Kiel موقعاً قديماً لمتابعة كل الأموال التي تصرفها الحكومة في واشنطن ولكن

بالطعمية، ولكن في أوائل يونيو مثلاً. كتب Sullivan تحت عنوان «أين يقف اليمين المتطرف الآن؟»، «شاهدت هذا في «أسن»» (حيث كنت أحضر مؤتمر هناك)، حيث يصرح Michael Scheuer أن أصل الولايات المتحدة الوحيد هو هجوم كيرين يقوم به «أسامة بن لادن، ليتمكن الحكومة الأمريكية من اتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية مواطنيها، كما يقفون على حافة الجنون ويقتربون منها كل يوم أكثر، هذا هو مكان اليمين المتطرف».

وبذل هذه التدوينة بوصلة لقطع فيديس عرض على شبكة Fox التلفزيونية يتحدث فيه المحلل السابق في الاستخبارات الأمريكية Scheuer أنه على ما يقوم بن لادن، بهجوم على الولايات المتحدة.

قد يكون في هذا اعتماداً على الصحافة التقليدية دون الالتئان بأى أخبار من قبله وبالقرعة المستمرة لتدويناته فهي تفتح الباب إلى تدوينه من المصادر التي تحصر عن اتجاهه الكاثوليكي، الشيوعي، الراديكالي - الليبرالي، مما ينتج عنه رؤية خاصة ومختلفة للعالم.

ومثال واضح على ذلك هو ما حدث بعد الانتخابات الإيرانية، حيث أصبح موقعه متابعاً حياً ومثيراً لكل الراسل الكرتونية، تحديثات تويتر، مقاطع الفيديو على YouTube، الصور من طهران وبعضها كان يظهر على

حول تأييده Bill Clinton وسياسات التجارة الحرة بدأ في العمل بشكل مستقل وبدا التدوين، وقد استلهم من أسلوب Kaus و Sullivan ولكنه اضاف من المحرر بداخله، فلم يقتصر الأمر على التعليق على الأخبار بل كشفها في بعض الأحيان.

وفي أوائل هذه الأخبار التي فهمها هي الكشفت على التعليقات المنصرفة التي أطلقها Trent Lott حول Strom Thurmond التي كتب عنها في أكثر من تدوينة مما ساهم في سقوط Lott. مع التساق قاعدة الزارة لمدونة TPM أصبح Marshall قادراً على جذب العلنيين وأصبح لديه طاقم من المواطنين يساعده في الكشف عن المزيد من الأخبار، وأيضاً بدأ القراء بتدوينه بمعلوماتهم ومن الأحداث السياسية في مجتمعاتهم ومن خلال هذه الرسائل استطاع Marshall لفت انتباه الصحافة القومية للموضوع مما ساعده في الحصول على جائزة George Polk.

اليوم موقع TPM من أكثر المواقع السياسية زيارة على شبكة الأنترنت بالإضافة إلى مدونة John Marshall

الذين يقومون بعمل وصلات لواقع أخرى، يعملون بجد أمام حاسوبهم، أما Marshall الذي أنشأ موقعه السياسي الوجه المحايد فقد شرح لي أنه يقضى معظم يومه في قراءة الرسائل الإلكترونية ويقول عنها، «تصلنا رسائل الكترونية من الحبحم والحدوة أكثر مما يصل إلى صميفتي The New York Times و The Washington Post». وهذا يتيح لي فرصاً لمزيد أكثر من أي صحيفة يتقدم مصادرها، التي في أغلبها تكون مصادر محترفة ممن اعتادوا الاتصال بالمراسلين واعطاءهم المعلومات، معلوماتنا تأتي أيضاً من الطبقة السياسية التي لا تعمل في الصحافة السياسية لذا فإذا حدث أي شيء في أي مكان أسمع عنه، وعلى مر السنين ساعد Marshall في تدريب العديد من المدونين الذين أخذ مهاراتهم إلى مؤسسات كبيرة، مثل Paul Kiel الذي قضى عامين في TPM ثم عمل في ProPublica وهي وحدة تحقيقات الكترونية تدعمها منتج تقدر ثلاثين من المستثمر العقاري Herbert Sandler وآخرين. ومنذ بداية ProPublica عام ٢٠٠٨ وهي تقوم بتحقيقات هائلة تكشف العديد من الفضائح، عن تورط الأطباء في عمليات التسمم حتى قلوب مياه الشرب من اكتشاف الغضب العلبي. هي البداية قامت ProPublica بعمل تحقيقات مشتركة مع مجموعة من المؤسسات

الموقع مازال قيد البناء لتجميع ومنطقة كل هذه الأرقام والأحصاءات والرسوم البيانية وهذا ليس بالعمل السهل ولكنه تجربة مهمة ومنطرة لتبين جدوى عمل تحقيقات إخبارية على الأنترنت.

Kiel هو مثال عن جيل جديد يجيد بين الممارسة الصحفية التقليدية واستخدامات الأنترنت المتقدمة ومن هذا الجيل أيضاً Matthew Yglesias وهو مدون يبلغ من العمر ٢٨ عاماً بدأ التدوين وهو طالب في هارفارد، ويكتب الآن عن السياسات الأمريكية في Think Progress وهي مدونة «مركز للتقدم الأمريكي» Center for American Progress. Ross Douthat مدون يتخرج من هارفارد، في سنة ٢٠٠٢ عمل في The Atlantic محرراً ومدوناً والتحق هذا العام بصحيفة New York Times كتبت عزرا. وعلى قائمة هذا الجيل أيضاً Ezra Klein الذي بدأ التدوين حين كان طالباً في جامعة كاليفورنيا بسانت كروز، وقام بتطوير خبرته في مجال الرعاية الصحية بما أهرح حركته Post The Washington وبعينون ليئون على موقع الجريدة، «أشرح تخطي أهمية التعليق، وفقاً لما يقوله Klem الذي يبلغ من العمر ٢٥ سنة أصبح الأنترنت الآن منبراً لكل الأمريكيين من مختلف الخصائص والأعمار الذين تجول بخواطهم الكثير من الأفكار ولكن لا يكون قناة لثب هذه الأفكار؛ مثال على هذا Marcy Wheeler التي



أينده، يتابع كل التشريعات التي تصدر من الكونجرس بخصوص إسرائيل على مدونة اليسارية الليبرالية Daily Kos. Rosenberg أحد العاملين السابقين في AIPAC وناشط عنهم، يشرح كل نشاطات اللوبي الإسرائيلي على مدونة Talking Points Memo المدعومة من المدافعين عن إسرائيل من أمثال Ron Kampeas Michael Goldfarb المحرر لصحيفة The Weekly Standard الإلكتروني، والصحفي والمدون المهم والأكثر تأثيراً في الأمور الخاصة بإسرائيل Jeffrey Goldberg.

والطرفان يتسلحان بالمعلومات اللاهوائية الموجودة على الإنترنت، فيصير المدون Philip Weiss صاحب مدونة Mondoweiss، لم يكن باستطاعته الحصول على جريدة هاريزر الإسرائيلية سوى عن طريق Hotelling، أما الآن فيمكنه الحصول على كل الصحافة الإسرائيلية والعربية الإلكترونية.

Weiss هو أحد الدين ينشأضلون وعادوا لسنوات طويلة من إحباط صوته في الوصول لقراء المجلات والجراند ولكن البديل الإلكتروني من خلال مدونته أتاح له الفرصة لجمع حوالي ٨٠٠٠ دولار من تبرعات القراء والسفر في قافلة مناهضة للحرب إلى غزة، وقام بعمل مجموعة تقارير عن أوضاع من قابلهم من طلبة وعاملين بمجال الإغاثة ومستوحي عن حركة حماس.

حتى الآن الأحداث التي تقصر عناوين الأخبار هذه الأيام فالإنترنت قادر على متابعتها بالكشف والتحليل، ومثال على ذلك عند احتدام أزمة الرهونات العقارية في أواخر عام ٢٠٠٧، مع الصحفيين إلى مدونات يكتبها اقتصاديون مخضرمون ذو خبرة واسعة في المجال ليستهموا في ماوية الأزمة ومنها: مدونة Calculated risk لصاحبها Tanta، ومدونة Naked Capitalism التي تحدث فيها Yves Smith عن مسائل تتعلق بصناعة الخدمات المالية ومشاكلها، ومدونة Grasping Reality with Both Hands التي تناول فيها البروفيسور Brad Delong جماعة كالفينونا بيبيركلي، الأزمة الاقتصادية وقدم تحليلاً دقيقاً عن السياسة الاقتصادية.

فرصة الوصول إلى افتتاحيات الصحف الكبرى، ومثال على هذا هو Juan Cole الباحث في شئون الشرق الأوسط بجامعة ميتشيجان، الذي قام في مدونته Informed Comment بتقديم تحليل دقيق لكل التطورات الحادثة في العراق وإيران الآن أكثر من معظم المراسلين الموجودين هناك فعلاً. اليوم، بإمكانك أن تجد معلقين خبراء تحريراً في كل المجالات على الإنترنت، فمثلاً للحصول على رأي حول مشاكل الرعاية الصحية في أمريكا تقرا مدونة KevinMD لكاتبها Kevin Pho، ونظرة واقعية ومتجددة على أحوال التعليم في مدونة joannejacobs.com وللحديث عن سياسات الدواء مدونة The Reality Based Community للبروفيسور Mark Kleiman في جامعة كاليفورنيا،

مبدأ عن هذه المجهودات الفردية. فبعد فتح الإنترنت المجال للحديث عن المواضيع المسكوت عنها مثل سياسات الولايات المتحدة الأمريكية الداخلية تجاه إسرائيل، كل النشاطات التي تقوم بها الجماعات المساندة لإسرائيل مثل AIPAC كانت مسكوتاً عنها خوفاً من إتهام من يتناولها بمعاداة السامية أو معاداة إسرائيل. اليوم الإنترنت يفتح بأخبار وتحليلات وآراء حول العلاقات الأمريكية، الإسرائيلية. Rob Browne - طبيب الأسنان الذي يعيش في لونغ

تيمش في «أر بوز»، في «ميشيغان»، الحاصلة على شهادة الدكتوراه في الأدب المقارن وتعمل مستشاراً في صناعة المحركات وقد بدأت التدوين في عام ٢٠٠٤. بدأت تدوينها في جذب الانتباه على مدونتها عن leak Valerie Plame case، وهي بداية عام ٢٠٠٧ قامت بعمل تدوين حتى ومباشرة لمحكمة Lewis Libby. وفي وقت لاحق من نفس العام بعد أن تركت عملها كاستشارية بدأت في العمل بالتدوين بدوام كامل لصالح مدونة FireDogLake وهي مدونة يسارية جماعية، وهي تركز الآن على قضايا التجديف والمراقبة للاتصالات دولي. إدن، وأزمة صناعة المحركات. لقد سمعت في Wheeler في الماضي حين ظهر اسمها في مقال تصدر الصفحة الأولى في جريدة The New York Times عن صدور مذكرة عن أساليب الاستجواب في ولاية الرئيس «بوش». فمن خلال قراءة استخلاص أن، خالد شيخ محمد، قد تم تعذيبه بطريقة waterboarding ١٨٣ مرة في شهر واحد، ونشرت هذا الكشف في صحيفة The Huffington Post ونقلته عنها The Times.

«ادعاء أن عملنا هو عمل طفيلي هو مهزلة. هناك الكثير من العمل الجاد والأصلي في عالم التدوين، نصف الصحفيين الآن يرجعون إلى الفضاء التدويني عند كتابة قصة. وفي نفس الوقت يسعدني أن اعترف أنني لا زلت أعتمد على الصحفيين. فلا يمكنك الحديث عن التجديف دون الحديث عن Jane Mayer في The New Yorker، هذا ما قالته لي Wheeler في حديث تلفوني، كما تحدثت كلانا مع Dana Priest وJoby Warrack في Washington Post، James Rising، وDouglas Jehl في The New York Times. من الأفضل الحديث عن علاقة تكاملية بدلاً من الحديث عن علاقة طفيلية، وأضافت أن، أكثر ما يرجع للمدوين هو الفصل الذي يقوم به الصحفيون ومحاولة الحفاظ على الوصف الحالي دون تطويره أو الاستفادة منه».

وعلى العكس أثبت الفضاء التدويني قدرته على اجتذاب المتخصصين في مختلف المجالات الذين لا تتوفر لهم

عند قيامي بالأبحاث اللازمة لكتابة هذا المقال صادفت الكثير من المواد المكتوبة عن العلاقة بين وول ستريت وواشنطن، مثل التحقيقات التي يقوم بها Ryan Gnm وتنتشر على موقع صحيفة Huffington Post التي تتميز بتحقيقاتها المنيعة والثرة ما لا يكون لها صدى واسع لدى القراء خاصة فيما يخص المشاهير، ولكن مكتبهم الجاه في واشنطن يضم ٧ محررين متميزين منهم: Dan Froomkin الذي انضم للصحف بعد إنهاء عقده مع Washington Post بالإضافة إلى Grim، وعمله اللافت في تغطية أخبار الكونجرس والمعارك الضارية بين البنوك، شركات البطاقات الائتمانية، وشركات الرهونات العقارية. وحتى أنه نشر ملاحظات السيناتور Dick Durbin عن تحكم البنوك في أسواق الكونجرس، وهي الملاحظات التي أعمل تغطيتها الإعلام المقروء، حيث علق السيناتور قائلاً: «لم يكن أحد ليصدق أن البنوك في ذروة الأزمة التي خلفتها بنفسها كان سيكون اللوبي الخاص بها كل هذا التأثير في Capitol Hill، ولكن بصراحة كمن يمتلكون المكان، ولكن بعد كتابات Gnm بعدة أسابيع، كتب Frank Rich عن فئس الموضوع في صموده في صحيفة Times، وتبنت Arianna Huffington الكتابية عن هذا الموضوع المهم في مدونتها تحت عناوين ساخنة، مثل: «لماذا يعامل أصحاب البنوك كملوك؟»، و«الصالح البنوك هي ما يحرركم الكونجرس»، على الجانب الآخر كانت تغطية الصحافة المقروءة للأزمة الاقتصادية معالجة مخففة، وعرضية، ويتم تحييدها من قبل رجال الأعمال أصحاب المصالح والمتحدين باسمهم وهو أمر يضطر الصحفيين للرجوع إليه تحت قواعد المهنة، ولكن هناك استثناءات مثل مجموعة التقارير التي كتبها Stephan وGretchen Morgenson وLabaton وشريت في صحيفة Wall Street Journal. ولكن المدون تحرروا من قيود المهنة والحيادية التي تفرض عليهم شكلاً لطرح القضايا؛ إذ أصبح المدونون يعبرون عن آرائهم واتجاهاتهم السياسية؛ مما جعل محيط التدوين محيطاً جاداً

الصحف التي لم تدرك أننا نعيش في عالم له آلياته الاقتصادية الجديدة، وأن الخيارات أمام القارئ اتسعت بشكل غير مسبوق، ستقرض ولو بعد حين

المؤكد أن التحليلات والصحافة العميقة (الثقيلة)، هي التي ستستمر بعد أن تهجر

الأخبار، الصحافة التقليدية إلى وسائل أكثر سرعة.

وأكثر ديناميكية

الكثير. وهذا دليله أروباد طلب المستهلك على صحافة الأفراء بدلاً من البركة المسجلة للمؤسسات الصحفية ومثال على هذا تجربة GlobalPost التي تعتمد في أساسها على مراسلين ومصورين مستقلين. وفي مقارفة أخرى قدمها باحث في علوم الإنترنت والبروفيسور في جامعة نيويورك Clay Shirky قال أن: ما يحدث الآن شبيه لما حدث عندما استكرت الصحافة المطبوعة، وكيف أن وسائل نقل المعلومات التي كانت موجودة قبلها اندثرت وأن هذه الثقة صاحبها الكثير من الشك وعدم التأكد ويمكن رؤية المسألة من زاوية أخرى فكمما ساعد اختراع الطباعة على كسر القيد الذي فرضته الكنيسة على أوروبا في العصور الوسطى فانتشر على الإنترنت والصحافة في شكلها الجديد قد خرجنا من سطوة وسائل الإعلام الجماهيرية، وما سيحدثه ذلك من آثار على عملية الديمقراطية وتخلص من المركزية.

بالطبع الوسائل التقليدية لنقل الخبر ما زالت قادرة على إلامد الناس ولكن هي ستفقد على الكثير من التغير السريع الحادث في عالم صناعة الأخبار ومن سيدفع في مقابل خدمات الأخبار والمعلومات في المستقبل؟ هنا كنا نتحدث عن الأخبار هائلة هضلا محل شك، ولكن المؤكد أن التحليلات والصحافة العميقة (الثقيلة)، هي التي ستستمر بعد أن تهجر الأخبار، الصحافة التقليدية إلى وسائل أكثر سرعة، وأكثر ديناميكية، كما يشير باحث جامعة نيويورك. وتشير يتفق مع دراسات أخرى ذات صلة، تشير كلها إلى أن الصحف التي لم تترك أن انما تعيش في عالم له آلياته الاتصالية الجديدة. وأن الأخبار أمام القارئ أصبحت بشكل غير مسبوق، ستعترض ولو بعد حين، كما تشير أيضا إلى أنه لا يمكن أن يكون شباب الصحفيين قاهمين للآليات الحديثة. فالقائد في الحركة لن يستطيع أن يقود جنودا يستخدمون أسلحة ليس لديه الخبرة الكافية بها. بمعنى أنه إذا لم تكن القيادات الصحفية ذاتها واعية بمطلبات هذه الميديا الجديدة، لن تتمكن من إدارة دفعة العمل في عصر يموج بالتحدي والمنافسة. ■

إلى الإنترنت هو بمثابة حاضنة لكل هدد التحارب المثيرة. فموقع Youtube يقدم تصانص عن عمل التقارير التلفزيونية وكيفية تقطيع الأخبار العالمية، كما قامت Huffington Post بعمل صندوق لتسويل الأبحاث الصحفية. كما قامت GlobalPost بالشقيق مع عشرات من المراسلين المستقلين لإيجاد منافذ للنشر على مواقع مثل Minn Post في مينيابولس وVoice في سان دييغو يخبرون هل من الممكن القيام بخدمات metro reporting الإلكتروني. ومن التطورات الجديدة أيضا القسم المخصص في The Daily Beast لتدقيق الكتب وتحريرها. وكذا وحدة المناظرات الرئيسية على bloggingheads.tv. وتجمع مدونات الحافظين NweMajority.com الذي أنشأه David Frum من National Review

كل هذه المبادرات مجتمعة تدل بشكل حقيقي على وجود تغيير حقيقي في صناعة الخبر حول العالم، كما أوضح مركز دراسات بيو، للتمهير الضمعي في تقريره لعام ٢٠٠٩ ص: "دولة الأخبار، ما يلي

إن الدفة تتحول من يد المؤسسات الصحفية إلى ناحية الصحافة الفردية من خلال البحث والرسائل الإلكترونية والمدونات والإعلام الاجتماعي وغيره

إذا لم تكن القيادات

الصحفية ذاتها

واعية بمتطلبات هذه

الميديا الجديدة،

لن تتمكن من إدارة دفعة

العمل في عصر يموج

بالتحدي والمنافسة

الوصلات من مدونة أخرى وسين مجموعة من القراء والكتاب: وهذا وفقا لدراسة قام بها Wasik: أن ٨٥٪ من وصلات المدونات تكون لدونات تعبر عن نفس الأراء السياسية وتقريبا دون أي احترام للمدونات التي تقف على الجانب الآخر من موقفهم السياسي. مما يؤدي بالتأكد إلى خلق وعى مفتر مريباً وتدعم معلومات وتعرض جانب واحدا من الحقيقة.

على الرغم من وجود أصوات كثيرة تحاول التعبير عن أرائها: تواجه هذه الأصوات نوعا آخر من الفلترة وهو مسألة الأولويات، فمخبرو المواقع يحرصون على ظهور الأخبار المثيرة والحسية. فمثلا على الرغم من العمل الرائع الذي قام به Ryan Grimuk عن حقيقة العلاقة بين وول ستريت وواشنطن إلا أن خبر مثل وجود صورة Lindsay Lohan عازية الصدر على تويتر سيأخذ حيزا واهمية أكبر على موقع Huffington.

بالإضافة إلى كل هذا يعاني كتاب الإنترنت من مشكلة الإضغاع السريع للعمل، الذي يفرض عليهم سرعة التفكير والكتابة وقصر التدوينات مما لا يتيح لهم الوقت للعمل على مشاريع أكبر، فكمما يقول Jacob Weisberg المحرر السابق لموقع Slate، "العقبة الوحيدة التي لم تتخطها بعد هي كيفية ممارسة الشكل الصحفي المصطلح الإلكتروني". القراء لا يحبون قراءة مقالات طويلة على الإنترنت وهو ما دفع بخليقته David Plotz إلى منح فرصة لكل كاتب في الموقع مفتحا ٦ أسابيع للعمل على مشاريع كبيرة. ولكن كل ما سبق لا ينفي أن الانترنت لا يزال مرصا لشاشات، والحقائق المشوقة والأخبار الملقة، وكبر ديل كل ذلك هي الانتخابات الرئاسية الأخيرة، فالدونات السارية أضعفت أن سارة باين، قد ادعت الحمل تتعاضد أيتها وتجمل موقفها. والمدونات اليمينية ادعت أن الرئيس أوباما زور شهادة ميلاده وأنه لم يكن مواطنا أمريكيا. وكذا ما حدث وأن الانتخابات الرئاسية الأخيرة حيث اختلطت الرسائل الإلكترونية والفديوهات وتحديثات تويتر، هذه بالمقعة مما احتاج إلى خبراء لتطبيق هذه المصادر ليتابعها متصفحوا الإنترنت.

وحيا. وهذا يتجلى في جذب هذا المحيط لأشخاص من خارجة: Glenn Greenwald المحامي ومحامي الادعاء السابق هو حديث العهد بالتدوين فقد بدأه في ديسمبر ٢٠٠٥. ولكنه سرعان ما تبوأ المكانة والقيادة بمقالاته اليومية الطويلة التي تقدم تحليلا وافييا للأحداث مما جعله من قادة الرأي غير الرسميين.

أهم القضايا التي طرحها Greenwald واكثرها شراسة هي هجومه الصاري على إدارة الرئيس بوش فيما يخص الحربية بدون تصاريح، وأحدث هذه القضايا هو حديثه عن تأثير Goldman Sachs على إدارة الرئيس أوباما. كما هاجم Jeffrey Rosen ورفضه لتولي Sonia Sotomayor رئاسة المحكمة العليا بالولايات المتحدة. كما هاجم الصحافة القومية ككل لإصرارها على استخدام التلطيف اللغوي euphemism عند تناول مسائل التعذيب، وفي هذه المسألة كتب:

"في ظل إصرار وسائل الإعلام الرائدة في عدم تسمية ممارسات إدارة بوش بالتعذيب، على الرغم من موت أكثر من ١٠٠ معتقل، وعدم وصف الوسائل المستخدمة في ذواتهم، على أنها تعذيب ولكن عند استخدامها في بلدان أخرى تحرص هذه الإدارة في وضعها تحت بند "التعذيب، وفضح هذه الممارسات إعلاميا، وهذا يبين الكثير عن صحفيي هذه الأيام.

على الرغم من أهمية تدوينات Greenwald إلا أنها تعيبها بعض الأمور المتعلقة بالجريمة الإيديولوجية المبالغ فيها بكتائياته والتي غالبا ما تفقدنا القدرة على متابعة مقصده في وسط متانة التنظيم. مثل موقفه المناهض لرفض الرئيس أوباما نشر صور التعذيب الأخيرة من ذواتهم، فمع وجود منطلق قومه إلا أن موقفه يغفل الكثير من الاعتبارات العملية لعملية السياسة والتي يجب أن يتقيد بها لأعبوها.

ولكن مشكلة التدوين "غير المحاذ، أو الغير عن أراء أصحابه بوضوح أنه جعل محيط التدوين عبارة عن سلسلة من

الدين في عصر النهضة!!

التي يحتاجها لتوفر له النجومية بسيطاً مذهباً مبتسماً، ملوحاً في حببينا ينقلب عند لقائه بأحد أفراد العجيبين، بل على الأفراد متجهماً، متعجباً، ساخطاً، ويعجب المحببون من أمر تأثير قيصر أو نابليون أو هتلر أو غيره ممن سحروا الجماهير بينما كانت سيرتهم الشخصية منفرة تسحق في تاريخها الحشرات الفردية

رحلات الحرب كانت من نوع الطموحات الصردية بما فيها من نواقص النفس البشرية، بينما كانت رحلات أهل أوروبا بحكم مرحلتها التاريخية ذات نزعة جماعية ديموية. رحلات العرب خلا بعضها من بعض الضبط الأخلاقي ولكن بحكم ظروفها التاريخية خلت من روح السيطرة الاستعمارية، أما رحلات أوروبا فقد خلت وأكبر بحكم خروجها في مرحلة ظهور القوميات الأوروبية بجنودها السابقة من فصل بين الدين والدولة، وتولى للسياسة الدينية القيادة دون ضوابط أخلاقية مع طموحات الحكام.. خلت هذه الرحلات من أية قاعدة أخلاقية وانتهت الى نهايتها المحتومة وهي السيطرة الاستعمارية.

ولا ابداً أذا قلت أننا لو خرجنا الآن بأخلاقنا الى دولة استعمارية فعلنا كما فعل الاستعمار بنا. غياب الضوابط الأخلاقية الدينية للجماعة وغياض ضمير الحاكم، وغيبة السلطة في التوسع ستؤدي الى نفس النتيجة أو نفس المستوى من الانحطاط الذي وصل اليه الاستعمار في التعامل عندما خرج كجماعة يهدا السلاح تقوده سلطة متعترقة لقاعدة أخلاقية، وقد يسأل سائل.. ولكن الاستعمار الذي تتكلم عنه كان عاتياً ظالمًا ساحقاً في فترة كان البرلمان الانجليزي مثلاً في قمة سلطاته وسيطوته ديموقراطية؟

بمعنى أنه كان يفتقر حقاً الى ضبط العقيدة، وإن توافرت له سلطة الضبط الديني..

الأخلاقية النابعة من عقيدة صادقة التي تمتع بها الحاكم ضاعته، وكانت تمثل سلطة الصبغ الذاتي وجاءت جذور. ويكفي ان نقول انها بيد الحاكم أيضاً، ونتيجة هذه النتيجة وهي الاستقرار للنظام الاصيل، والافتقار أيضاً للمنقولات بشكل صحيح. افتقار لإنتاج قواعد محلية جيدة أصيلة، وافتقار الى حسن استخدام الإنتاج أو الصناعة المستوردة مهما كانت ضخمة أو مكلفة، وكاننا امام طائرة أو سيارة ضخمة معقدة التركيب قد نحسن ركوبها وقيادتها ولكن لا نحسن اصلاحها عند العطل، فيظل خبراء شركة إنتاجها يطاردوننا في صورة استعطف منا لهم.

وليس قولاً جديداً ان نقول ان التوافق مع الفات هو افضل ما يثر به الانسان لمرأة أصيلة. تعود مثلاً الى رحلات العرب ورحلات الغرب. رحلات العرب كانت تحمل احلام الفرد للكشف والبحث والثروة، وليس احلام الجماعة أو سيطرة السلطة، أو التوسع الاستعماري، كما جاءت رحلات الغرب في فترة التوسع القومي الاقتصادي والسياسي والعسكري. وبمسبب الكثيرون كيف ان الانجليز لبق مهذب عند التعامل معه فردياً بينما هو صاحب سيرة سيئة في وسط جماعة الاستعمارية. هنا هو الفرق بين الاحلام الفردية التي مهما اتسعت وصارت اطماعاً تظل تتواءم، وبين احلام الجماعة بقيادة توسعية استعمارية.. قيادة لا تزي بالفرق ولكن بالجملة. تتسحق بالجملة وتتوسع على حساب الجملة.

وإذا اردت مثلاً ان عكسيا لحالة الانسان بين فرداً وجمعيته، تأمل حالة نجم المجتمع السياسي أو الاجتماعي أو حتى الفني والفكري. ترى سلوك هذا النجم وسط الجماعة

ويضرب ويهان ويحبس حتى يموت جوعاً وعطشاً على يد وزرائه الاتراك.

والخليفة المتقي ٣٣٣٣.. يحاول الهرب من بغداد ثم يعود فيقبض عليه وتسلم عيناه ويصبح فيضريون الدفوف ثم تخذ منه البردة والقضيب والخاتم وتسلم الى المستكفي بالله رمزاً لانتقال الخلافة اليه. ودخل احد الأمراء ببغداد في ايام الخليفة القائم بأمر الله ٤٥٠، وسيطر على الدولة واكتفى من الخليفة العباسي بعمامة وعرشه وطلعمته وارسلها للخليفة الفاطمي في القاهرة رمزاً للالتقاء اليه. ولم تختلف صورة الاستهانة بالخليفة في مصر الفاطمية الى الاندلس الاموية، عنها في بغداد العباسية. وإذا كان الآن نستمع الى الموسيقى العسكرية من اذاعة ما نعرف ان انقلاباً عسكرياً قد حدث بصرف النظر عن نوعية انتماء السلطة، فان رمز الانقلاب في زمان الخلافة الضعيفة هو الانتقال الى (حي على الفلاح) الى (حي على خير العمل) أو العكس هو ذكر اسم خليفة دون اخر على المنابر. أو رفع العمامة من على راسه وخلع البردة من على اكتافه. اما السلطة السياسية فهي للشاطر يحصلها بصرف النظر عن انتماءاته.

واللاحظ ان فصل الدين عن الدولة في تاريخ أوروبا جاء مع توازن من مؤسسات ديموقراطية تبلورت بعد ثورات. مؤسسات جاءت لتعوض النقص الاخلاقي نتيجة فقدان قاعدة الدين بمفهومه الاخلاقي والاستعاضة عنه بقاعدة اخلاقية وضعية. ادن حكمت السلطة الدينية ببعض الضوابط مهما كان فيها من فرص التعاطي. بينما نجد ان الفضائل الدين عن الدولة في تاريخنا جاء دون تعويض من سلطة دينوية رقابية على الحاكم والنتيجة واضحة. القاعدة

« خيال الف ليلة وليلة وخيال (بوكاشيو) في الايام العشرة. خيال ابي الصغلاء وخيال (دانتي) في تصوير العالم الآخر. حي بن يقظان وقصة (روينسون كروزو) أو رحلات (جالير). خيال سرفانتس في دون كيخوت. كليله ودمنة واثال الشرق والعرب. وعندما جاء نابليون الى مصر عاد ومعهم (زينب). وعندما دار الرحالة الفرنسي (بوجفيل) حول العالم اصطحب معه شاباً من جزيرة تاهيتي الى باريس. والامثلة كثيرة حول خيال الشرق وزمان رومانتيكية الغرب.

وتسأل أهل الغرب من اصحاب دعوة العودة الى الطبيعة في رحلاتهم الشرقية

هل يتم الحوار؟ هل ينجح اللقاء؟ تسأل نثير قضية اكبر. الفارق بين زمان رحلة غربي وزمان رحلة شرقي. الفارق بين زمان وظروف رحلات جماعية شرقية. وزمان ظروف رحلات جماعية غربية. او بمثال واضح الفارق بين رحلات العرب الكشفية ورحلات العرب اللياحنة عن طريق الى التواصل الشرقية. الفارق بين خروج الجماعة العربية ودخولها الاندلس، وبين خروج الجماعة البرتغالية والاسبانية ودخولها جزر الهند الشرقية والغربية. ارجو ان نحسن المقابلة بجهود الى حين، حتى نصل الى اجابة على تساؤل طرحته الاجيال السابقة وما تزال تطرحه الاجيال الجديدة..

هل كان الحروب في اسبانيا محتلين؟

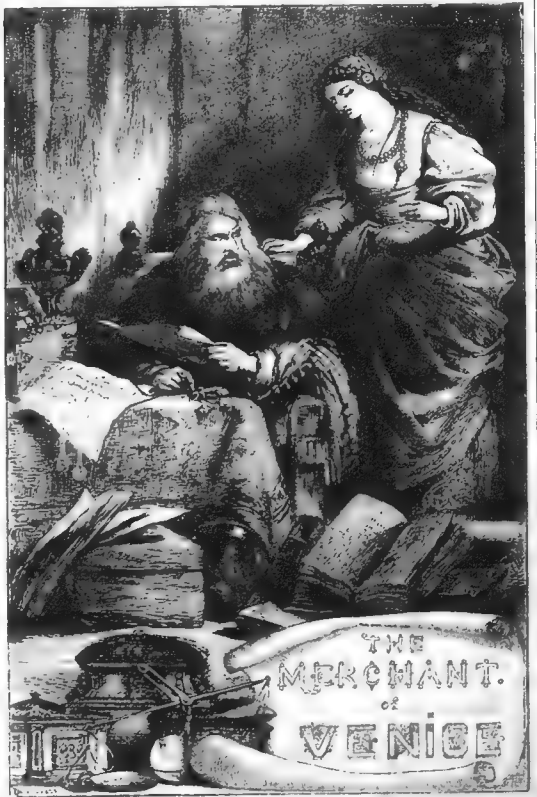
دخلت الجماعة العربية الى اسبانيا بعقيدة، ونجبر على عدة قرون شتى انها كيمرها في دمشق وبغداد والقاهرة انتهت الى سلطة فئة مهروزة العقيدة أو شكلية العقيدة. انفصلت العقيدة عن السلطة في جوهرها الاخلاقي وصارت نوعاً من المصالح المشتركة بين الطرفين أو ما يسمى صاحب الدين وصاحب الدولة. انفصال جعل الدولة لا اخلاقية والدين سلبياً وشكلياً (مركبة) واحسن الاحوال.. الخليفة العتري العباسي ٢٥٥ هـ يحضر من رحله

إذا أردت تأمل جزئيات النسيج التاريخي
فاستخدم منظارا مكبرا وتأمل الفرق بين رحلة مكتشف رحالة
شرقي ورحلة مكتشف رحالة غربي

اجيب ان هذا التساؤل يؤيد القضية التي اطرحها. الخلافات الجماعة مالم تصبح بقاعدة عقائدية فانها تقع في حدة الازواجية. ضوابط ديمقراطية او مجلس (سناتو) دافع عنه اليوناني والروماني في الحضارات القديمة. وبرلمان او جمعية وطنية يدافع عنه الاوروبي في حضارته الحديثة. ويردد قولاً (فولتير) الشهيرة.. انه على استعداد لدفع حياته ثمناً للدفاع عن حقله في ابداء رأيك حتى لو اختلفت معه.

ضوابط ديمقراطية داخلية تخص اليوناني والروماني والانجليزي والفرنسي.. الخ. ولكن لا تنطبق على شعوب الارض من البرابرة. وإذا عدنا الى التساؤل عن الاندلس سلاحظ ان متاريخها اربعة قرون عجاف اكلت اربعة قرون خصبة. من القرن الاول الهجري الى القرن الخامس الهجري هترة ازدهار. قابليتها والى اواخر القرن التاسع الهجري فترة استعمار من سلطة دينوية. او اتصال بين حاكم ومحكوم. او صراع السلطات الدينية فيما يعرف بمرحلة (ملوك الطوائف). ضاعت الفرصة لتحويل المحكوم الى حاكم بمنطقة واسع لا يحصر السلطة في طوائف دون غيرها. اربعة قرون من الفصل بين الدين والدولة. او من احتكار للدين والدولة كانت كفيلة باتاحة الفرصة للطرف الاخر للتمرد بمنطقة ضيق ثم اكتساح للحرب والمولدين (من العرب والاسبان) ومن يتاصرهم على حد سواء ويصورة بشعة.

ونستطيع ان نتمثل بمسبة المسيحي الاسباني اذالك في صورة الرجل الذي يأمل للحصول على قصر في الحنة يقدر ما يسيل من دماء المسلمين الكفار وهي حالة وصل اليها الحكام الاسبان لفصلهم ايضا بين الدين والدولة





مع مسيحيتة النقية. وحينما يضرع انطونيو ان يلجأ إلى شاييلوك ليقتصر منه اتفاقاً لصديق وقع في ضائقة يشترط اليهودي ان يأخذ من لحمه رقلاً من موضع الصدر إذا لم يسد في موعده. ويوافق متأخر سفته ويقال انها غرقت ضاعته شروة الشرق. واصبح مهددا بانتقام اليهودي.

اختلف التاجر مع اليهودي كشف اليهودي عن غفوته ووجدتها فرصة لمضع نظام التاجر المستغل فيقول (واى خطأ حتى أخشى الحساب ان اشتريتموهم بالمال وسخرتموه في اقطع الأعمال وأخسها كأنهم حميركم، او بفالكم او كلابكم لا لشيء إلا لانكم اشتريتموهم بالمال) وتنتهي المسرحية باحباط الأعباء اليهودي الخبيث وتعود سفن التاجر المسيحي النبيل ليصعد الجميع حتى ابنة اليهودي فقد تحولت إلى المسيحية وتزوجت حبیبها المسيحي.

مسرحية تاجر البندقية لها جانب يخصنا بصرف النظر عن قيمتها الدرامية الشكسبيرية أخلاقيات السيد التاجر الذى جمع بين صورة المسيحي الطيب ورغبة الأثراء الآخرين وعندما حمل الزوج لأول مرة إلى البرتغال كانوا موضع اعتبار مزوج هم ارقاء ويشير في وقت واحد وثنيون يمكن كسبهم وتحولهم إلى مسيحيين اما

بتصريح ومباركة من البابا، ولكن النوايا الحقيقية كانت واضحة.

وتعال نأمل ما دار في مسرحية (تاجر البندقية) لشكسبير. تاجر البندقية هو انطونيو الشرقى النبيل الكريم. الذى من تجارة الشرق سفته التجارية موزعة بين طرابلس وجزر الهند، والمكسيك وانجلترا مثال للحالة الأولى خرج يبحث عن شروة التوابل والأشباب في الشرق، وكان المالك في مصر حلقة الوصل.

(هنرى الملاح) أول امير برتغالى يجوب المحيط الأطلسي بحثاً عن طريق الوصول للهند بعيداً عن الممالك في الطريق يحلم بالعبور على دولة القديس يوحنا المسيحية الخيالية. قيل انها في افريقيا أو هي اثيوبيا وقيل انها اسيا. دوخت الرحالة الأوروبيين ولم تكن إلا حجة (بركة) دينية أو يراكون بها رحلاتهم لصبيغ أهداف سفنهم.

انطونيو او تاجر البندقية كان اعقل اكثى بانتظار سفنه العائدة بثروة الشرق. هنا تبدأ المشكلة مع (شاييلوك) المرابى اليهودي الشهير. شاييلوك يضيق به ويفهش أخلاقياته الاستغلالية التي لاتتفق

من صور الرحلة الجماعية يتألبها البعض برحلة الجماعات الاستعمارية في قرون الاستعمار الأوروبي الشهيرة.. الخامس عشر والسادس عشر.. مشابهة طامة دخول العرب إلى اسبانيا كان بقاعدة عقائدية أخلاقية ارادت الاستقرار والاندماج والادماج. يتولى الصالح امور الجماعة دون تمييز بين العربي والاسباني والمولد. وشاعت السلطة المدنية بين ان تصبغ هذه الفرصة سواء من جانب العرب أو من جانب الاسبان.

اما دخول الجماعات الأوروبية إلى مشرق العالم ومعره فكان صريحاً في استغلاله من اللحظة الأولى. لم ترد فكرة الاندماج أو الامماج. وان وردت فكانت بتمييز بين الوافد والمقيم.

وإذا اردت تأمل جزئيات النسيج التاريخي فاستخدم منظوراً كبيراً وتأمل الفرق بين رحلة مكتشف رحلة شرقى ورحلة مكتشف رحلة شرقى ونشاء تركيبة التاريخ الحقيقية ان تجمل خروج البرتغال والاسبان وواد الاستعمار في اوروبا في فترة خروج العرب من اسبانيا. شهد (كرستوفر كولبس) تسليم عيد الله الاحمر مشاتح مدينة غرناطة للملك (فرناند) والملكة (إيزابيلا) في عام 1492 حاولوا اعطاء هذا الخروج خروجهم إلى الشرق للكشف البحرية وخروج العرب من اسبانيا قالبا دينيا

وعلى صورة تبدو عكسية تماماً. تبدو وكأنها جمع بين العقيدة والسلطة الحاكمة. لقد وطفت الدولة التي تسعى إلى التوسع الديني كل مشاعر الحماس الديني عند الجماعات المسيحية بدعوى انها مكلفة بأمر (الله) بأمر الدين والدين. ويكشف دخول قوات (نايليون) إلى اسبانيا في فترة متأخرة حاملة لواء الفصل الصريح بين الدين والدولة بل احتقار شأن الدين إلى جانب عزة الدولة القومية يكشف عن هذه الحالة العجيبة من التناقض. دخلت قوات نايليون بعد العام محاكم التفتيش (1480) التي تخصصت في مطاردة وتعذيب بقايا العرب والمولدين ومن يتعاطف معهم. إلى احد الاديرة في مدريد ووجدت في كهوف تحت الأرض ادوات رهيبه للتعذيب والتمزيق والسحق والجثث. امسكو برهبان الدير وبمطالبة سحقهم بأدوات التعذيب...

كانت علاقة الدين بالدولة او الملك والكنيسة أيام محاكم التفتيش نوعاً من تبادل المصالح المشتركة. فلما طلقت الدولة الكنيسة طلاقاً باناً في الثورة الفرنسية. ألغيت محاكم التفتيش، وهوجمت الاديرة استبيحت دماء رجال الكنيسة.

يقولون ان دخول العرب إلى اسبانيا صورة من صور الدخول الجماعى. الذى يبدو في صورة استعمارية او صور

كتاب الزاوية

تقرير جولدستون (٢)

استندت البيعة في أعمالها إلى تحليل مستقل ونزيه لدى أمثال الأطراف لالتزاماتها بموجب قانون حقوق الإنسان الدولي والقانون الإنساني الدولي في سياق النزاع الأخير في غزة. وإلى معايير التحقيق الدولية التي وضعتها الأمم المتحدة.

٢٥ - وعلى هذا الأساس، حدثت البيعة، بقدر ما سمحت به أفضل قدراتها، ما هي الوقائع التي ثبتت، وهي كثير من الحالات تبين لها أنه قد ارتكبت أفعال تتطوى على مسؤولية جنائية فردية، وفي جميع هذه الحالات، قررت البيعة وجود معلومات كافية لإثبات العناصر الموضوعية للجرائم المعنية، وقد تمكنت البيعة أيضاً، في جميع الحالات تقريباً، من تحديد ما إذا كان يبدو أن الأفعال المعنية قد ارتكبت عمداً أو على نحو متعمد أو في ظل معرفة أن العواقب التي نتجت كانت تحدث في السياق المتأخر للأحداث. وهكذا، أشارت البيعة في كثير من الحالات إلى عناصر الخطأ ذات الصلة (زكن القصد الجنائي) وتقدر البيعة تمام التقدير أهمية افتراض البراءة: فالاستنتاجات المقدمة في التقرير لا تقوض العمل بهذا المبدأ. ولا تحاول الاستنتاجات تحديد هوية الأفراد المسؤولين عن ارتكاب الجرائم كما أنها لا تدعي أنها ترقى إلى مستوى البرهان الواجب التطبيق في المحاكم الجنائية، ومن أجل إتاحة الفرصة للأطراف لتقديم المعلومات الإضافية ذات الصلة ولإعصاف عن موقفها والرد على الادعاءات، قدمت البيعة أيضاً قوائم شاملة بالأسئلة إلى حكومة إسرائيل وإلى السلطة الفلسطينية وإلى سلطات غزة قبل إتمام تحليلها ووضع استنتاجاتها. وتلقت البيعة ردوداً من السلطة الفلسطينية ومن سلطات غزة ولكن ليس من إسرائيل.

من تجارة البهار والقرنفل. وتحولت جمعية (الفلسطينيين) إلى نقابة عرفت بجمعية البقالين أو العطاريين وصار محافظ لندن رئيساً لها. ونظم مهرجان (انتصار لندن) عام ١٦٧٨ على صورة مهرجان (ياخوس) رب النبيذ اليوناني. يتقدم المهرجان تمثال على هيئة جمل يجلس فوقه غلام زنجي يتوسط سنتين فصيتين ملتنا بالماكهة والتوابل. وقد اخذ الغلام ينثرها بين جموع المشاهدين. واشترك في المهرجان ربة (النشوة) ووب (الطيوب) وانفذ الجميع في مروح قائلين

بالقرعة والقرنفل والبهاء وغيرها من التوابل
نحن قد زرعنا فردوساً جديداً
دون أن نشعر بنذب من خطيئة آدم
وكان شرفاً للملك (وليم) عام ١٦٨٩ أن يصير يمد ذلك رئيساً أعلى لجمعية البقالين.. أو العطاريين أصحاب الثروة. وقد يقول متحمس أوروبي صاحب منطق مخرج. كيف يحق لكم محاكمة الاستعمار وحاكم أسوأ منه فيما بينكم؟

إن طول لسانكم ليس الأقصر ذيل. وإذا قلت له أن المشكلة في مشكلة السلطة قال لك.. وعليك أن تناضل لتحصل منها على حلك كما فعلنا. إن السبل واضحة أم التقليد الجيد كأهل اليابان. أو تركيبة جينز محلية أو تركيبة جديدة نسمع بها، أما الأخذ بكل الأنظمة متلازمة بتلفيق فقه لا يفيد منه إلا الانتهاز الذي يجد بهذه الوسيلة منطقاً يبرره الشيء وتقنيته حسب الحاجة.



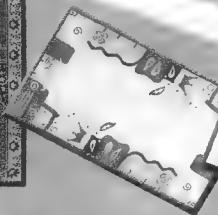
هكذا إذن ضاعت تجربة الاندلس بفقدان الأصل، وكان من الممكن أن تكون تجربة صناعية جديدة في تاريخ البشرية. هكذا أيضاً عمر منطق تاجر البندقية بأزواج شخصيته. ووجه دينية تعان بها صلاحه مع سعي محمود لجمع الثروة على حساب الآخرين. أفرغ الدين من محتواه الأخلاقي، وباتتالي وجد مصلحته مشتركة مع الدولة المستقلة. صار كل منهما يدافع عن الآخر من هذا المنطلق. ■

المسلمون فيجب أن يهزروا ثم يقتلوا. وهم أيضاً سلعة وثروة. وفي عام ١٤٤٤ حملت السفن إلى البرتغال أول شحنة كبيرة من العبيد مائتين وثلاثة وخمسين عبداً، كان نصيب الأمير (هنري الملاح) منها ستة وأربعين كان مسيحياً كريماً بمنطق السيد النبيل تاجر البندقية فلم يقل استرقاقهم لذلك أهداهم لأصدقائه.

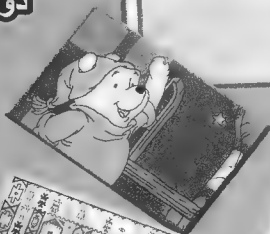


وفي عام ١٤٤٠م جاء لليبيا (أوجينيوس) الرحالة (نيكولودى كوتني) الذي جاب الشرق وحمل ثروة التوابل. احتفى البابا بالرحالة احتفاء عظيماً. فقد كان شرابه المضطرب هو القرعة الساخنة، بينما كان الرحالة مهموماً.. لقد اضطر في مصر إلى اعتناق الإسلام ليتخذ نفسه وإسرته، وجاء لليبيا ليمرر ويطلب المغفرة. والرحالة الشهير (أد بوكيرك) حينما وصل إلى الحبشة وجد هناك عرضاً يدعو البرتغال أن تستعان لتحتطم سلطان مصر في القاهرة، ثم تحطم مدينة مكة. ووجد الاتفاق يحقق أحلامه في اختطاف رفات الروس، والمساومة بها في المسلمين للاستيلاء على فلسطين، وبدأت فكرة تحويل التجارة عن مصر لأفكارها هذا الخيال المديني المختلط بروائح التوابل أو دافع الثروة، تبخر سريعاً، وثن نصل إلى رحلة (ماجلان) حول العالم عام ١٥١٩ إلا واستقرت رائحة التوابل وأبتلعت كل خيال ديني.. كان الشعار الذي منح الأمبراطور البرتغالي

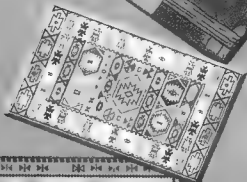
ل (دلاكانو) الذي قدر له أن يعود ببقايا سفن ماجلان بعد مقتله في الفلبين هو صورة كرة أرضية يرفعها ملكاً من ملوك الشرق، يحمل كل منها في يده الأخرى غصناً من أغصان أشجار التوابل، بينما على الدرع عودان من القرعة وثلاث وحدات من جوقة الطيب، وأثنًا عشرة حبة من حبوب القرنفل. وكان حملة الأسهم الهولنديون سبق من غيرهم ربح يصل إلى ٤٠٠٠ من تجارة التوابل وارتفع على يد الانجليز إلى ٦٥٠ من تجارة جوقة الطيب وإلى ٧٠٠ من الفلفل وإلى ٨٠٠



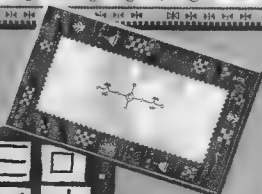
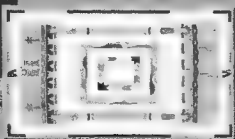
لواصات حمام



متواجد في مراكز بيع بواقى ال



قطع موكيت



سجاد أطفال



صدير المنتشرة في كل ارجاء مصر

شرقي

مطبوع

مشايات

عبادة صلى

www.mucarpet.com

كم ينفق المصريون على رحلات الحج والعمرة ؟

وتثير قضية مصروفات المصريين - أو غير المصريين - على رحلات الحج والعمرة، مشكلات متعددة، سواء على المستوى العلمي والأكاديمي أو على المستوى السياسي والاجتماعي بقدر ما تثير مخاوف وهواجس جماعات وفئات اجتماعية وثقافية معينة.

ذلك أن هذا الموضوع برغم طابعه الديني والعقائدي المرتبط بوجودان ومشاعر المصريين عموماً والمتدينين منهم على وجه الخصوص، فإنه علاوة على ذلك له أبعاد وجوانب اقتصادية ومالية مسكوت عنها منذ سنوات طويلة باعتبارات عديدة، برغم الأزمات الاقتصادية التي تعيشها البلاد وتعكس سلباً على مستوى معيشة الفقراء والفئات الوسطى تحديداً.

وما يدركه الكثير من المصريين وغير المصريين، أن موضوع الحج والعمرة، بقدر عمق علاقته بالشعائر الدينية بقدر ارتباطها بحركة أوسع نطاقاً من السانحة المالية والاقتصادية على الصعيد الإقليمي والدولي يطلق عليها، «إعادة التوير، Recycling» ذلك أن مئات الملايين من الدولارات التي حصل عليها المصريون العاملون في منطقة الخليج والمملكة السعودية قد عاد جزء كبير منها إلى الاقتصاد المملكة السعودية في صورة نفقات تزيينات الحج والعمرة، التي قام بها عشرات الملايين من المصريين طوال نفس الحقبة النفطية (١٩٧٤م - ٢٠٠٨م)، ومن ثم فإن الحركة المالية والاقتصادية بين مصر والمملكة السعودية لم تكن ذات اتجاه واحد وإنما كانت في اتجاهين متوازيتين وإن كانا متناقضتين ومتعاكسين.

وإذا كانت الكثير من الدراسات الاقتصادية سواء من جانب المملكة السعودية أو الخبراء المصريين قد قدرت حجم المساعدات التي قدمتها المملكة السعودية إلى مصر في صورها المتعددة (قروض - منح - مشروعات مشتركة - دعم عسكري... إلخ) خلال الفترة التي أعقبت هزيمة الخامس من يونيو عام ١٩٦٧م حتى قطع هذه العلاقات عام ١٩٧٩م ثم عودتها عام ١٩٨٦م إلى اليوم بحوالى ١٢ إلى ١٧ مليار دولار أمريكي، فإن أحداً لم يلتفت أو يرغب في أن يلتفت إلى حجم الحركة المالية والاقتصادية العكسية التي ذهبت من مصر والمصريين إلى المملكة السعودية في صورة أفواج من الحجاج والمعتمرين والحجاج خلال نفس الفترة.

الحج فريضة وركب من أركان الإسلام الخمسة، أما «العمرة»، فهي كما يهرقها صاحب المعجم الوجيز، «نسك كالصالح ليس لها وقت معين ولا وقوف بعرفة»، والبارق في رأى كثير من المعهاء بين «الحج، من ناحية والعمرة، من ناحية أخرى هو في كوكب الأولى فريضة من فرائض الإسلام الخمس، لا يصح إسلام المرء إلا بها - من استطاع إليها سبيلاً على عكس «العمرة، هوس شعبية من الشعائر وسعة عن الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) بحيث لا إيجاب عليها ولا إلزام، وإن كانت من الشعائر المحببة لوجودان كثير من المسلمين.

ويتدر هذه القيمة الوجدانية والعقائدية لفريضة «الحج، لدى أهل الأديان كافة والإحساس بالتطهر من الآثام والذنوب فإنها أيضاً قد خلقت ملتقى اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً لأصحاب كل عقيدة أثناء هذا التجمع العاشد، فيتعارفون، ويتبادلون الخبرات والتجارب كما يتبادلون المصالح والتبع والشراء.

وبهذا المعنى تحولت هذه الأماكن إلى أسواق اقتصادية ومالية هائلة عبر الزمن واستقرت فيها أوضاع ومصالح البائعين والمشتريين، ومن خلالها تترجم عمليات التجارة والتسويق، بدءاً من البضائع مبروياً بالفنادق وأماكن الإقامة «الحجيج، انتهاء بنفقات السفر والانتقالات وغيرها.

إذن من هذه الزاوية الاقتصادية المجردة، يمثل موسم «الحج، والعمرة، إحدى وسائل العلاقات الاقتصادية والمالية بين الشعوب والأمم، ولكنها هذه المرة محكومة بغطاء ديني يجمع بين أهل كل عقيدة على حدة.

ولقد ظلت الأراضي الحجازية - وكذلك بقية الأماكن المقدسة لأهل البدييات الأخرى - أهم الأنشطة الاقتصادية لأهل هذه الأماكن، يعتمدون عليها في معاشهم ويستندون إليها قبل غيرها في استكمال مقومات حياتهم الاجتماعية مثل إقامة علاقات المصاهرة والزواج أو غيرها، تماماً كما يرتبط أهل المجتمعات الزراعية بموسم جنى المحصول لاستكمال مقومات حياتهم الاجتماعية ولقرون وراء قرون، ظلت فريضة «الحج، وشعبية «العمرة، لدى ملايين المسلمين في بقاع الأراضي المترامية الأطراف فريضة دينية، وسنة نبوية تمارس دونما حسابات هنا وهناك، ودونما استثمار واستغلال سياسي يقوم به طرف هنا أو طرف هناك.



نقشات الحج والعمرة خلال

الفترة (١٩٥٥ - ١٩٧٣)

برغم قدسية ممارسة المسلمين لعمرة الحج، ووجدانية الحدث، فإن الله سبحانه وتعالى وتخفيفاً على عباده وضع شرطاً للاستطاعة، كأساس لحساب المسلم على أدائه أو تقصيره لهذه العمرة الدينية الأساسية، والاستطاعة، هنا

تتحد ركنتين أساسيتين هما:

- ركن مالي.

- ركن مادي وجسدي.

فتوافر هذين الركنتين يلزم المسلم بأداء هذه العمرة وستة ذببه في أداء شعيرة، والعمرة.

ولاريخياً يمكن النظر إلى الأمر عبر أربع مراحل متميزة ومتباينة وهي:

المرحلة الأولى: الممتدة قبل ظهور الدعوة الحميدية وحتى ما قبل عام ١٩١١.

المرحلة الثانية: من عام ١٩١٨ وحتى عام ١٩٧٣.

المرحلة الثالثة: من عام ١٩٧٤ حتى عام ١٩٨٤.

المرحلة الرابعة: من عام ١٩٨٥ حتى اليوم.

ومما يبرهننا على التمييز بين هذه المراحل المختلفة أربعة عناصر متكافئة هي:

المحيط الأول: مدى توافر وتطور وسائل النقل والمواصلات.

المحيط الثاني: مقدار التكاليف المالية والأعباء المادية لأداء الفريضة الدينية.

المحيط الثالث: مدى توافر الاستقرار السياسي في الأراضي الحجازية بما

توفره من التجهيزات الإدارية والبنية التحتية في الأماكن المقدسة وخدمة زوار بيت الله الحرام.

المحيط الرابع: نظم التسجيل ورسوم دخول الأماكن الحجازية من حيث

الإقامة أو القيد الكمية والتنوعية والمالية.

هنا، تأملنا المرحلة الأولى: (منذ الدعوة الحميدية حتى عام ١٩١٠م)، والتي

تميزت بتدنّي وسائل النقل والمواصلات، واعتماد أفواج (الحجيج، والمعتمرين،

على وسائل بدائية للسفر والترحال، كان أكثرها تقدماً حتى ذلك الحين، النسخ

التي تنقل الحجاج القادمين من مصر ومنطقة المغرب العربي من ميناء السويس وميناء سماجا أو بعض الموانئ

البسيطة على ساحل البحر الأحمر،

اجتيازاً لهذا البحر وصولاً إلى موانئ الأراضي الحجازية خصوصاً في جدة.

أما قوافل الحجيج القادمين من الشام وبلاد الرافدين، فقد كانت تنشط

بإرهاق ظهور الحجاج وشيهرها من الحيوانات لمدة شهور طويلة قاطعة

الصحراء الشمالية والشمالية الشرقية للأراضي الحجازية وصولاً إلى مكة،

المكرمة، والمدنية المنورة.

ومن ثم فقد كان للأعباء الجسدية والمالية على هؤلاء الحجيج أثر في

تواضع أعدادهم ومن ثم تواضع حميتهم ورسوم الحج، والعمرة، التي تحصل

لصالح القائمين على هذه الأماكن المقدسة من القبائل الحجازية

كما أدت عمليات السلب والنهب التي كانت تنعش لهما بعض قوافل الحجيج

في بعض السنوات التي تعرضت فيها البلاد إلى اضطرابات وصراعات بين

القبائل (آل سعود - آل الرشيد - آل الحسين - آل غالب - إلخ) إلى عدم انتماء

موسم الحج، وتقلب حميتهم ورسوم الحج، وكذا تواضع كمية، الأضحية،

وسوق التجارة الذي كان يعد المصدر الرئيسي لحمية القبائل الحجازية عموماً.

والقبائل ذات الصلة المباشرة بالأماكن المقدسة، مكة، المدينة، خصوصاً.

وبرغم هذه الظروف غير المستقرة فقد ظل الحجيج المصريون والآثراك هم

الأكثر عدداً من ناحية والأكثر إنفاقاً في

موسم الحج، طوال هذه المرحلة.

لأسباب موضوعية بعضها يعود لعقبيّة

الحجاج متواريه الآثراك الذين كان ينتمى معظمهم إلى أبناء الطبقات

الوسطى وكبار ملاك الأراضي والأعيان الذين تتواراه لديهم قواضٍ مالية

تمكنهم من أداء هذه الفريضة الإسلامية من ناحية، وبعضها يرجع بسبب تقدم

مصر وتركيا نسبياً مقارنة ببقية شعوب العالم الإسلامي اعتماداً من إئتونيوس

والهند شرقاً انتهاء بمراكش غرباً والسودان وبعض الجماعات الإسلامية في أفريقيا جنوباً.

أما المرحلة الثانية (١٩١٠م - ١٩٧٣م): فقد تميزت بمدة تطورات إيجابية في هذا

الجال لعل أولها، ذلك التطور السريع في وسائل النقل والمواصلات، حيث بدأ

تحت تصور إستراتيجي للإمبراطورية الألمانية الصاعدة - والتواجد في هذه

المنطقة وبناء وعد أول خط سكة حديد يمتد من دمشق شمالاً مروراً بحلب

إتتهاء، بمكة المكرمة، وانتهى من بناء هذا الخط إلى المدينة عام ١٩١٠م وأطلق

عليه، خط سكة حديد الحجاز، ولم يتوقف الرجل وطموحه أنه عند هذا

بل أنه شرع على خط سكة حديد جديد يمتد من بغداد وبلاد ما بين النهرين شرقاً

إتتهاء، بمكة المكرمة، غرباً وسعى بعدها إلى مد خط، الحجاز، الأول إلى حلب

وعاصمة الخلافة العثمانية - القسطنطينية، والذي لم يسفحه اندلاع

ثوران الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م - ١٩١٨م) لاستكمال قسعره عند

الخطوط الجوية للتدمير من جانب بعض القبائل العربية المالية والمتعاونة

مع بريطانيا بقيادة ضابط الاستخبارات إدوارد لورنس، إلى التدمير قطعة بعد

قطعة بحجة إصاف الجهود الحري العثمانية والحقيقية أن وراء هذا التدمير

هدها آخر أكثر خبثاً يتعلق بإضرار بريطانيا بهذه المنطقة الواعدة بكثر من

الخط الاسود وتقصيع أوامر الاتصال بين شعوب هذه المنطقة العربية (اتفاقية

سايبس - بيكو الصرية عام ١٩١٦م) كما شهدت هذه المرحلة تطور وسائل

المواصلات الحديثة مثل السيارات والطائرات وبداية استخدام بعضها

(خاصة الحافلات لنقل الحجيج) في موسم الحج، والعمرة.

ومع زيادة البرورة النفطية بدأ التنظيم الإداري الحديث للمملكة

السعودية وشيخ الباحث السعودي إلى أن هذه البلاد لم تعرف أي نظام للإدارة

حتى عام ١٢٥٢هـ (١٨٧٤ هـ) حينما أنشئ أول مجلس للوزراء وإن ظل، تملك عبد

العزيز من سعود، ومن بعده ابنه، الملك سعود، السلطة المطلقة في الشؤون المالية

والسياسية في المملكة حتى تعرضت البلاد إلى أزمة مالية عاصفة خلال أعوام

(١٩٥٦م - ١٩٦٠م) كانت تدفع بها إلى حافة الإفلاس مما اضطر الأسرة

السعودية إلى عزل الملك سعود، وتنصيب شقيقه

سعود، وفتحان بطر

تثير قضية مصروفات

المصريين - أو غير المصريين - على رحلات

الحج والعمرة: مشكلات متعددة، سواء على المستوى

العلمي والأكاديمي أو على المستوى السياسي

والاجتماعي والاقتصادي

«فحصل، ملكاً على البلاد لا يعرف عنه من حزم وقسوة في أحيان كثيرة. وعلى العور استخمد الملك، فحصل، بعبث متخفصة من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي لكوست مصروزة لإنشاء مجلس أعلى للتخطيط تابع إلى رئاسة مجلس الوزراء وتوكل إليه مهمة وضع الخطط الشاملة للمملكة. وفي عام ١٩٦٢م عقدت الحكومة السعودية اتفاقية مع مؤسسة فورد الأمريكية Ford foundation تقوم بمقتضاه الأخيرة بتنظيم الجهاز الإداري للمملكة

أما المرحلة الثالثة (١٩٧٤م - ١٩٨٤م)، فقد حدث فيها أربعة تحولات اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية كبرى عكست نفسها على حركة «الحج، والعمره»، ليس في مصر وحدها وإنما في ريع العالم الإسلامي كله. وقد تمثلت هذه التحولات الكبرى في الآتي:

الأول: التطور السريع والمنهل ليس

ومنها تاجحت مشاعر دينية تعرضت للنقص من جانب جماعات وجمعيات مصالح وجدت في هذه المشاعر الدينية فرصة سانحة للكسب فتشكلت الآلاف الجمعيات التي جعلت من تنظيم رحلات «الحج، والعمره»، سوقاً للكسب والترحيل.

الرابع: اكتساح رياح العولمة الرأسمالية واليات السوق بكل وحشيتها لكل الأنشطة والمجالات ونزولها العاصف إلى حركة «الحج، والعمره»، فحولتها إلى سوق بكل ميوقات السوق وجشع العاملين فيه.

أما المرحلة الرابعة (١٩٨٥م حتى اليوم)، فقد اتسمت بانفلات العقال من كل قيد وانشاق كل الأطراف الرسمية (الأجهزة المصرية والأجهزة السعودية) وغير الرسمية (الجمعيات - الوكلاء - شركات السياحة - السماسرة... إلخ) لتحقيق الأرباح الهائلة دون حسيب أو

الناصر، عام ١٩٧٠م وتولى «أفوز السادات، الحكم من بعده. ومع تضاف هذه العوامل الثلاثة، وتدفق أموال المساعدات السعودية العلنية وغير العلنية للمؤسسات والأشخاص والجمعيات الدينية والإسلامية والأزهري في مصر والعالم العربي تزامنت وترعرت ثلاثة عناصر جديدة في الحركة المصرية، وكذلك في كثير من الدول العربية والإسلامية وهي:

الأولى: انتشار الجمعيات الأهلية الإسلامية.

الثانية: انتشار حركة بناء وتشهيد المساجد الأهلية.

الثالثة: بداية تبدد نفوذ الحركات السياسية الإسلامية.

فيما تأملنا العنصر الأول (الجمعيات الأهلية) نجد أن عدد الجمعيات الأهلية العاملة في مصر عام ١٩٦٠م تزيد على ٣٩٤٤ جمعية (علاوة على ١٥٨ جمعية في أسوان) ولم تكن الجمعيات الإسلامية تزيد على ٥٧٩ جمعية (أي بنسبة ١٤,٦٪) وتكاد تتساوىها الجمعيات الأهلية المسيحية التي بلغ عددها ٤٢٧ جمعية (بنسبة ١٠,٢٪) أي أن أكثر من ٧٨٪ من الجمعيات الأهلية العاملة في مصر تكاد تكون دينية أو ذات شغاف ديني وهو حدا بالشرع المصري إلى محاولة التصديق على الجمعيات ذات الطبيعة الدينية فأصدر القانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٤م الخاص بالجمعيات الأهلية.

وقد استهدف المشرع من هذا القانون التصديق على الجمعيات الأهلية الدينية فحدد نشاط الجمعيات في ثلاثة عشر نشاطاً يسمح لهذه الجمعيات بدمارستها ولم يكن من بينها نشاط تنظيم رحلات «الحج، والعمره»، وإنما اندرج هذا النشاط داخل نشاط أوسع نطاقاً هو «الخدمات الدينية والتعليمية والعلمية»، لكن التغير الذي طرأ على السياسة المصرية بعد عام ١٩٧٠م وبداية انفتاح الدولة تحت قيادة الرئيس السادات لميساسه دعم نشاط الجماعات الدينية الإسلامية (بما فيها الإخوان المسلمين) قد أدى لفض الدولة (ممثلة في وزارتي الشؤون الاجتماعية والداخلية) الطرغ من الأنشطة ذات الطبيعة الدينية لهذه الجمعيات، فزاد عدد هذه الجمعيات من ٣٩٤٤ جمعية عام ١٩٦٠م إلى ١١٣١٢ جمعية عام ١٩٩٠م، أما في عام ٢٠٠٧م فقد بلغ عدد الجمعيات الأهلية (المسجلة) لدى وزارة الشؤون الاجتماعية ٢١١٠٢ جمعية (أكثر من نصفها تقريباً مجرد لافتة) منها ما لا يقل عن أربعة آلاف جمعية إسلامية.



ورقيب واسقطوا تماماً المعاني الوجدانية والإتسانية والدينية لهذه الفريضة المقدسة.

الحقيقة النحطية

و: الصوحة الإسلامية،،

ثلاثة متغيرات إقليمية كبرى تزامنت، أو تكاد بعد هزيمة يونيو عام ١٩٦٧م ولعبت دوراً مؤثراً في سير الأحداث في المنطقة العربية والإسلامية وهي:

الأولى: تناقص دور القيادة القومية للمنطقة العربية وشموها سواء في شكلها الناصري أو البعث السوري أو العراقي.

الثانية: بداية بروز ثم صعود نفوذ الجماعات الوهابية والسلمية في المنطقة تحت مسمى «الصوحة الإسلامية»، كرد فعل سياسي وثقافي لفضل القيادة القومية للمنطقة العربية.

الثالثة: بداية استمداد النفوذ السعودي السياسي وإطارة العقائدي في المنطقة العربية والذي ازداد أثره بعد وفاة الزعيم القومي التاريخي جمال عبد

المشاعر الدينية تعرضت للنقص من جانب جماعات وجمعيات مصالح وجدت فيها فرصة سانحة للكسب فتشكلت الآلاف

الجمعيات التي جعلت «الحج، والعمره»، سوقاً للكسب والترحيل

الثالث: تنامي النفوذ الفكري والثقافي والسياسي للتيارات الوهابية عموماً في المنطقة العربية والإسلام السني خصوصاً بدءاً من اندونيسيا والباكستان انتهاء بمصر والجزائر وليد المغرب العربي، وانتقال هذا النفوذ الفكري والثقافي من إطاره العقائدي والوجداني إلى الإطار السياسي الحركي (الجماعات الإسلامية مكافئة أنواعها)

مئات الملايين من الدولارات التي حصل عليها المصريون العاملون في منطقة الخليج والمملكة السعودية عاد جزء كبير منها إلى اقتصاد المملكة السعودية في صورة نفقات زيارات الحج والعمرة، التي قام بها عشرات الملايين من المصريين طوال نفس الحقبة النفطية (١٩٧٤م - ٢٠٠٨م)

وبينما كانت الجمعيات الإسلامية المصحح لها بتنظيم رحلات الحج، والعمرة، عام ١٩٧٠م حوالي ٣١ جمعية فإن هذا العدد قد قفز إلى عشرة أضعافه بنهاية عام ٢٠٠٧م ليبرز على ٣٦٥ جمعية وتخطى بعضها الآخر خلف حركة بناء واسعة للمساجد والزوايا الدينية مستعينة بعد ١٩٧١ من صدور القانون رقم (٠٠) لسنة ١٩٧١م الذي أعفى أصحاب العقارات من أداء ضريبة العقارات والمياه في حال تخصيص معص شقق العقار لإقامة الشعائر الدينية الإسلامية هنا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن تأملنا حركة بناء المساجد الأهلية خلال نفس الفترة الممتدة من عام ١٩٧٤م حتى عام ١٩٨١م نجد أنه قد جرى بناء حوالي ٧٥٣٦١ مسجداً أهلياً ما يقابل وجود حوالي ٥١٢ مسجد حكومي واستمرت هذه الحركة حتى مطلع التسعينيات من القرن العشرين حينما اصطلحت الدولة المصرية بالمجمعات السياسية الدينية المسلحة، والجهاد والجماعة الإسلامية والتكفير والهجرة وغيرها، فجرى ضم آلاف المساجد الأهلية إلى عصمة وزارة الأوقاف وفي نفس الفترة جرى توظيف عشرات الآلاف من خريجي الأزهر، في وظائف الدعاة والأئمة حتى أصبحت هذه الوزارة رابع وزارة في ترتيب العاملين فيها ٢٥٠ موظف عام ٢٠٠٦م في معظمهم من الدعاة والأئمة، ولعل هذا ما دفع مئات الآلاف من الطلبة للالتحاق بمعاهد الأزهر التعليمية وجامعة الأزهر بحيث أصبحت هذه الجامعة تصمم حوالي خمس طلاب الجامعات الحكومية عام ٢٠٠٦م والبالغ عددهم حوالي ١,٧ مليون طالب جامعي، والخير فإن اهتمام عشرات الآلاف من الشباب والمراهقين إلى الجماعات الدينية والإسلامية بكافة تياراتها بدءاً من الإخوان المسلمين مروراً بجماعات الجهاد والجماعة الإسلامية، انتهاء بجماعة التبليغ والدعوة وجماعة التكفير والهجرة وغيرها حتى الجماعات ذات الطبيعة السلفية والصوفية والمقدر عددهم بأكثر من مليون شاب خلال هذه الفترة (١٩٧١م - ٢٠٠٦م) كل هذا قد عزز من نفوذ هذه الجماعات وزاد من تأجيج المشاعر الدينية لدى ملايين المصريين.

الفريضة، والسوق، والعولة،

وسط هذه الظروف والمتغيرات، تأججت مشاعر الشوق للملايين المصريين

لأداء فريضة الحج، وأحد أركان الإسلام الخمسة. خاصة أن تدفقات وتحركات ملايين المصريين في سوق العمل بالخليج والبلاد العربية النفطية ساعد على توفير عنصر الاستطاعة، المالية، وزادها الشوق والوجدان الديني التافهين لدى المصريين البسطاء لهيباً واندهاشاً، وهنا كان الصيادون من كل صوب وحيد مترعنين والعقارات مترعنين. وكان بينهم مصريون. وبين هذا وذاك تحركت مئات الملايين من الدولارات الأمريكية والريالات السعودية في شرايين الحياة الاقتصادية لتنتقل فيضات الحياة من هنا إلى هناك. صبحان «سوق الحج»، كان قائماً منذ مئات السنين ظهور الرسالة المحمدية - وحتى قبلها في عهد الوثنية. ولعب دوراً أساسياً في الاقتصاد ومعيشة أهالي المنطقة الحجازية (خاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة) إلا أن ظهور النفط، في هذه البلاد الشامية الأطراف منذ عام ١٩٣٣م قد أدى لتغيرات في أوزان مصادر الثروة، وتغير المشهد كله بعد حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م حينما قلعت أسوار البترول العربي وغير العربي من أقل من ٣ دولارات للبرميل إلى ١١,٣ دولار في أواسط عام ١٩٧٤م وما هو اليوم دولار صغوداً وبهوطاً حول ٨٠ دولاراً للبرميل الواحد. وقد ترتب على هذا أن قفزت وولدت صادرات النفط العربي خلال الفترة (١٩٧١م - ١٩٨٣م) إلى ١,٢ تريليون دولار أمريكي خالته المملكة السعودية فيها حصة الأسد بقيمة ٥٥٢,٨ مليار دولار يليها الإمارات المتحدة (١١٧,٠ مليار دولار) فالكويت (١٠,٨) مليار دولار وبقية الدول العربية مثل ليبيا والعراق والجزائر وغيرها ونشأ على ضفاف هذه التدفقات المالية والنفدية الهائلة حركة تحويلات مالية من مراكز الثروة الجديدة إلى مواطن العمال والخبراء والمهندسين ومختلف الفئات في مصر والسودان وفلسطين ولبنان وسوريا واليمن والبنجلاديش والهند والباكستان وغيرها. ومن بين حجم تحويلات وتوصيصات على مستوى القدرة قد برحوالى ٨٠ مليار دولار سنوياً خلال الفترة من عام ١٩٧٥م حتى عام ١٩٨٥م كان نصيب البلدان العربية (مصدرة ومستوردة لهذه الأموال والتحويلات) تقدر بحوالى ٢٥ مليار دولار سنوياً زادت أو انخفضت

وتبترتها وأحجامها مع انخفاص أسعار برميل النفط أو ارتفاعه. وقد سلخت هذه التحويلات والتوصيصات والعروض للمعاملين خارج دولهم على مستوى العالم عام ٢٠٠٠م حوالي ١٣١,٥ مليار دولار زادت عاماً بعد آخر حتى بلغت عام ٢٠٠٧م حوالي ٣٣٩,١ مليار دولار وكانت حصة البلدان العربية منها حوالي ٢٠٪ تقريباً ولم تزد حصة مصر منها ذلك العام من ٨,٥ مليار دولار. ووفقاً لأحدث دراسة قام بها الباحث الاقتصادي السعودي، عبد الحميد العمري، عضو جمعية الاقتصاد السعودي، وثقلاً عن مؤسسة النقد السعودي فإن إجمالي ما قام بتحويله الأجانب العاملون في المملكة السعودية (بعدم ٧ ملايين مشتمل معظمهم من شرق آسيا) - إلى بلدانهم خلال السنوات العشر الأخيرة (١٩٩٨م - ٢٠٠٧م) قد بلغ ١٦٤,٣ مليار دولار أي بمتوسط ١٦,٤ مليار دولار سنوياً تتفاوت من سنة إلى أخرى وإن كان القدر لها أن تتجاوز ٢٤ مليار دولار أمريكي في السنة خلال الأعوام القادمة. ومن جانب آخر فإن البيانات الصادرة عن النشرة الشهرية من البنك المركزي المصري في أغسطس (آب) عام ٢٠٠٩م تكشف عن جانب آخر من الصورة حيث تراوحت تحويلات العمالة المصرية في المملكة السعودية بين ٦٤٠ مليون دولار

بينما كانت

الجمعيات الإسلامية

المصحح لها بتنظيم

رحلات الحج، والعمرة،

عام ١٩٧٠م

حوالى ٣٦ جمعية فإن هذا

العدد قد قفز

إلى عشرة أضعافه بنهاية

عام ٢٠٠٧م ليبرز

على ٣٦٥ جمعية

أمريكي عام (٢٠٠٣/٢٠٠٤) إلى ٩٥٠,٠ مليار دولار أمريكي عام (٢٠٠٧/٢٠٠٨) شاملة التحويلات النقدية والعينية معاً والأخيرة في تلك الفترة لتعامل المصري أثناء عودته أو التي قام سترانها ونقلها إلى ديوه في مصر مثل السيارات أو السلع الكبريتالية المصنوعة التي أنها تشمل جزءاً جرى إنفاقه داخل أراضي المملكة السعودية وفي شرايين اقتصادها. مع تلك العطرية في التدفقات المالية من دول النفط، بدأ هذا بدافاً نشهد شيئا يشبه سياسة «التدوير، Recycling ذاتها التي اتبعتها الدول الأوروبية والولايات المتحدة في مواجهة فوائض الأموال المتحققة لدى دول النفط الغربية، وذلك بإعادة إدخال وتدوير هذه الفوائض المالية داخل الاقتصادات الغربية سواء في الأسواق المالية أو أسهم الشركات الصناعية وغير الصناعية أو أدون الخزائن الأمريكية والأوروبية يشبه ذلك وإن اختلف السياق أن مئات الملايين من الدولارات تدفقت مرة أخرى من خارج المملكة السعودية إلى داخلها مصاحبة لعشرات الملايين من الحجيج والمتمردين المسلمين من مصر وبقية رقع العالم الإسلامي. وعلى أي حال لقد ظل موسم الحج، وتدفقات المتمردين من كل أنحاء العالم الإسلامي طوال العام تقريباً بعد مصدراً أساسياً من مصادر الدخل لدى المملكة السعودية خصوصاً والعاملين منهم في قطاع الحج إلى وجه الخصوص، وهكذا تشكلت مصالح، وأنشئت شركات هنا وهناك، وبكثفت تتبع التطور والتغير الذي حدث في عمليات ترشيح وقبول المراهقين في الحج، أو الناهبين إلى «العمرة» خلال الخمسين عاماً الماضية مقدار التحويلات النقدية المصحوبة Service الدينية المصحوبة بصفائح اقتصادية ليعرف الأطراف هنا وهناك إلى مفهوم وواقع «السوق، Market بكل آلياته القاسية والوحشية في عصر العمرة بما لم يعد يتلاءم إطلاقاً مع جوهر «الحج، كفرية دينية واجبة أو الالتزام كشعبية دينية محبة إلى نفوس المسلمين. ومع تسارع التطورات التكنولوجية في عالم الاتصالات والتواصل (طائرات - سفن - سيارات، إلخ) رادت بالمقابل أعداد الحجيج في كل موسم من هذه المواسم بحيث زاد عددهم من عدة عشرات الآلاف من الحجاج قبل عام ١٨٠٠م إلى أن تجاوز خمسة ملايين حاج في موسم الحج، في السنوات القليلة الماضية.

خلال هذه العقود الطويلة الممتدة حوالى ١٣٠٠ عام من الهجرة الحميدية، ظل الطابع الغالب على هذه الشعيرة الدينية هو جانبها الوجداني والروحى. ورغم وجود عنصر «السوق» المتزامن والمصاحب لأداء فريضة الحج ومن مقوماتها.

- ١- وجود عشرات الآلاف من البدائع (الصدو) التى وفرت سوقا كبيرة لتجارة اللحوم
- ٢- وجود أماكن للإقامة ورعاية الحجيج (المبيت) يتولاها ملات من المطفوفين وأصحاب أماكن الإقامة والصياغة.
- ٣- حركة بيع الهدايا للزائرين من الحجاجات التى تحمل نفحات وبركات الأماكن المقدسة.
- ٤ تكاليف الطعام والشراب لمئات الآلاف من الحجيج.
- ٥- ثم اتسعت حركة التجارة غير

ففى المرحلة الأولى (١٩٣٥م- ١٩٤٠م)، كان متوسط حجم الإنتاج السعودى خلال هذه المرحلة لا يزيد على ٥٠٠ ألف برميل يوميا وسعر البرميل يتراوح بين نصف دولار إلى ٦٢ سنتا أمريكى وبالتالى فإن متوسط إيرادات المملكة السعودية من النفط ينمو بين ٧٥ مليون دولار أمريكى إلى ٩٣ مليون دولار سنويا أما المرحلة الثانية (١٩٤١م- ١٩٤٥م)، والتى زادت فيها طاقعة الإنتاج والتصدير السعودية إلى ١,٥ مليون برميل يوميا. كما زاد سعر البيع إلى الشركات إلى دولار أمريكى ومن ثم فقد رادت إيرادات المملكة السعودية إلى نحو ٤٥٠ مليون دولار أمريكى سنويا.

وفى المرحلة الثالثة (١٩٤٦م- ١٩٥٥م)، زاد إنتاج المملكة السعودية إلى ٢ مليون برميل كما زاد سعر بيع البرميل ما بين ١,٢ دولار إلى ١,٥ دولار أمريكى فحققت إيرادات قدرت بنحو ٧٥٠ مليون دولار



المشروعة (تجارة النفط) خاصة فى رعاية الدول ذات القيدود الاستيرادية (مثل مصر) خلال عقدي الخمسينيات والستينيات.

برغم أن الحجاج المصريين لم يكونوا هم الأكثر عددا خلال العقود السابقة على عام ١٩٧٤م، مقارنة بحجيج دول إسلامية أخرى (مثل إندونيسيا أو دول جنوب آسيا المسلمة) فإنهم -أى المصريين- كانوا الأفضل من حيث التجارة والشراء بحكم كونهم من الطبقة الوسطى ووفقى والمدينة، ومن ثم الفارين ماديا عن أعباء وتكاليف «الحج» فى تلك السنوات وساهم وجود «التيكة المصرية» فى مكة، وفى المدينة، فى إضافة مظهر مميز لصر لدى الحجيج عموماً والسعوديين على وجه الخصوص.

وعلى الجانب الآخر فإننا تأملنا تطور إنتاج النفط السعودى منذ عام ١٩٣٥م حتى عام ١٩٥٥م والعوالم السنوية المتحققة نكتشف انقطاع الاقتصادى لقطاع «الحج» والاعتماد، فى الاقتصاد السعودى خلال هذه المرحلة.

ذلك أن إنتاج النفط السعودى قد مر بعدة مراحل متمايزة من حيث حجم الإنتاج وسعر برميل النفط:

إذا تأملنا تطور إنتاج النفط السعودى منذ عام ١٩٣٥م حتى عام ١٩٥٥م والعوالم السنوية المتحققة نكتشف انقطاع الاقتصادى لقطاع «الحج» والاعتماد، فى الاقتصاد السعودى خلال هذه المرحلة

ستويا إلى ٩٠٠ مليون دولار سنويا. ومقابل كل هذا فإن قوافل الحجاج المصريين خلال نفس هذه المرحلة كانت تؤدى ضرائب ورسوم يربو ريارة للأساكن المقدسة تتراوح بين ٥ ملايين جنيه مصرى إلى ٨ ملايين جنيه مصرى (الجنيه المصرى يعادل وقتئذ ٢,٨١ دولار أمريكى) تدخل إلى خزينة المملكة فإذا أضفنا إليها نفقات هؤلاء الحجاج واقتدر عددهم سنويا بحوالى ٤٠ ألفا إلى ٥٠ ألف حاج فى صورة تنقلات وإقامة ومأكل ومشرب وشراء هدايا ولثمن الفنو أو (الأضحية) فإن هذه النفقات تقدر بحوالى ٢٠ مليون جنيه أى ما يعادل من ٥٧,٢ مليون دولار إلى ٦١ مليون دولار أمريكى سنويا هذا بخلاف عشرات الآلاف من الحجاج القادمين من كافة البقاع الإسلامية.

إذن حتى عضوية اندلاع حرب من أكتوبر عام ١٩٧٣م كانت عائلات النفط فى المملكة السعودية تكاد تعادل تقريباً عائلات المملكة من نفقات يؤديها الحجيج والمعتمرون القادمون من كافة بقاع العالم الإسلامى ومن بينها مصر ولتعتبر المعاملات عن تحريك القطع الشعبى الأكبر فى الاقتصاد السعودى.

بين وجد الشوق... وسوق عكاظ..!!

قبل عام ١٩٥٥م كان أداء فريضة «الحج» وسنة «المصر» يكاد يكون محصوراً على الطبقات الثرية فى مصر من طبقه ملاك الأراضي الزراعية والتجار ورجال المال والأعمال، وفئة قليلة من متوسطى الدخل من كبار الموظفين ومن على شاكلتهم، نظراً للتكاليف الباهظة التى كان يتحملها المسافر لأداء فريضة «الحج»، والتى كانت تتراوح بين ٢٠٠ جنيه إلى خمسمائة جنيه مصرى وهو مبلغ ياهظ لا يتوافر للكثيرين من غالبية الشعب المصرى ورغبة من نظام الرئيس عبد الناصر، فى إتاحة أداء هذه الفريضة لغفلات الوسطى ومحدوى الدخل بدأ عام ١٩٥٥م بإعادة تنظيم هذا القطاع، حيث جرى التعاقد بين وزارة الداخلية المصرية من جهة وكل من الشركة المصرية للملاحة البحرية وشركة مصر للطيران من جهة أخرى لمدة ١٠ سنوات يتم بمقتضاها حصول الوزارة على تأشيرات زيارة الأماكن المقدسة وأصدار وثائق السفر الخاصة بها مع تنظيم افواج الحجيج بحيث لم تتجاوز تكاليف السفر ذهاباً وعودة والإقامة والتفلات بين مكة والمدينة وميناء جدة أو ضبابا حوالى ١٢٠ جنيهًا (فى حينها) (فى السفر بصر) فزيد إلى ١٥٠ جنيهًا (فى حالة السفر جوا) بالإضافة لتلبيح إلى رسوم وضرائب زيارة الأراضي المقدسة. وقد ساهم هذا فى توسيع قاعدة المسافرين من المصريين على فريضة «الحج» بحيث زاد عددهم على حوالى ٤٠ ألف حاج سنويا خلال الفترة التى أعقبت ذلك العام وحتى عام ١٩٧٣م.

ولم تشمل تلك التكلفة والطابع نفقات المأكّل والشرب وشراء الهدايا من جانب الحجاج المصريين فى الأماكن الحجازية.

ومن جهة أخرى فقد بدأ منذ ذلك التاريخ، نظام القرعة، الذى كانت تنظمه سنويا وزارة الداخلية المصرية، بسبب تزايد الإقبال على هذا «الحج» «الشعبى» إذا جاز التعبير - فى ظل وجود تأشيرات محددة للسفر إلى الأراضي الحجازية قد لا تزيد على ٤٠ ألف تأشيرة سنويا، بالإضافة إلى الاعتبارات المالية التى أخذت بها الحكومة المصرية ولا زالت - بشأن تأثير هذه المسبوبات من العملة الأجنبية (الدولار الأمريكى أو الريال السعودى أو الجنيه الأسترلينى) على احتياطياتها المتداحة من النقد الأجنبى. وحتى ذلك التاريخ، لم تكن قد برزت

ما دفعه المصريون في الحصول على تأشيرة السفر لأداء فريضة الحج، عام ٢٠٠٨م (١٤٢٩هـ) يتراوح بين ٥٠ مليوناً إلى ٧٠ مليون جنيه تقريباً

١٤٢٩هـ

المرضعة المقدسة (الحج)، والسنة النبوية المحمودة (العمره)، مصحوبين بقوة شرائية هائلة ومشاعريته ومثلهم ملايين من المسلمين في كافة أرجاء العالم الإسلامي

وطبيعة الأشياء، فإذا كان السوق حاضراً في موسم الحج، منذ مئات السنين حتى قبل انبعاث الدعوة الحميدية - فإنه يعد الآن منافياً وجادياً وله رجاله والمتريجون منه من كل صوب وحيد.

وأغرى هذا السيل المتدفق - فلا توقف - الكثيرون بالمشاركة فيه حتى لو كانت ادوارهم لا تستلزم ذلك سواء على الجانب السعودي (وزارة الحج - هيئة معاج - الغرف التجارية والسياحية) أو على الجانب المصري (وزارة الداخلية - الشركات المسافرة - وزارة السياحة... إلخ). ففي البداية لم يكن هناك سوى الرسوم المقررة المتواضعة لإصدار وثيقة السفر والبقاء وتحملة المسافر من تذاكر الطائرة أو الباحرة وتكاليف الإقامة والتنقلات في المملكة وغيرها سواء تحملا بصورة مباشرة وشخصية أو من خلال وسط كشرركات السياحة أو الوكلاء أو الجمعيات الأهلية... إلخ.

وهكذا بدأ تصحيل الحجاء، أو المحتضر، بعشرات الرسوم والصاريف البالغ فيها حتى وصل سعر الحج، السريع من فئة الخمسة نجوم إلى ١٠٠ ألف جنيه (لأحد عشر يوماً).

تجارة التأشيرة..

من الناحية القانونية - والشكلية - مازالت تأشيرة السفر لأداء فريضة الحج، التي تصدرها القنصليات السعودية مثلية بتعبير مجاني، أي بدون مقابل لكنها ومنذ مطلع الستينيات بدأت السلطات السعودية والإسرائيلية تساقطان في فرض رسوم على إصدار هذه التأشيرات حتى قاربت مبلغ ١٢ مليون جنيه في الوقت الراهن. ففي عام ١٩٩٢م وضعت السلطات السعودية نظاماً جديداً قائماً على فكرة الخصم لكل دولة من الدول الإسلامية (واحد لكل ألف من السكان) خاصة بعد تزايد التظاهرات التي كان يقوم بها الحجاج الإيرانيون وأدت إلى مقتل مئات منهم في العام السابق (١٩٩٢م) وقد لاقى هذا الإجراء ترحيباً من السلطات المصرية لعدة أسباب بعضها سياسي والبعض الآخر اقتصادي.

سياسياً: أعيرت

بعضها إما إلى بيع حصته تلك إلى شركات سياحية أكبر مقابل الحصول على ١٠ آلاف إلى ١٤ ألف جنيه للتأشيرة الواحدة أو تجمع حصص عدد من الشركات في كتلة واحدة حتى تتمكن من التفاوض مع وكلائها السعوديين والحصول على شروط مناسية لإقامة وتنقلات الحجاج التابعين لهم وتحقيق أرباح معقولة في موسم الحج..

أما وزارة التضامن فقد بلغت حصتها في ذلك العام ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨م) حوالي ١٦ ألف تأشيرة يجري تجنب حوالى ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف تأشيرة. يوجه بعضها إلى وزارات معينة (وزارة الدفاع ويضع الأجهزة الرئاسية) ويصرف جزء آخر إلى السوق السوداء، حيث تباع التأشيرة بمبالغ تتراوح بين خمسة آلاف إلى ١٦ ألف جنيه للتأشيرة الواحدة مما ساعد على انتعاش واستمرار السوق السوداء، في هذا النشاط الدني. وكذلك الحال في تأشيرات الجمعيات الأهلية (١١ ألفاً إلى ١٣ ألف تأشيرة على حوالى ٥٠٠ جمعية) كيف تكون سوق الحج، والعمره، بعد عام ١٩٩٢م؟

أدت العوامل التي سبق أن أشرنا إليها (العمالة المتحركة - التحويلات - الصحو الإسلامية) إلى تدافع مئات الآلاف من المصريين المسلمين لأداء

والعناصر الفاعلة في هذه الحركة فحولتها إلى سوق ضخم له قواعد العرفية ومعدلات أرباحه الخيالية وممارساته أحياناً غير الأخلاقية وغير الدينية ومن أبرز هذه الأطراف الجديدة أو المتجددة على كلاً الجانبين:

• الشركات السياحية
• الجمعيات الأهلية
• الأجهزة الرسمية وشبه الرسمية
• وقد زاد الأمر سوءاً لجوء السلطات السعودية بعد تكرار أحداث مظاهرات الحجاج الإيرانيين إلى فرض نظام الحصص عام ١٩٩٣م) لحجيج كل دولة إسلامية وفقاً لقاعدة (واحد لكل ألف من السكان) حتى تستطيع تحجيم عدد الحجاج الإيرانيين من ناحية وتمكين الأجهزة الأمنية من السيطرة على الموقف من ناحية أخرى.

بيد أن هذه السياسات الجديدة قد لعبت دوراً كبيراً في خلق سوق سوداء، ضخم في مصر وقلة الدول الإسلامية وانتشر ممارسو السمسرة في تأشيرات الحج، وفنادق الإقامة وغيرها. أدى انتعاش هذه الحركة الواسعة بعد عام ١٩٩٢م وتحرك ما يزيد على ١٠ مليون مصري سنوياً في قوافل الحج، والعمره، إلى انتشار مقابل في شركات السياحة العاملة في هذا السوق. ففي عام ١٩٩٥م لم تكن لدى شركات السياحة المصرية تزايد على ١٨٠ شركة من جميع القضاة زاد عددها عام ١٩٩٥م إلى ٥٠٢ شركة ثم إلى ٨٩٢ شركة عام ١٩٩٧م ثم وصلت الزيادة إلى ٩٩٠ شركة عام ٢٠٠٠م، وبحلول عام ٢٠٠٧م كان عدد شركات السياحة العاملة في مصر قد بلغ ١٤٠٩ شركات وفي نهاية عام ٢٠٠٨م كان عدد الشركات السياحية في مصر قد قارب على ١٧٠٠ شركة.

وقد أدى دخول هذه الشركات - ووكلائها السعوديين من الجانب الآخر - على خط تنظيم هذه الرحلات الدينية إلى فتح أبواب جهنم على الأسعار والتكاليف، فانتشرت عمليات البيع والشراء - وعمليات السمسرة - في تأشيرات الحج، التي كانت القنصليات السعودية تصدرها مجاناً، خاصة بعد اتباع المملكة السعودية عام ١٩٩٢م أسلوب النسبة المئوية لكل بلد (واحد لكل ألف من السكان)

وبالتالي فقد بلغت حصة الشركات السياحية حوالي ٣٢ إلى ٣٥ ألف تأشيرة وزعت على الشركات العاملة في هذا المجال.

ونظراً لقلة حصص بعض هذه الشركات (أقل من ٢٠ تأشيرة) فقد لجأ

أدوار أطراف أخرى فاعلة في عمليات تنظيم رحلات الحج، والعمره، مثل شركات السياحة التجارية أو الجمعية الأهلية فطلت أفواج الحجيج في معظمها تتولاها أجهزة وزارة الداخلية بالتعاون مع السلطات السعودية من الجانب الآخر.

وبرغم التسهؤ الذي ساد في العلاقات السياسية بين مصر والمملكة السعودية بعد عام ١٩٥٨م واستمر تقريباً حتى عام ١٩٧١م، فقد حافظت روابط أفواج الحجيج المصريين للأراضي المقدسة التي ظلت قائمة مستمرة وعند معدلاتها العادية.

فإذا حاولنا تقدير حجم النفقات التي دفعها المصريون الحجيج والاقتصاد المصري في سوق الرحلات المقدسة تلك خلال الفترة الممتدة من عام ١٩٥٥م حتى عام ١٩٧٣م والتي تشمل:

- ١) تكاليف السفر هاباً وإياباً بحراً وجواً
- ٢) تكاليف التنقلات داخل الأراضي الحجازية
- ٣) تكاليف الإقامة
- ٤) تكاليف المأكّل والمشرب داخل المملكة السعودية
- ٥) تكاليف الفطور (الأضحية)
- ٦) تكاليف شراء الهدايا من الأراضي المقدسة
- ٧) وإجراء المعاملات الرياضية على البيانات المتوافرة عن تلك الفترة (١٩٥٥م - ١٩٧٣م) يحصل مجموع ما تحمّله مصر من اقتصادها في رحلات الحج، لهذه الفترة إلى ١٢ = مليون جنيه مصري (ما يعادل ٣٤,٧ مليون دولار أمريكي) نصفهم تقريباً حصل عليها الاقتصاد السعودي



بعد عام ١٩٧٤م تحول المشهد كله في مصر والمنطقة العربية والإسلامية لأسباب التي سبق وعرضناها والمتمثلة في:

- ١) أثر حركة العمالة المصرية والعربية والإسلامية إلى دول النفط العربية على توزيعات الدول.
- ٢) تصاعد نفوذ المملكة السعودية على سياسات المنطقة.
- ٣) صعود التيار الوهابي والسلفية وانتشارها بين طبقات واسعة من السكان.
- وهنا اتسع نطاق الرحلات الدينية المقدسة وكذلك تصدعت الأطراف

كتاب الزاوية



تقرير جولدستون (٣)

الحصار

ركزت البعثة (الفصل الخامس) على عملية الغزل الاقتصادي والسياسي الذي تقترضه إسرائيل على قطاع غزة، والمشار إليه بصورة عامة باسم الحصار. ويشمل الحصار تدابير مثل فرض قيود على السلع التي يمكن استيرادها إلى غزة وقفل المعابر الحدودية أمام الأشخاص والسلع والخدمات، وهو ما يستمر أحياناً لأيام، بما في ذلك إجراء تخفيضات في الإمداد بالوقود والكهرباء. كما يثأثر اقتصاد غزة تأثراً شديداً بتقليص مساحة الصيد المسموح بها للصيادين الفلسطينيين وإنشاء منطقة عازلة على طول الحدود بين غزة وإسرائيل، مما يخفض مساحة الأرض المتاحة للزراعة والصناعة. وبالإضافة إلى أن الحصار يخلق حالة طوارئ، فإنه قد أضعف كثيراً من قدرات السكان وقدرات قطاعات الصحة والمياه والقطاعات العامة الأخرى على الاستجابة لحالة الطوارئ الناشئة عن العمليات العسكرية.

٢٨ - ومن رأى البعثة أن إسرائيل مازالت ملزمة بموجب اتفاقية جنيف الرابعة وإلى أقصى حد تسمح به الوسائل المتاحة لها، بضمان توريد المواد الغذائية واللوازم الطبية ولوازم المستشفيات والسلع الأخرى بغية تلبية الاحتياجات الإنسانية لسكان قطاع غزة دون قيد من القيود. ومن رأى البعثة أن إسرائيل مازالت ملزمة بموجب اتفاقية جنيف الرابعة وإلى أقصى حد تسمح به الوسائل المتاحة لها، بضمان توريد المواد الغذائية واللوازم الطبية ولوازم المستشفيات والسلع الأخرى بغية تلبية الاحتياجات الإنسانية لسكان قطاع غزة دون قيد من القيود.

إذا استثنينا عمليات التجارة المصاحبة لرحلات بعض المسافرين المصريين لأداء فريضة الحج، والعمر، (تجار الشنطة) والمرتبطة باستخدام هذه الرحلة المقدسة للتغطية على عمليات تهريب جرمي والاستفادة من فروق الأسعار في بعض السلع بين مصر والمملكة السعودية، فإن المؤكد أن جميع الحجاج تقريباً يستحضرون معهم إثناء العودة بعض المشتريات والهدايا إما لإهدائها لأقربائهم وأبنائهم وأحبائهم في مصر أو تبركاً بها من الأماكن المقدسة.

وعلى قدر المستطاع لدى الحاج المصري فإن هناك حدوداً لنفاق على هذه الهدايا لم يقل عن ألف ريال سعودي (١٥٠٠ جنيه مصري في المتوسط) ويتدرج صعوداً إلى ما يقارب ٢٠ ألف ريال سعودي (٢٠٠ ألف جنيه مصري) فإذا كان عدد المسافرين المصريين لأداء فريضة الحج، ذلك العام (٢٠٠٨) قد بلغ حوالي ٨٠ ألف شخص تفاوتت قدراتهم المالية والأشراكية فإننا نستطيع عبر استخدام توزيعات الأعداد المسافرة على المستويات الثلاثة السابق الإشارة إليها أن نقدر الأتي:

- ١- أن حوالي ٢٥٪ من الحجاج المصريين (أي ٢٠ ألف حاج) هم من القادرين على شراء هدايا في حدود ألف ريال سعودي لكل حاج (أي حوالي ٣٠ ألف جنيه).
- ٢- وأن هناك ٢٥٪ من الحجاج المصريين (أي ٢٠ ألف آخرين) هم من متوسطي الحال الذين لن تتجاوز مشترياتهم عشرة آلاف ريال سعودي لكل حاج (أي حوالي ١٥ ألف جنيه مصري).
- ٣- وأن هناك ٥٠٪ من الحجاج المصريين (أي ٤٠ ألف حاج) لن يستطيعوا أن يستحضروا معهم سوى هدايا في حدود ألف ريال سعودي فقط لكل حاج (أي ١٥٠٠ جنيه مصري).
- وبالتالي وبحسبة بسيطة سنجد أن تكاليف الهدايا في صحبة الحجاج المصريين العائدين:
 - ٦٠٠ مليون جنيه + ٤٠٠ مليون جنيه = ١٠٠٠ مليون جنيه مصري



والخلاصة أنه بحساب أرقام إنفاق الفئات المختلفة للحجاج السابق الإشارة إليها مع نفقات شراء الهدايا وكذلك

نفقات التآشيرات، يصبح مجموع ما أنفقته الحجاج المصريون في موسم حج عام (١٤٢٩هـ) الموافق عام ٢٠٠٨ م
 = (٧٠ + ١٦٨٥ + ٧٢٥ + ١٨٠ + ١٠٦٠)
 = ٢٦٨٨ مليون جنيه مصري
 أو = ٣٥٤٨ مليون جنيه مصري
 أي ما يعادل ٦٢٢,٩ مليون دولار أمريكي
 أو = ٦٣,٦ مليون دولار أمريكي
 أو بالعملة السعودية = ٢٢٢٥,٣ مليون ريال سعودي
 أو = ٢٢٦٥,٣ مليون ريال سعودي
 ذهب نصفها تقريباً إلى الاقتصاد السعودي وذهب نصفها الآخر إلى قطاعات في الاقتصاد المصري (السياحة - وزارة الداخلية - شركات الطيران - والمعارات البحرية ووسائل النقل المصري).

وإذا حاولنا تقدير الصورة الإجمالية لمصروفات الحجيج من كل بقاع العالم الإسلامي والمقدري حوالي ٤ ملايين حاج لذلك العام (٢٠٠٨) تفاوتت قدراتهم المالية والاجتماعية (حجاج بنجالاديش والهند والتباكستان واليمن مقابل حجاج تركيا ومصر ودول الخليج العربي...) (الخ)

فإذا قدرنا أن متوسط التكلفة لفردا الحجاج المسلمين في الدول المشار إليها هو ألف دولار للحاج الواحد وأن متوسط إنفاق حجاج بقية الدول الإسلامية يتراوح بين ثلاثة آلاف دولار إلى عشرة آلاف دولار أمريكي.

وأن نصف الحجيج من البلاد الإسلامية الصغيرة (باكستان - بنجالاديش - الهند - نيجيريا - اليمن... إلخ) بينما يدفعهم الآخرون من الدول متوسطة الإنفاق والرابع الأخير من الدول ذات القدرات المالية الكبيرة.

فإن حجم الإيرادات التي تحققت للمملكة السعودية
 = (٢ مليون حاج × ألف دولار) + (١ مليون حاج × ٢ ألف دولار) + (١٠ آلاف دولار)
 = (٢ مليار دولار) + (٢ مليار دولار) + (١٠ مليار دولار)
 = ١٣ مليار دولار أمريكي

أي ما يعادل ٤٨,١ مليار ريال سعودي وهو مبلغ هام في الاقتصاد السعودي يكاد يعادل ما جري تحويله من أموال سعودية لصالح العمالة الأجنبية والعربية العاملة على أراضيها والذين قدرتهم دراسات بعض الخبراء السعوديين بأنها بلغت ١٦,٤ مليار دولار سنوياً خلال العشر سنوات الممتدة من عام ١٩٩٨م حتى عام ٢٠٠٨م. ■





**جلس داخل شقته بعيداً
عن أنظار بوليس الفكر.
بدأ في تصفح الكتاب
الذي أحضره من مكان
محظور على أعضاء
الحزب أن يدخلوا
إليه، وشعر على
النور برعشة
في معدته،**

عامي ١٩٤٣/١٩٤٤ أو خلال فترة أشد الحاركة ضاروة في الحرب العالمية الثانية واعتقد الكثيرون أن القوة النازية الهتلرية هي التي تستمر وتنتهز وتحتفي بالحضارة الغربية كما عرفها العالم أو أصحابها على الأقل. في هذه الفترة هو وزوجته آيلين تينبا ولهما الوحيد ريتشارد. هل كان ذلك علامة على بعض الأمل في المستقبل، أم مجرد ملاذ لهما يؤنس حياتهما؟ لا تعرف. أوويل نفسه يقول أنه تأثر باجتماع عشده هناك الحلفاء في مؤتمرهم في طهران عام ١٩٤٤. ويقول عليه المعروف إيرازك دويتشر الذي كان من أهم الصحفيين والأدباء في بريطانيا في ذلك الوقت أن أوويل كان واقفاً أن ستالين وتشرشل وروزفلت تأمروا في طهران أن تقسم العالم فيما بينهم. هذا التصور من جانب أوويل لم يكن بعيداً عن الحقيقة، فكما نعرف من مؤرخو بولصدام عقب الحرب أن ستالين انتزع من زعماء الغرب - تشرشل وروزفلت - الاعتراف بالإساق موسكو لدول عديدة في شرق أوروبا للنفوذ السوفييتي والتي أصبحت دات أنظمة شيوعية بالإضافة إلى تقسيم ألمانيا وهو ما أدى بعد فترة قصيرة إلى ظهور الحرب الباردة بين النظامين الشيوعي والرأسمالي.

جريدة الأوبزرفر العريقة التي ادين لها بمعلومات كثيرة عن تاريخ أوويل تعد من أكثر الجرائد مصانة في تاريخ الصحافة البريطانية ولا زالت هي رايي من أفضلها. أجبرتها الأمرات المالية على تقليص نشرها وأن تصبح أسبوعية ولكنها مع ذلك تضم أفضل المحللين السياسيين والاقتصاديين وتخصص صفحات هامة للأخبار وتنتشر في كل أسبوع أهم الكتب التي تصدر عالمياً، الجريدة كان يملكها في ذلك الأثناء الناشئ البريطاني المعروف والاستقرطاعي في نفس الوقت «أديف استور» الذي الحق عام ١٩٤٢ جورج أوويل ضمن الكتاب العاملين في الصحيفة، أول الأمر ككاتب يستعرض الكتب الجديدة ثم مراسل مهم مختلف، أعجب استور بأسلوب أوويل وفهرته على «الحياء» الموضوعي وأسلوب المباشر في مقالاته التي كانت تنقسم بالعرض التمثل في نفس الوقت. ولذلك إذا كان يصح استخدام هذا التعبير فإنه وضع أوويل تحت جناحيه أو رعايته، بل أصبحا صديقين وهو عامل أثر إلى حد كبير في صياغة رواية ١٩٨٤. بالمناسبة تاريخ ١٩٨٤ كان في نظر الحارجين من الحرب وما خلفته من دمار وعذاب تاريخاً قد يبدو بعيداً للكثيرين، ولو أنه إذا ما حسبت فإنه كان يتحدث «مجازياً» عن مستقبل سيجل بعد خمسة وثلاثين عاماً فقط. ولكن الغالبية كانت تريد أن تستريح وتنعم بالراحة ولا تريد أن تفكر في احتمال أي مستقبل مظلم لها أو للعالم.

جورج أوويل أيضاً هو صاحب الرواية المعروفة «مزرعة الحيوانات» التي ترجمت إلى العربية ومن يبدأ أي قراءتها أيضاً

من يسكت حتى ينتهي منها. هي أيضاً من الروايات التي أثرت في جيل كامل وكانت مصدرة لترواية ١٩٨٤ وتصور مزرعة للحبوانات فقط يسود فيها الخنزير صاحب السيطرة الذي تسعى مقية الحبوانات إلى التقرب منه بل والمصون على حظوته. كل ذلك بأسلوب رشيقي تهكمي ساخر وقصد بها أوويل أن يشير إلى الأنظمة الشمولية التي يحاول فيها الأفرار والمؤاسات انخراط الدخيل على «القاد» وحكمته وبعد نظره إلخ... وقد انعكس ذلك على أسلوبه في عرض الكتب التي كان يختار عرضها كل أسبوع في الأوبزرفر.

تدخلت عوامل أخرى لكي تؤثر في نفسية أوويل وفي الرواية التي اخترعت عنصراها في ذهنه. بعد فترة قصيرة من تبنى ابنه «ريتشارد» دمرت شقته تقريباً بفعل بعض القوارض، وهو ما مثل في ذهنه قيام نظام ما لا تراه يقوم بتخريب حياتك وأنت لا تستطيع مقاومتها أو حتى رفيتها أو التعرف عليه. كان ذلك أيضاً مثلاً لما حدث للكثير من مياي لندن خلال الحرب التي استهدفتها الطائرات الألمانية دون تمييز ومصرتها من أجل إحباط البريطانيين والتأثير على معنوياتهم وعزيمتهم على مواصلة الحرب، حيث كان هتلر يريد منهم أن يتوروا على تشرشل الذي أدخلهم في حرب لا صلة لهم بها. وأسوأ من ذلك تلقى أوويل نبأ وفاة في مهمة للجريدة في أوروبا نيا وفاة زوجته آيلين التي كانت تخضع لجراحة بسيطة في المستشفى.



لقد وجد نفسه فجأة إرملاً وأيا لطفل صغير يحاول مقابلة نفقات الحياة على شقة متواضعة أو يجتر أعزائه ويحتده خاصة بعد فقد زوجته. ركر على عمله لنسيان ما ألم به وإنكب على عمله في الأوبزرفر حتى أنه يقال أنه خلال عام ١٩٤٥ وحده كتب مقالات كثيرة في الأوبزرفر قدرها البعض أنها ضمت أكثر من مائة ألف كلمة. هذا في وقت كانت فيه الصحافة تمثل أهم مصدر للمعلومات والرأي العامية السكان ولم يكن التليفزيون قد انتشر بعد.

وهنا تدخل صديقه ناشر الجريدة استور الذي كانت عائلته تملك جزيرة منزلة في إسكتلندا، بعيدة جداً عن أي صمران. في البداية عرضها استور على أوويل لكي يقضى فيها عطلة وإجازة له وقيل أوويل ذلك بحماسة شديدة. في مايو ١٩٤٦ ترك الرجال إلى هذا المكان المميز قليلاً لصديقه أرثر كوستلر الكاتب المعروف أنه استمد للرحلة كما لو كان ذاهباً في رحلة طويلة إلى القطب الشمالي. بالمناسبة أرثر كوستلر هذا صاحب الكتاب الشهير فيما بعد عن اليهود تحت اسم «القطبية الثالثة عشرة» واليهودية ولكنه حظي بتغطية واسعة.

لم يكن أوويل في ذلك الوقت يتمتع بصحة جيدة، وكان شتاء عام ١٩٤٦ أقصى برودة في بريطانيا على مدار قرن كامل، وكان المجتمع البريطاني لا يزال يعاني من إجراءات التقشف وخطافات التوتوين وعدم توافر السلع ونقص التغطية كل ذلك فاقم من مرضه. ولكن على كل حال فقد بعد من حياة الصحفيين ومناراتهم في العمل التي كانت تسود لندن، وبوفر له العمل من الوقت والجهد الملائم من أجل بدء كتابة روايته الشهيرة. ومن المفارقات أن بعض الصعوبات التي واجهت أوويل في تلك الفترة كانت بسبب نجاح روايته السابقة «مزرعة الحيوانات» فبعد أن شعر بالمرارة لأعمال المجتمع الأدبي له، وجد نفسه فجأة محط اهتمام الدوائر الأدبية والعقري. فبعد انتهاء هذا الاهتمام اسر إلى رميله «كوستلر» أن الكثيرين كانوا يطلبون منه الموافقة على لقاء محاضرة من الأدلاء بحدث صحفي أو المشاركة في مشروع معين، وهو يريد في الواقع أن يتحرر من ذلك وهو واثق أن الفرصة لكي يفكر من جديد. وجد هذه الفرصة في تواجده في مكان مغرور في إسكتلندا ولكن كان عليه أن يدفع ثمن ذلك. كان قد كتب مقالته قبل ذلك بعدة سنوات تحت عنوان «لماذا أكتب؟» شرح فيها المعاناة التي يقابلها من أجل الكتابة، من كتاب ما، بالأمير في رأيه بمثابة معاناة فظيمة مثل مرض طويل بسبب إلقاء الأملا الكبيرة. ولا يجب على المرء أن يندم لأن ذلك إلا إذا كان مسيطراً عليه شيطان ما. لا يمكنه أن يقاومه أو يتفهمه.

من ربيع عام ١٩٤٧ حتى وفاته عام ١٩٥٠ كانت كتابات أوويل تدكس كل هذه المعاناة والشكوك، وظن البعض أنه وصل إلى الحد الذي قد يجعله يستعبد يده المعاناة وهي أمور تلحق بمن يشعرون بالذلة من تعذيب أنفسهم. كتب إلى ناشر روايته يقول «إن أقام مع كتابة هذه الرواية التي يجب أن أنتهي منها هذا العام، وعلى كل حال سينتهي بي الأمر بكسر ظهرى بحلول الخريف». الحياة في هذا المنزل المتزل لم تكن فائرة، فهو بيت صغير نسبياً ولم يكن مزوداً بالكهرباء وكان عليه استئجار الولود من أجل طهو طعامه أو تدفئة المياه كان مدمناً على تدخين السجائر ولم يرتبط مع العالم الخارجي إلا عن طريق رايمو صغير يعمل بالبطارية.

عاش أوويل على سبيل سرير جدا ومنضدة صغيرة وكوسيين، وبالرغم من ذلك فقد أحب هذه الحياة البسيطة الخالية من أي كماليات. عرفه أعلى المنطقة باسمه الأصلي «رايك بلير» ووصفه بأنه رجل مهذب طويل القامة. تبدو كبد على وجهه علامات الحزن. عندما التحق به ابنه ريتشارد الصغير من مربيته فإنه كان يلجأ إلى أخته «إيريل». يفكر ريتشارد فيما بعد أن هذه الأبنة كانت عوناً عظيماً لأبيه وأخيه وبمدرسة منزل متفارة وكان وجودها عاملاً مساعداً لأوويل الذي يسجد استقراره بدأ في

كتابة الرواية والبائع وكتب إلى ناشره انه يعتقد انه قد انتهى من ثلثي الكتاب، ولكن للأسف لم يستطع ان يعمل أكثر من ذلك بسبب سوء صحته. كان يدرك ان الناشر بدأ بفقد صبره من التأخير في تسليم مسودات الرواية، فكان يخبره ان الفكرة الرئيسية جاهزة وانه يعتقد انه سينتهي من الرواية بحلول أكتوبر.

من الأمور البسيطة التي كانت تدخل السعادة على قلبه تمكنه من الضياع هو وابنه بنزهات في المنطقة المحيطة بمنزله في الجزيرة أو صيد السمك، ولكن كان رحلة بالقرب صغير ضمه مع أخته وابنه كاد ان يفكر وطل غيرة طويلة في المياه الباردة التي تقارب درجة الصفر وهو ما اضر بصحته كثيرا وتمرض خلال شهرين لمعالجة مرضية شديدة. حتى تلك الوقت كان ينوي ان يكون عنوان الرواية هو: «آخر إنسان في أوروبا» ولكن في إطار شكه وتردد قال انه يجب إعادة كتابة شلتي الرواية على الأقل مرة أخرى.

بينما انه ادرك ان اجله قريب ولذلك بدأ بعمل صورة مكثفة وكل يوم لساعات طويلة، ولكن في نوفمبر انتار مصابا بحمى شديدة وكتب إلى أحد زملائه انه اصيب بالسل ما اقتضى نقله بصعرة إلى المستشفى ولكن في ذلك الوقت لم يكن العالم قد اكتشف بعد دواء لهالجه هذا المرض وكان الأطباء ينصحون بمجرّد تعرض المريض للهواء النقي مع غذاء معين. كان هناك دواء أمريكي جديد تمت التجربة تم احضاره ولكن ابنه يعتقد ان والده قد اعطى جرعات زائدة منه مما هلكه من اعراض المرض وقد عثره وتغير جلده وكن بحلول شهر مارس من عام ١٩٤٨ تحسنت صحته إلى الحد الذي جعله يعتقد انه قد شفى تماما ولكنه يتوهم قائلا: ان الأمر كما كان مشابهة اغراق النسيجية من أجل ذلك فإن الموضوع يستحق.

انتهى من مسودة الرواية في النهاية، لم يكن كما ذكر لناشره راضيا تماما عنها ولكنه في نفس الوقت لم يكن مشغوره سينا نحوها، وكانت ستكون بالقطع القليل الا لا مترددا في عنوانها هل سيكون ١٩٤٨ أو «آخر إنسان في أوروبا»، كان في صراع مع الزمن ولكنه قرر ان ينهي العمل بنفسه دون اي مساعد من الناشر وكتب النص النهائي على آلة كتابة عتيقة، وانتهى منها في ديسمبر ١٩٤٨. ادرك الناشر على الفور قيمة الرواية بعد ان وصلته واعتبرها من أفضل الكتب التي قرأها وأكثرها إثارة في حياته وتوقع ان تبيع الرواية على الأقل ٢٠ ألف نسخة خاصة وان الأساطير الأدبية وصلتها أخبار عن مستواها الرفيع. على هذا الوقت وصلت صحة أورويل إلى مرحلة حرجية جعلته ييضق دما ولكنه شعر ببعض المساعدة من التعليقات الصحفية المرحبة بالرواية. صدرت الرواية في يونيو ١٩٤٩ في بريطانيا، وبعدها بخمسة أيام في الولايات المتحدة، وعلى غرابة اعتبرتها

من أفضل الكتب التي صدرت حتى آن وستون تشترشل رئيس وزراء بريطانيا قال انه جاءه رأي. أورويل في غرخته في المستشفى ومع تدهور صحته تزوج سيدة تدعى «سونيا براونيل»، وشعر مؤقتا ببعض السعادة ولكنه توفي في يناير ١٩٥٠ وهو ما مثل صدمة لعديد كبير من القراء والأساطير الأدبية في نفس الوقت. اختار النقاد في سبب اختيار أورويل لعنوان ١٩٤٨، البعض قال ان هذا التاريخ كان يتناسب مع ميوية الجمعية القابية وهي جمعية تأسست عام ١٨٨٤ وكانت تصمم بعض الذين اعتبرهم المجتمع من الحائرين والمثاليين وكان من ضمنهم الكاتب الإنجليزي الساخر الحروف جورج برناردشو. البعض الآخر يظن ان العنوان متعلق برواية الكاتب المعروف جاك لندن، «القدم الحديدية»، التي تلتها فيها بوصول حركة سياسية إلى الحكم عام ١٩٤٨ إلى غير ذلك من التكتكات، ولكن أحد الكتاب الذي عمل على جمع ونشر كل أعمال أورويل يرى ان العنوان ينبع من مجرد تغيير أماكن الأرقام من ١٩٤٨ إلى ١٩٤٩، وإلى تاريخ مولد ابنة بالثاني عام ١٩٤٨، أما عن تخليه عن اسم «آخر إنسان في أوروبا»، فإن أورويل لم يكن متحمسا له فضلا عن انه ناشره قال انه ١٩٤٨ عنوان أفضل.

الكتاب بلغت شهرته ان ظهر في عدة أفلام ممتازة. الذكر جيدا مدى تأثرى بالفيلم الذي ظهر فيه المحمل ويتشارك يثيرون والذي حاول الايحاء بالحكم النازي، كما قام التلفزيون بعرضها في مسلسل تحت عنوان «الخيال الكويون» ان يدري الكثير من المشاهدين معنى عنوان ١٩٤٨ بل ان الزفرة رقم ١٠٠ التي ورد ذكرها كثيرا في رواية جورج أورويل كمكان للاستجواب جعل بعض الفانادق تتفادى ان يكون بها غرف تحت هذا الرقم خشية ان يمرض عنها النزلاء، تماما مثل بعض الفانادق التي تتفادى الإشارة إلى الدور الثالث عشر الذي يتشام منه النزلاء. واصبحتنا الآن نسمع اسم «بوليس الفكر» الذي اورد أورويل في روايته عن شرعية تقوم بمراقبة افكار المواطنين وعدم السماح لهم بالتفكير في أي شيء يتنافى مع آراء السلطة.

١٩٤٨ أظهر أسلوب أورويل الساخر الذي يوضع للمجتمع ماذا ستكون عليه الاحوال اذا ما قبل بوجود نظام شمولي او دكتاتوري حتى لو امكن لهذا النظام ان يوفر جدا أدنى من المعيشة المادية ولكنه يلغي الحرية والفكر. تماما كما فعل في روايته الشهيرة «مزرعة الحيوانات» التي رفض نشرها الشاعر الشهير ت. أس. اليوت الذي كان مدبرا لإحدى دور النشر في عام ١٩٤٤ باعتبارها غير مناسبة ولأنها في رايه تعارض الفكر البروتستانتية ومعادية لروسيا حليفة بريطانيا في الحرب ضد النازية. ولكن

مند صدور هذه الرواية أو ١٩٤٨ لا تمر سنة إلا ويعد كليهما نتيجة سعيتهما الكبيرة في مختلف أنحاء العالم. ولكن هل طباعة كتاب معين يعني انه يقرأ بالكامل؟ في استثناء معين أجرى في بريطانيا مؤرخا ظهر ان نصف من تم سؤلهم اهدوا انهم يتذكرون انهم يفتنون الكتاب ولكنهم في الحقيقة لم يقرأوه والأمروء محاولة التطاهر، لذلك في المجتمع حتى لا يظهر انهم مستحقين من التفتيش. ١٩٤٨ كان على قلقة فكر الكتب مشهورة، ولكن عندما سئل الذين تم استقصاؤهم عما إذا كانوا قد اذعن امام آخرين انهم قرأوا كتابا ما وفي الواقع لم يقرأوا، اجاب ٢٥% بـ «نعم» و ٤٢% انهم ادعوا كذبا انهم قرأوا رواية ١٩٤٨ لأورويل من أجل التأثير في الآخرين. من الكتب الأخرى التي تدخل في هذا الطراز رواية الحرب والسلام لتولستوي (٢٣١) ولابوليس لجيمس جويس (٢٢٥) وحتى الانجيل (٢٢٤) أي ان جميع المتطاهر بقراءة الكتب المشهورة موجودة بين الكثيرين واعتقد انه كذلك وأكثر في مجتمعاتهم ايضا.

هذا الاستقصاء الذي تم بمناسبة يوم الكتاب العالي أظهر ان الكثير منا يروم الحصول ليس لديهم الصبر على قراءة الكتاب بالكامل بل تتمثل نهايته ٣٣% قالوا انهم لم يذكروا ابدا ولكن الصالحية اقرت بذلك. وإذا كنت أحد الأشخاص الذين تلقوا أحد الكتب كهدية من شخص ما واكتشفت ان الكتاب في رقب جدي بل ان الذي قدمه اليك كهدية قد قام بقراءتها أولا من قبل فإنك مصيب في شكوكك. ٤٤% أجابوا بذلك. الكتب المجلدة تجلبها فاحرا كما تموت اجبال عديدة على فعل ذلك انتهت وحتى في مصر فإن ظاهرة التجديد اختفت إلى حد كبير واصبح من العادة ان تطوى الصفحة عندما تتوقف عند جزء معين وهي عادة جيدة إذ يمكن استخدام وسائل أخرى تساعدك في البدء من الصفحة التي انتهي اليها مثل وضع ورقة أو حتى بقايا تذكرة إلخ. ولكن بعض الناس لديهم قدر عجيبة على «بهدلة» الكتب التي يفتنونها يتنبأ البعض ايضا باحشاء الكتاب المطبوع على ورق في مستقبل قريب، والوضوء الآن هي شراء الكتب الإلكترونية أو أسطوانة رقمية سجل عليها عثرات الكتب، أي ان المكتبات التي نلاحظها حاليا وبها أرفف موضوع عليها مختلف الكتب ستختفي ايضا.

رواية ١٩٤٨ هي محاولة لاستقراء المستقبل. هل صدقت توقعات او تخيلات جورج أورويل ما لا لا لقد عام ١٩٤٨ ولم تحدث او تتحدث هذه التخيلات، وإن كان البعض يرى أنها بالفعل موجودة وقد تحققت في بعض أنحاء العالم. كان الاتحاد السوفيتي في هذا التاريخ في أوج قوته وكان ينامط الولايات المتحدة، هذا إضافة إلى نظام الصين الشيوعية بقيادة ماو تسي تونغ وكوريا الشمالية بقيادة الدول الأفريقية التي جئتمت على



لقد فعلت ذلك مرات
المرات مع رجال عديدين،
هذا ما قاله جوليا بركة
وحسان وهما يجلسان
على الحشائش في
إحدى الحدائق وهما
يدخران في
السن سيجارة
الاتصاف



شعر بمشاعر النشوة والتفوق. لم يحدث شيء كثير حتى تلك اللحظة لأن كل عمل قام به حتى الآن كان يرمى فقط لإظهار هشاشة العالم القمعي المقسم إلى ثلاث قوى عظمى...

أنفاسها أنظمة الحكم الواحد أو القائد الأوجد أو الزعيم والرئيس مدى الحياة. ولكنني اعتقد أن ما قصده أورويل هو إطلاق طقفة تحرير إلى الإنسانية حتى تكون على حذر من انسياقها الأعمى وراء زعيم أو نظام أو مؤسسة الخ... هو لم يقصد أن ذلك يمكن أن يحدث فقط في الأنظمة الشيوعية الشمولية، وإنما حتى في الأنظمة الرأسمالية التي تتغول فيها الرأسمالية بطريقتة وحشية وتكاد تنمحى فيها حرية الفرد. العالم يجرب ولا يزال في بعض الأحيان يصيب وفي أحيانا كثيرة يخطئ. في عالمنا الحديث أصبحت بعض الشركات العالمية متعددة الجسيمة القوى من دول بكاملها وتستطيع التأثير على أنظمة مستقرة. قراءة المستقبل أصبحت علما يدرك في الجامعات والمعاهد المتخصصة منذ فترة خرج علينا مؤسسات مختلفة تصوراتها حول مستقبل العالم بعد عشر وعشرين أو خمسين سنة. بل إن المختبرات الأمريكية خرجت علينا منذ سنتين بتقرير مفصل حول رأيها لما سيكون عليه العالم بعد ربع قرن. وإلى القوى ستكون في الرائدة مدى تأثير مركز الولايات المتحدة في هذا الصدد وما يجب أن تفعله لكي تظل في الصدارة دائما. بعض هذه التصورات تخيب مثل تنبؤات المختبرات الأمريكية حول القوة العسكرية السوفيتية التي هزلت منها كثيرا وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي يبين أن هذه القوة لم تكن بهذه المنعة التي تصورتها وتخوفت منها المختبرات الأمريكية. ولكن صدقت تنبؤاتها حول قوة الاقتصاد السوفيتي وأنه يமானى من صعوبات جمة يسببها البيروقراطية وعدم الكفاءة والإدارة الخ... على العموم علم المستقبليات يجب أن يحظى باهتمام في بلادنا النامية والعالم العربي على وجه الخصوص ويحتاج إلى علماء السياسة والاقتصاد والاجتماع والنفس إلى غير ذلك. مثلا ماذا سيكون عليه مستقبل الدول العربية المنتجة للنفط إذا انتهى النفط في العالم أو إذا ما اخترعت بدائل للنفط؟ أو كيف يمكن أن تسد الموارد العربية احتياجات السكان المتزايدة ماذا ستكون عليه علاقة الأفراد بالمرکز أو الحكومة؟ أو هو ما نتحدث عنه كثيرا الآن. هو ما مستقبل مصر على ضوء هذه الاتجاهات وتغير المناخ؟ كل هذه الاحتمالات مطروحة وحتى أن لم تكن ملحة الآن إلا أنها تحتاج إلى تأمل وبحث وعملانية وتقدير من أفضل العقول عننا.

على العموم فإن استقرار المستقبل لا يقتصر على الحكوميين أو الخبراء الرسميين وأساقفة الجامعات، وإنما امتد منذ قرن تقريبا إلى الكتاب والروائيين وظهرت افلام كثيرة عما سيحدث في المستقبل من صواريخ في الفضاء في كلنا غريبة نغزو الأرض ونصل كلها تستهفد المجتمع الأمريكي الذي تقارص رخاؤه ولكن البطولة والشجاعة الأمريكية هي التي تقف الأرض ومن عليها.

على العموم أفضل الكتب التي ظهرت

حتى الآن عن تصورات المستقبل وأعمل فيها مؤلفوه الغنائ لخيالاتهم هي:

(١) العالم يطلق سراحه المؤلف الإنجليزي الشهير هـ ج ويلز الذي كتبه عام ١٩١٤ تنبأ من قبل بظهور عدة اختراعات حدثت بالفعل، ولكنه في هذا الكتاب تنبأ بعالم تسوده الطاقة النووية. قراء عالم معروف هو، لويسبرلارد، عام ١٩٣٢ وأثار في مخيلته إمكانية إنتاج القنبلة الذرية.

(٢) فرانكشتاين، للمؤلفه ماري شيلي عام ١٨١٨ الذي شاهدناه في أفلام رعب عديدة. أثار هذا الكتاب الملايين من البشر الذين قاروه ويحبون أن يحسوا بالخوف والرعب ولو لفترة قصيرة.

(٣) من الأرض حتى القمر، بقلم جول فيرن عام ١٨٦٥ الذي أخرج أيضا في فيلم معروف. تنبأ فيرن باختراع الفواصات والطائرات وأن البعض يقول أن الأفكار حول تلك الاختراعات سبقت عصره ولكنها لم تدخل حيز التنفيذ. وحتى عندما تخيل فيرن طريقة الوصول من الأرض إلى القمر فإنه تصور مدله يذف بإسانا إلى سطح القمر، ولكنه قد يكون قد تخيل شكل صاروخ المستقبل. صقلت فلفعاته عندما اختار كتابه ولاية فلوريدا كمركز لإطلاق الدفع وهي المنطقة التي تستخدم الآن في الولايات المتحدة لإطلاق صواريخ الفضاء.

(٤) انجازات لوثر ترانت، بقلم كل من أدوين بالرو ورومان مكالاج عام ١٩١٠. الأثنان كتابا سلسلة من الروايات تتناول حياة أحد علماء النفس الذي تحول إلى مخبر بوليسي يدعى ترانت. الأخير استخدم في تحقيقاته أنه لكشف الكذب قبل أربعة عشر عاما من استخدام الشرطة لكل هذا الاختراع.

(٥) رحلات جاليفر، بقلم جوناثان سويتف عام ١٧٢٥. من مفا في حياته وحتى عندما كبر لا يفتر رحلات جاليفر الشهورة في مناطق المارقة ومناطق الأفرازم والتي خرجت في عشرات الأفلام والمسلسلات التلفزيونية. في منطقة لا جادو التي يشير إليها الكتاب، يتخيل سويتف أن بإمكانه كتابة الكتب، بينما في الجزيرة لا يوتيا الطالرة بسبب قوة مغناطيسية، فإن علماء الفلك اكتشفوا.

• في الرواية. فهرين صغيرين يحيطان بكوكب المريخ. حدث ذلك في الحقيقة فيما بعد عندما استطاع علماء الفلك مشاهدة القمرين ولكن بعد مائة عام.

(٦) بواسطة البريد الليلي، بقلم رودبارد كيبلنج عام ١٩٠٥ وهو الكتاب السويتماري الذي كان يبحث عن المستقبل الأوروبيين وصاحب المقولة الشهيرة الشرق شرق والغرب غريب. تخيل كيبلنج أن روايته تحدث عام ٢٠٠٠ والسماء ملئة بسفن فضائية أو طائرات تستخدم في نقل الخطابات وغيرها إلى أي مكان في العالم. هناك بالطبع إلى طائرات مخصصة لنقل البريد وغيره عن طريق شركات متخصصة بل أصبحت غير ضرورية في نقل الرسائل بعد اختراع الانترنت والفاكس الخ...

(٧) القمر المكتوب من قوالب الطوب، اسم غريب لكننا بقلم إدوارد لايفرت هال عام ١٨٦١. هال هذا أعطى لأول مرة وصفا لتصور كيف تعمل محطة فضاء تخيلها في صورة شكل مخروطي مصنوع من قوالب طويلة طولها حوالي مائتين مترا. بالمساحة هال كان كسبا موعلا بالمصن المائلة.

(٨) تشريح الميلاخولوجية، بقلم روبرت بيرتو عام ١٩٢١ أشار لأول مرة إلى وجود مخلوقات خضراء تأتي إلى الأرض من الفضاء وهو ما تصوره أفلام الخيال عام بعد أخرى منذ عدة عقود.

(٩) رواية ١٩٨٤ لجورج أورويل التي صدرت عام ١٩٤٩ والتي تشير إلى كاميرات مراقبة في كل مكان يستخدمها الأخ الأكبر في مراقبة المواطنين بشرطة مراقبة التفكير الخ...

(١٠) دكتور فانسبير، بقلم ويليام جيبسون عام ١٩٨٤ وهي السند التي شهدت مولد أكبر كمبيوتر طرح للبيع للأفراد. تصور جيبسون في كتابه فيلم الأفرازم في المستقبل بتوصيل انفسهم إلى الكمبيوتر للحصول على حياة متخيلة.



كل هذه الاختبارات التي توصل إليها بعض الكتاب البريطانيين تخضع لاعتبارات فلسفية شاملا. كما كنت اتمنى أن تشمل الخامسة ملامك، أالة الزمن، التي شاهدناها في أفلام عديدة ومسلسل تلفزيوني ناجح ويستطيع أن يستعملها أن يرجع الزمان إلى الوراء أو إلى المستقبل حيث يعيش أقواما كانوا يعيشون في تلك الفترة أو أقواما أخرى في المستقبل. كتاب خيالي جميل جدا لا أعتقد أن نتوانه ستتحقق في المستقبل القريب، ولكن قد يحدث ذلك بحيث يجعلنا مثلا نعيش في عهد رمسيس أو أحسن أو الحياة في عام ٢٥٠٠. تخاريف نعم ولكن كل الاختراعات الحديثة نشأت من رحي تخاريف أصابت بعديا.

والآن لنكتب بعض فقرات كتاب مغزى وأسلوب الرواية.

دفت الساعة الثالثة عشرة عندما دخل ويستون سميت قشقة في الدور السفلي في موان فيكتوري. الصوت الذي كان يسمع من الشافة كان يتحدث عن الانجازات التي تحققت في خطة العام الثالث والتسعين. تطلع من النافذة، المنظر الذي شاهده في الخارج كانت تنتشر في صورة رجل شواوب كثة وتحتها عبارة بالأخ الكبير رافيك، كانت هذه في مدينة لندن العلية الرئيسية في المطار رقم واحد وهي أيضا مقاطعة أولية أوسيليا.

جلس داخل شقة بعيدا عن انظار بوليس الفكر. بدأ في تصفح الكتاب الذي أحضره من مكان محظور على أعضاء الحزب أن يدخلوا إليه. وشعر على الفور برعشة في معدته. الشيء الذي هو على وشك القيام به كان هو كتابة

كتاب الزاوية

تقرير جولدستون (٤)

شنت القوات المسلحة الإسرائيلية هجمات عديدة ضد المباني وأفراد سلطات قطاع غزة. فقيما يتعلق بالهجمات التي شُنت على المباني، فحصنت البعثات الهجمات الإسرائيلية على مبنى المجلس التشريعي الفلسطيني والسجن الرئيسي بقطاع غزة (الفصل السابع)، وقد دُمّر كلا المبنيين ولا يمكن استخدامهما من بعد. وقد بررت البيانات الصادرة عن ممثلي الحكومة والقوات المسلحة الإسرائيلية هذه الهجمات بحجة مفادها أن المؤسسات السياسية والإدارية في غزة هي جزء من «البنية الأساسية الإرهابية لحماس». وترفض البعثة هذا الموقف. فهي لا تجد أي دليل على أن مبنى المجلس التشريعي والسجن الرئيسي بقطاع غزة قد قدما [سهماً] فعلاً في العمل العسكري. وترى البعثة، بالاستناد إلى المعلومات المتاحة لها، أن الهجمات التي شُنت على هذين المبنيين تشكل هجمات متعمدة على أهداف مدنية بما يشكل انتهاكاً لقاعدة القانون الإنساني الدولي العرفي ومفادها وجوب قصر الهجمات قصراً حصراً على الأهداف العسكرية. وتشير هذه الوقائع كذلك إلى ارتكاب حرق خطير يتمثل في التدمير الواسع النطاق للممتلكات، الذي لا تبرره ضرورة عسكرية والذي تم القيام به على نحو غير مشروع ومفرط.

الشخصيات العوية هي منظمة الأخوة ويمكن لنا أن نسجل أنفسنا في حركة المقاومة.

أجاب: «يبدو ذلك كما لو أنه افترض متسرّع. لم تتلق جوليا. قال أوبريان وهو يشرب كوباً من البيرة، «أنتي سعيد أنكما استطعتما المجيء، سأعطيكما نسخة من كتاب جولد شتاين المحرم لكي تقراه. «انتهت الحرب مع أوروبا ووجد ونستون نفسه يعمل طويلاً أثناء الليل لكي يعيد كتابة تاريخ الحزب الذي كان يصور أوروبا سعيداً. أنا وأجوليا في حاجة إلى مكان منعزل نستطيع أن نمارس فيه الحب ونحن نستمتع إلى نشيد «الله يبارك لك أيها الحاكم».

وجد ونستون الغرفة التي عثر فيها على كتاب الذكريات. قالت جوليا وهي تضع بعض مساحيق التجميل المهربة على وجهها: «حبيبي أنها غرفة ممتازة. أجباب هامسا: «إنك لستين جذابة جدا وانت تخالعين وتحمدين السطوة الستالينية. والأول دعيني أقرأ عليك صفحة بعد أخرى من كتاب جوليه شتاين الممل جدا الذي يركز كل شيء تعلّمينه عن النظام سماعا صوتا من الشاشة يقول. «ارفعوا أيديكم في الهواء واقتربوا ببطء، لقد تم صبطكمنا وكنتما تعلمان أن ذلك سيتم.

قال أوبريان ببساطة وهو يضع جهاز الصدمات الكهربائية حول جسم ونستون: «يجب عليك أن تتعلم كيف تفكر في شئتين متعارضتين. أي أن عن الاحتفاظ بعقلين متعارضين في نفس الوقت. «أوكي أوكي أنني أومن أن ذلك شيء سياسي عظيم وأفضل لقد نرسوا السوفييتية، ولكنني لأزيت جوليا. «إذن سندخل إلى الغرفة رقم ١٠١ ونسمع حركات الجردان.

جلس ونستون في الجدران الفسيح المطاف فإن الأمر قد بدأ بالتملم. «الأكبر عن الانتصار العظيم. لماذا كافي كثير ضد الحزبة؟ أنه لشيء عظيم أن تكون مجرد صامولة في عجلات إحدى المهازل.

هذه مقتطفات مما جاء في رواية جورج أورويل ١٩٨٤. قد تبدو الكلمات غير حية ومملة ولا تتناسب مع أحداث متلاحقة أو مثيرة، ولكن الرواية يجب أن تقرراً بالكامل حتى نستمتع بها. في بالفعل تأثير التأمل والتفكير أكثر من أي شيء آخر فليس بها حبكة بوليمسية أو دموع وابتناسات وإنما مشرقات من هنا وهناك. أرتجوك إذا كانت لديك نسخة من الكتاب أن تقرأوها مرة أخرى. أنا نفسي أعاد قراءتها كل ثلاث أو أربع سنوات فهو ليس كتاباً طويلاً ولكن في كل مرة تكشف شيئاً جديداً. إذا لم تكن لديك نسخة أرتجوك شراء واحدة النكري الستون لهذه الرواية تجربتنا أن نتأمل ما حل بعالمنا، ونتمسك به. هل كان جورج أورويل على حق؟

مذكراته وهو جرم يعاقب عليه بالوت أو على الأقل ٢٥ سنة في السجن مع الأشغال الشاقة.

«أنا عمري الآن ٣٩ سنة ولدي مشاعر حقيقية. أنا لست مجرد صامولة هي تمثيلية هزلية داخل النظام السوفييتي الذكائوري «توقف ونستون عن الكتابة، فإتال لنفسه. ما فائدة ذلك؟ أنتي مجرد كاتب شر من كوب يحتوي على شراب الجين (الكحول)» وذهب إلى عمله في وزارة الحقيقة. شاهد صورة أمانويل جوليه شتاين عبد الشعب على شاشات العرض تبعها فيلم تحت عنوان «دقيقتان من الكراهية، أعقبه إعلان معروف يقول «الحرب هي السلام، الحرية هي العبودية، الجهل قوة». عندما اختفت الصورة من على الشاشة، شاهد ونستون أوبريان عضو الجهاز التنفسي للحزب الذي غالبا يكون قد رآه حوالي عشر مرات خلال السنوات الماضية. شره في وجه أوبريان أعطاه الانطباع أنه يتشابه معه في ميوله السياسية. أي ليس كاملا في هذا الاتجاه.

«شعر بمشاعر النضوة والتضيق. لم يحدث شيء كثير حتى تلك اللحظة لأن كل عمل قام به حتى الآن كان يرمي فقط لإظهار هشاشة العالم القمعي المضمّن إلى ثلاث قوى عظمى هي أوسيانيا وأوراسيا وايمست أسيا وكل منها في حالة حرب دائمة مع الأخرى. وإشاعة لجواله ادرك أن شابة صغيرة من وزارة الحقيقة قد وضعت خططا في جيبه.

قرأ ونستون هذا الخطاب وجد عليه عبارة «أنا أحيك، تسامح، فلما تخاطر فتاة جذابة بكل شيء في العالم في وقت الحساء والملاقات الحميمية هي ممنوعة لأعضاء الحزب، هل تخاطر من أجل رجل متوسط العمر وجهه مملوء بالندبات ولم تتحدث إليه قط من قبل؟ ولكن كل هذه التناقضات لم تزعجه لمدة طويلة. وفي أنواع بالمر. قلبه بسرعة. إلى في نهاية المطاف فإن الأمر قد بدأ بالتملم.

«لقد فحنت ذلك مئات المرات مع رجال صديدين، هذا ما قالته جوليا برفقة وحنا وهما يحلمان على الحشايف في إحدى الحدائق وهما يدخان في السر سيجارة الانتصار.

«أجاب ونستون، أنت بالطبع تعرفين أننا منضبط معاً في النهاية؟ على المرء الإنسي وجود نظام قمعي مضياف. «عند ذلك فإنه سيتم القضاء علينا. «أجابت جوليا بتحد غير مكررة أنها قالت نفس الشيء مرات عديدة من قبل، «أنا لا أبه بأي شيء».

«كانت لفتاة التهما متباعدة خلال الأسابيع التالية، كل منها لا يستغرق أكثر من نصف ساعة ما بين الالتزامات الواجبة عليهما للحزب. وحتى ضجيج أحد الفئران بأحد الكنايس لم يتمكن من إزعاج ونستون فقلعه وقلبه أصبحا الآن حزين.

«قالت في أحد الأيام: «يجب أن نذهب معاً إلى أوبريان، فإنني واثقة أنه أحد

قد تعلمنا أن الذين يقتضون على زمام السلطة العليا في أمريكا ليسوا هم أولئك الذين تظهر أسماؤهم في الانتخابات.. وإنما أولئك الذين تظهر توقعاتهم أسفل الشيكات المخصصة للإتفاق على الحملات الانتخابية

الأدوية
التجارية أولا..

محمد يوسف عباس

يقوم بجمارتها من الأطباء، وتستعين عليهم بأجهزة التصوير التي تمكّنها قضيضهم بالمشقة والاضراب... والتدليس... بينما هي في الحقيقة علاجات أكثر فاعلية وأقل تكلفة... ولتسبب أضراراً جانبية مهلكة كانت لتخضعها الأبرور الكيميائية لماحسب والعقل... ومن أبرز وأخطر الحملات الأمريكية في هذا المجال تمكّنها على استخدام مستخلص نباتي في علاج السرطان (أطلق عليه مستكشفه اسم فيتامين ١٧) المعروف أحياناً باسم لا ترايل Laetrile أو أبركيرين أو أميجدالينا Amigdalina.. فقد طوّره الطبيب يامارين العلاج بهذا العقار في أمريكا واضطهدوا وحكم عليه سجنهم من أجل العمل... وسجن منهم شخص العمل... نراه من ممارسة مهنة الطب والعلاج... حتى اضطهر بعضهم إلى الهجرة إلى المكسيك لممارسة مهنتهم التي خرّموا من ممارستها في بلادهم... أين تنهب الأبحاث العلمية المستقلة، تسع من ذلك لأخر من أبحاث فريدة مستقلة بعيداً عن مراكز الأبحاث الهائلة التي تمكّنها أو تسيطر عليها كاتلة الصناعات الدوائية، وقد نراهم مائتة هذه الأبحاث لا تجد لها أثراً بعد إعلان نتائجها الأولية... ذلك لأن شركات الصناعات الدوائية لها برصا... هي قادرة بواسطتها المالية وشهوتها وتغلغلها في الإدارات الحكومية على إقصاء أي نهج... وبالخاصرة إخراجها القانونية وغير القانونية... وقد تشتري براءة الاختراع من أصحابها ببساطة... ثم تضعها في ظلمات خزنها فلا تزيّز النور أبداً.

وہم کیسے:

من حقل أن تقول «إنك نحدث عن عالم تسود فيه الرأسمالية... والرأسمالية تقوم على ريفيزيتز أساستين: المنافسة وحرية السوق أو الحرية التجارية وواجبى ببساطة هو، أن هذا مجرد نظرية... ولكن ما أبعد هذه النظرية من الجبري... إلى الواقع... لا شك أن هناك حالات من القداسة الزائفة تحجب عن أبصارنا الحقائق المجردة... واعتقد أنه قد حان الوقت لتفكيكها... لقد ترسخت هذه الحالات في وعينا بفضل التضييق المكثف لعمليات التعليم والإعلام والتحفيز... على عمليات تحييد الإنسان المعاصر منذ ولادته حتى بلوغه في بيده... قبله

لم تقدم عقارا واحدا فعلا يمكن الاستفادة من الكيمياء في علاج السرطان منذ أعلن كيمون سنة ١٩٧١ إطلاق مشروع بحث علمي للقضاء على السرطان في العالم، اعترض فعلا على ذلك عشرات الأطباء الجيدة، فسالته: هم لم الاستفادة من العلاج الكيمياء. قال: لا ولكننا أدوية مصاحبة، أثبتت فاعلية، قالت: لا، ناقش فاعليتها، ولكنني معى بعلاجات بديلة لعل محل هذا الكيمياء الرهيب الذي يدمر الخلايا الحية ويقضى على الجهاز المناعة في جسم الإنسان وعلى الأما مروع للمرضى... والحقيقة وراستي لتسكتلات الاحتكارية أو (الكارتلات) وتآخرها على الإنسان المعاصر هي الفتنة نظري إلى بشاعة تأثيرا كارتلات اللصقات الدوائية بصفة خاصة على حياة الإنسان ومسيره... كان يدهنى لمواصلة هذه الدراسة معاناة اثنين من أعز أصدقائي معاونة إلى اليتيم، وهما طبيب السرطان بين الدكتور عبد الوهاب المسيري واللواء أحمد رمزي سليمان برجعهم الله...

أو أن أفكر انظر من إلى نظرية راجت بين المهتمين والرافقين، خلاصتها

أما القوى الكبرى الفاعلة في هذا العالم تضم مجموعة من العلماء وكبار رجال المال والصناعة وأباطرة الإعلام في العالم يجمعهم جميعاً آيديولوجية واحدة يعتنقونها ويروجون لها.. مفاد هذه الآيديولوجية أن الموارد الطبيعية على الكرة الأرضية لا تكفي إلا لعند من البشر لا يزيد على (٣.٨ بليون نسمة).. وأنه لا بد من التخلص من العدد الباقي من

■ في صفحته (الشروق) المصرية قارنت
تخليصها لمقال مصححته التباين
الأمريكية وتتساءل في نص صاحبه:
المستفيد من إنفلونزا الخنازير؟ ومن
التي تضخمت أرباحه في السوق؟ ٩٥
يذكر من بين كبار المستفيدين من رواج
(أو ترويج) إنفلونزا الخنازير شركات
أدوية وسنن لها دور في التفتيش
على مزارع الخنازير في مصر بهدف
العام من بيع لقاحاتها. وتشارك في هذه
الأرباح بنصيب كبير شركة جيل. التي
كانت يرأس مجلس إدارتها دونالد
والمستفيد وزير الدفاع الأمريكي
السابق. ٩٦ كما تتوقع شركة جيل
أيضا أن تحقق ارتفاعا في أرباحها من
مبيعات عقاقيرها البديل (ريمبنتزا)..
والشركة تسبيل لإنتاج لقاح آخر جديد
سيستلزم تصغير حجم أقدم الخريف. حيث
يتوقعون التوقف عن واء إنفلونزا الخنازير.
في هذا الإطار قارنت تقريراً حديثاً
عن الأرباح التي حققها شركة فايزر في
العام الماضي ٢٠٠٨. لأن هذه الشركة
بمادات مرضي امريها. وإنما التي يهمني
فيها هي حجم الأرباح والأموال التي
تجمعها شركة واحدة ضمن مجموعة من
الشركات في كاتالفة معينة. يقول
التقرير: إن شركة فايزر قد حصلت
بمبيعاتها حول العالم في عام ثلاث
وخمسين مليون دولار. بفلت أرباحها من
هذا المبلغ أحد عشر مليون دولار. ولكن
المنقلة الأهم هنا في التقرير هي قول
صاحبتها (ميراباس أنجل) هي كانت
أخيرة في مجال صناعة الأدوية: ٩٧
هي الأيام الحالية أن شركات الأدوية
تعتنى في أبحاثها بتطوير أدويتها لخدمة
الأساسية. ولكن اكتشفت أنها معينة
فقط بتحقيق مزيد من الأرباح.. ولا
تضيق إلى الأدوية شيئا ذا قيمة.. وإنما
تنتج أكثر على برامج تسويق القديم
لحفظ أسماء جديدة. وتضع عليه أخطار.
جديدة.. كما تتابع متابع ماهو أخطر.
فقط تقول: كانت الشركات في الماضي
تخرج أدوية لعلاج الأمراض. أما اليوم
فالأدوية تروج لأشياء لا تسلب أدويتها
لخدمة... ٩٨

وكنّت قد التقيت مصادفة بأحد
سائدة الطب بجامعة الإسكندرية، فلما
ذكرت أمامه حقيقة أن الأبحاث العلمية

World Without Cancer: The Story
of Vitamin B17,
G. Edward Griffin
American Media (CA), 1996

من الناس الذين من هذه المصيبة واستطاعوا ان يبرروا المعالمة من منظور آخر وحاولوا تقديم رؤيتهم إلينا. وأعترف ان على الإنسان ان يبدل جهدا مضنيا لكي يفلت من هذه الدائرة الجهنمية التي تحيط به.. لكي يتمكن من فهم واستيعاب هذه الرؤية ولكنه عندما يشعل سيخفر أنه يملك أداة جديدة تفسر له أشياء كثيرة كان يراها من قبل القارأ وأسارا ومتناقضات غير معقولة. أداة ستمسكه من رؤية العالم على حقيقته^١.

الإحصاءات الرسمية عن انتشار مرض السرطان في العالم تؤكد أنه في تزايد مستمر لا تراجع فيه. وأن معدلات الزيادة تشير إلى مصير بالغ السوء. إذ يوجد في أمريكا خمسة آلاف مريض بين كل مليون أمريكي. بينما تتضاعف إصابات السرطان في بلاد أخرى كل عشر سنوات بمقدار ١٠٠٪. وقد لاحظت المؤسسات الدولية المعنية بالأمراض الإحصاءات التي ترد إليها من دول لعالم الثالث (أسباب عديدة) لا تشمل الواقع وأن الحقيقة فيما يتعلق بانتشار مرض السرطان أمتنع مما تشهله هذه الإحصاءات. وأهم أسباب هذه المأساة إلى جانب تفاقم التلوث البيئي هو قصور العلاجات التقليدية. وقصور البحث العلمي الجاد عن إيجاد علاجات حاسمة وأمنة.. والعقدة كاسمة في عدم رغبة الشركات المتجهة للعقاقير التقليدية ان تتخلي عن إنتاج هذه العقاقير ماهظة التكاليف بالنسبة للمريض.. مادامت تدر عليها بلايين الدولارات بلا جهد يذكر ولا نحت ولا خوف من منافسة.. إنه موقف متعنن ولكنه مفهوم وواضح....

أصل جسد يد:

في مقابل هذا التعنن هناك قدر كبير من المعرفة الطبية عن مادتين تستخدمان بنجاح في السيطرة على مرض السرطان هما فيتامين سي بجرعات كبيرة. وفيتامين بي ١٧. وقصة هذا العقار الأخير هي مائعتين هنا بالدرجة الأولى. يقول الأطباء الأمريكيون الذين استخدموه في العلاج أنه حقا يحتوي على مادة سامة كما يروج أعدائهم. ولكن لا يمكن مقارنة سميتها بسمية العلاج الكيماوي إذ لا تؤثر على الخلايا السليمة ولا تتفاعل مع أجهزة الجسم ولا الدم.



أعوان ولكن خارج دائرة الاتهام:

يحب أن ننبه هنا إلى أن الجراحين والصيادلة والأشعة والباحثين وكذلك الأعلام من الناس الذين يتقنون فهمهم ويفهمون ويساهمون للحصول على العلاج (الشفاء) من هذا المرض (السرطان). فلا أحد يشك في أنهم جميعاً مهتمون بمقاومة السرطان... وليس أحدهم يحب إلى قلوبهم أكثر من أن يتمكنوا من وضع حد لمحنة الإنسان المصابة التي يسببها مرض السرطان. علاوة على كل هذا فإن الأطباء والصيادلة والجراحين والباحثين والأشعة والصيادلة هم أول من يهتمون بمرض السرطان ويهتمون به أيضاً. فأنفسهم وأسرهم، بنفس الدرجة التي

[illegible]

كتابته المذكور اما حيث يقول: لا انا
 قسيم تقصير الأطباء لجهل منهم شيئا
 من مذهبهم، فهم لا يوجد من جازم
 هذه المعارضة الضاربة ولكنهم يستمعون
 الى تصريحات المؤسسات الطبية
 الرسمية ويتقبلونها بنقدية وسيرة
 معاملة... غير ان البعض منهم لا يمانع
 ان يعطى العلاج فيميتاها من ١٧
 الفرصة لتجريب في العلاج، ولا
 يعرفون ان نتائج تجربته لا يماثل في
 علاج من بعده... وكلما ظهرت ادلة
 على نجاح هذا العلاج يشتد الجدل
 وتعاظم المعارضة في الاصطاح الطبية.
 فاذا دهم البعض الى الاعتقاد بان
 السبب يكمن في ان السلطات قد اصبحت
 في الولايات المتحدة تجارة كبرى سنال
 فيها عشرات الملايين من الدولارات التي
 تصب في ازرعة كارتلات الصناعات
 الدوائية...

ويؤكد جريسين أن هذه الشروات تأتي من ناحية التوسع في الأبحاث وتطوير الأدوية كما قد يخطر على ذهنك. وإنما يوجد جانب سياسي غير المنظور، حيث أن تبادل المصالح بين مختلف الأحزاب في تنافسها على السلطة بين المهيمنين على احتكارات الأدوية الخاصة بإعلاج السرطان، فالسياسيين يحتاجون إلى أصحاب هذه الصناعات المصلافة للإبقاء على الحملات الانتخابية الباهظة التكاليف، وأصحاب هذه الصناعات يستفيدون من مناصب السياسيين ووعودهم... إلى جانب مصالح تجارية وتسكيب أخرى... وكيري جريسين، إن هذا سوف يؤدي إلى تغيير الأوضاع الراشحة في الأبحاث العلمية، حيث تصف في النهاية كل هذه الجوانب الجديدة من المنفعة بهذه التجارة الرئجة... ثم يتابع جريسين كلامه فيقول إن كما نرى نحن أن سد هذه الشقوق الهائل التي تشرب من الممارسات، فليس علينا إلا أن نجرب هذا العلاج البسيط الذي يوجد في الطبيعة بكمية نادرة ونحن... وهذا عند الحقيقة في حد ذاتها تجعل أصحاب هذه التجارة يبدلون كل ما في وسعهم لتحقيق هذه الحقيقة العلمية... إن حقيقة علاج السرطان بديلة لعلاج السرطان... لأن معنى ذلك أن يتناولوا عن الأرقام في مباحثهم تحت الملاحق، وضعه الراهن...

الحيوية من الإنسان لكي ينجسها
السرطان عن أن يفسد أسباب التفرق
والاجتماع المزمين لانساج الجسم .
يقفل من الأطعمة التي تحتاج إلى
الزيمايت النيكروسي في هضمها
والحفاظ على نظام غذائي غني
بالفيتامينات والمعادن خصوصاً الفيتامين
١٧ . ولكن هذا التضمير الغذائي
نشوء السرطان والوقاية منه يقضي
معارضة هائله . اكبري الصوت من قبل
المؤسسات الرسمية الكبرى في الولايات
المتحده . ومنها وكالة الأدوية والأدوية
وجمعية السرطان الأمريكية
FDA . والجمعية الطبية الأمريكية
AMA . فكل هذه الهيئات دعت
لتنظيم الغذاء بأسلوب متشدد .
والدليل لادعاءات هورف تنطرق إليها في
موضعها . فما هو موقف الأطباء
الأمريكيين بصفة عامة ؟؟ على
حرفي .

حصلت شركة
فايزر من مبيعاتها حول
العالم في عام واحد
ثلاثة وخمسين بليون
دولار، بلغت أرباحها
من هذا المبلغ أحد عشر
بليون دولار



ولا تطلق هذه المادة المعالجة إلا عندما تصادف حلية سرطانية شتد مرها . ليتخلص منها الجسم مع بقية إفرازاته .
ويزيد من التفاصيل عن قصة فيتامين سي ١٧ اقرأ كتاب World Without Cancer: The Truth About Vitamin C by Edward Griffin .

مدرسة جديدة في علاج السرطان:

تُحاول الآن استعراض وجهه نظر هذه المدرسة الجديدة في كيميائية نشوء مرض السرطان؟ وما هي نظريتهم في الهذء الذى يرجعون اليه صحة الإنسان ومرصمه ؟ وكيف يفسح التحكم في العناصر المعدنية طريقا إلى الصحة والوقاية من المرض وعلاجه إذا حدث..؟ السرطان في نظريتهم هو نمو غشوائى خللايا تسمى ترؤفوبلاست Trophoblast ، التى هي نفسها جرح طبيعى وحوى لتفصيله الجاية هذه الخللايا يقوّم الجسم إفرازها خلال سلسلة من ثلاث يتدخل فيها هرون الاستروجين ..وعادة ماوجد الاستروجين يتحكمات كبيرة نسبيا في أماكن الجروح والتمزقات النسيجية لساعدة كتملعم أو حمض على ترميمها.. ويشاء السرطان نتيجة تمزقات أو إجهاد مرس في مكان ما (الحامض إزمان التدخين مثلا جراح مزمن للرئتين) وقد يحدث المرض نتيجة تراكم الأكاسيد الكيميائية المصافاة في أظطعمتنا المصنوعة.. أو نتيجة فيروسات معينة تدخل إلى الجسم.. إسهدها من الاسباب التى تجبر هرون الاستروجين كجزء من عملية الانماء الطبيعى.. وهى السبب شديدة التعقيد تستهدف السيطرة ولهاذا من نمو خللايا ترؤفوبلاست) ..ولكن كما نعلم كثيرة تتفاعل في هذه العملية ربما من أكثرها تأثيرا مباشرا إجهاد الكبريتاس.. مع عناصر غذائى يفرز باسم Nitrosode متاع أو فيتامين (١٧) وهى مادة عجيبة لها قدرة على تدبير التغيرات السرطانية التى نلاحظها فى الوقت نفسه على الخللايا الأخرى غير المصابة.. إنها مادة غامض من مسخلمة من ذؤاف شمى الشمس التى تلتقي بها مادة في صايدق للقمامة .. جهلا بريقمتها العظيمة.. لا ندش ضايق خلق الله الداء إلا لاجل له دواء وهى الداء الطمعة أو في داخل الجسم نفسه أو استطعان أن نعد أنصارنا يعلم أين أبعد من مواقع اقتناعنا..

برونوكولا راسخا في الأوساط الطبية والتعليم الطبي.. وسخرت للحفاظ عليها واستمرارها قوى ومؤسست ذات نفوذ خطير في مجالات السياسة والتشريع والإعلام، ويألفها الهائل في كل هذه المجالات.. هناك كتب تتحدث عن وتحقيقات دارت في أروقة مجلس النواب والشييوخ في الكونجرس الأمريكي.. وعلى لسان رجال من داخل هذه المنظومة الاحتكارية أصيبوا بصحوة ضمير ماجة.. إذا كنت تريد الحقيقة الحرة.. ولديك الصبر والقدرة على الإطلاع على ما هو مطبوع في كتب ومقالات منشورة في أوعية ورقية أو إلكترونية فسيصيبك الذهول ويصعب سرد هذه المصادر في هذا الحيز السموح به وإنما نثير إلى بعضهما في عجالة: كتاب روبرت سركوشر How Politics Shapes What We Know and Don't Know About Cancer

وكتاب لين كينسكي وروبرت بول Drug Industry In The Impact of FDA America Today. وكتاب رالف مومن Cancer Industry. Unravelling the Doctors Business Politics في منظومة التجزؤ الاقتصادي والسياسي لا شيء مستغرب.. فهنا تتوحد الدولة مع (البرزيترس).. ومن الناحية التاريخية ثم يحدث هنا التوحد بطريقة طبيعية ولكن نتيجة جهود طويلة منظمة قامت بها قيادات التكتلات الاحتكارية.. مستندة في نجاح عملها إلى مختصرين هما: قابلية السياسيين للإسهاد والفساد، وسداجة الناخبين وجهلهم...

المشهد الأمريكي

لقد تعلمنا أن الذين يقبضون على رماح السلطة العليا في أمريكا ليسوا هم أولئك الذين تظهرون أسماؤهم في الانتخابات.. وإنما أولئك الذين تظهر توقيعاتهم أسفل الشيكات المخصصة للاندفاع على الحملات الانتخابية.. ونادراً ما تظهر أسماء هؤلاء الممولين السياسيين أمام الجمهور.. إن اللبنة المصرية بين هذه الشركات في الكارتل تؤكد على أن انتماءها الأكبر والأوثق ليس لأوطانها الأصلية.. وإنما لإله المصلحة العليا للكارتل.. وأغنى به جمع الثروات والأموال بأي ثمن.. وهي تسلك لتحقيق هذا الهدف كل سبيل يمكنها من

ذلك ولكي تقوم بدورها على أفضل وجه تحرص على أن يوجد بصفة دائمة رجال في أعلى قيادات السلطة الفدرالية يتولون مناصب إدارية في الشركات التابعة للكارتل ويتكثرون مرتبات عالية.. ويحتفظون دائما بعلاقات ومود داخل الإدارة الأمريكية.. إضافة إلى كل هذا فإن أسرة روكفلر (وهي تملك وتسيطر على أضخم إمبراطورية للصناعات الدوائية والبيطروية والمالية في العالم) قد استطاعت إنشاء علاقات وثيقة بالاشخصيات المؤثرة في الدوائر السياسية الحاكمة ويتعينهم مستشارين (لايعلمون شيئا).. ولكن يتلقون مرتبات عالية نظير خدمات غير منشورة وعلاقات أخرى وثيقة مع المرشحين للكونجرس من كلا الحزبين الأمريكيين.. وكان إسم وزير العدل نفسه على قائمة الذين يتناولون مبالغ كبيرة بصحة منتظمة نظير إستشارات مجهولة الهوية

كاس جون فوستر دالاس (وزير الخارجية الأمريكي في عهد الرئيس أيزنهاور) من رجال روكفلر البارزين.. كذلك كان هنري كينسجر مستشار الأمن القومي في إدارة الرئيس ريتشارد نكسون ثم وزير الخارجية بعد ذلك ولعلم أيضا أن ذلك تشيى نائب الرئيس بوش الابن كان مديرا لشركة هاليبارتون و دونالد رامسفيلد وزير الدفاع السابق كان (وعاد الآن) مديرا لشركة مونساتو التي تنتج مادة الـ (إسبراتييم) والتي تدخل في صناعة آلاف المنتجات لتحلية المخدرات والأدوية.. وهذه قصة أخرى طويلة.. ولكن السؤال هنا هو: ألا تحطيك هذه الصورة نوع القوة التي تملكها الشركات المصلافة ونوع الخصائص التي تسخرها التكتلات الاحتكارية لخدمة مصالحها في العالم والتعطية على أخطائها وجرحائها..!

وكالة الأغذية والأدوية

هل تتصور أن وكالة الأغذية والأدوية الأمريكية يمكن أن تتخذ موقفا معاديا لاداء لا خطر في تناولها فتضع عليها قيودا هائلة وتترأخ بالنسبة لأدوية ثبت

ضررها على صحة الإنسان؟ قد يكون ذلك صعب التصديق.. ولكن موقف الوكالة من فيتامين (B17) بالذات فلا يمكن وصفه إلا بأنه حرب إرهابية فالت كل تصور معقول.. وهذا ما جعل كريج هوسمار عضو الكونجرس الأمريكي يوجه انتقادا لاداء إلى الوكالة يقول فيه أعلم أنه لم تحدث وفاة واحدة بسبب تعاطي جرعات كبيرة من الفيتامينات ولكن أعلم أيضا أن هناك شخصا يموت كل ثلاثة أيام بسبب تعاطي جرعات كبيرة من الأسبرين.. وعلى الرغم من أن الإحصاءات الرسمية تؤكد أن الأمريكيين يستهلكون في السنة ما لا يقل عن عشرين مليون رطل من الأسبرين فإن الوكالة لم تفكر مطلقا في وضع إجراءات تنظيمية على تعاطي هذا العقار.. ولم تشترط على صانعيه وضع ملصق تحذري عليه.. وعلى عكس ذلك تماما اهتمت الوكالة استحداث ملصق (ومراقبة) مقدار الجرعات التي لا ينبغي تجاوزها من مواد لا ضرر منها مثل الفيتامينات التي تباع في محلات الأغذية الصحية.. إنما تكمن الخطورة في الأدوية الكيميائية المصنعة.. والتي تتكدس على رفوف الصيدليات وفي المستشفيات بكميات كبيرة.. ويسلط من هذه القصة جى إدوارد جريفين فيقول: «إن الجرعة الزائدة من الأسبرين ليس من الضروري أن تكون في مرة واحدة.. لذلك لأن الاستخدام المستمر للأسبرين له تأثير تراكمي.. وإذا كان العقار يتسبب في وفاة أكثر من تسعين شخصا في السنة فهذا العدد من الضحايا ليس بالأمر الهين..» (حاليا تروج شركات الأدوية إعلانا متفردا ينصح بتناول



قرص أسبرين يوميا بدوى أن البحث العلمي أثبت فائدته في الوقاية من مرض السرطان.!) ومع أن للأسبرين مضار كثيرة على الصحة فإنه يباع في الصيدليات بدون وصفة طبية.. وقد أثبتت الخبرة اليومية لكث من البشر أن أضرار تعاطي الأدوية الكيميائية يتسوى طبييا.. فالإحصاءات الأمريكية تشير إلى أن خمسة بالمائة على الأقل من المرضى الأمريكيين يدخلون المستشفيات بسبب الآثار الصارة لأدوية موصوفة بطريقة قانونية.. ويبلغ عدد هؤلاء ثلاثة ونصف مليون مريض في السنة.. إن الإحصاء يرجع إلى الستينيات في القرن العشرين.. ويزداد عدد الضحايا من ذلك الوقت بصفة مستمرة.. وفي مقابل ذلك يقول جى إدوارد جريفين: «إن العلاج بالغازات الطبية لم يتسبب في أضرار صحية كالتي نتجت من تعاطي الأسبرين.. ولم يتسبب في كوارث صحية أو تشويه للحوادث كالتي نتجت عن استخدام عقار ثاليدومايد.. في عقد الستينيات من القرن الماضي.. ولم تعمل الوكالة شيئا يذكر خلال هذه الحظائر بل تعاضت باسترخاء بالغ في سحب هذه الأدوية من السوق ولم تنه صانعيها ولا مقدميهم للمحاكمة.. ولا قامت بالضبطادهم ومطاردتهم كما فعلت مع منجى فيتامين B17.. ومع الأطباء الذين وصفوه علاجا لمرض السرطان.. بل مع بعض المحاضرين الذين حاولوا توعية مرضى السرطان بوجود بدائل علاجية آمنة وأكثر فعالية من العلاج الكيميائي.. والقصة التالية تصور ما يمكن أن تسببه بدراعا فيتامين بي 17..»

تصفية المفاصل بألميكافلية.. في سنة ١٩٧٤ أوقفت وكالة الأغذية والأدوية إنتاج وتوزيع مادة غذائية كان يطلق عليها اسم أبريكيرن Aprikern من غذاء هذا هو الاسم التجاري استخلص من نواة المشمش ثم طحنت وعصر على البارد لإخراج الزيت منه واستبداه ثم وضعت المادة المصنوعة الحامضة على هيئة بودرة في كبسولا.. بهذه الطريقة يحتمل المنتج بالترتولوسايد Nitroside مادة ذات طعم من (وهو الذي أطلق عليه مكنية فيتامين بي 17.. استخدمت هذه المادة في علاج السرطان على نطاق واسع خلال العقد السادس وأوائل العقد السابع من القرن الماضي.. وقد عدهم يسبحون ألف مريض ولم ينتج عنه أي مخاطر أو

أضرار باستخدامه، ومع ذلك أقدمت الوكالة على تحريم استخدامه وتحريم تداوله أو صممه كعلاج، واعتبرت من يحاصروا ويكتب دفاعا عنه مروجاً لدواء محظور أو لادواء يحكمه القانون يستحق العقوبة بالاعدام والسجن.. وقد استندت الوكالة في موقفها المتصمم إلى دراسة مزعومة أجريت في جامعة أريزونا (يقال) أنها أثبتت أن الأبريكير، يحتوي على سموم (يمكن أن تقتل) الكيمار و لصغار، مثلا.. كما تلاحظ أيضا إن يقول (يمكن أن تقتل) ولم يقل أن الأبريكير (يقتل) كما هو ثابت بالنسبة لتأسييرين مثلا.. كما تلاحظ أيضا إن الذين نسب إليهم القيام بهذا البحث قد أعلنوا في شهادتهم أمام المحكمة أنهم جربوا العقار على الضئار فقط وليس من شأنهم أن يفهموا الحكم على الإنسان كما أشاعت الوكالة في وسائل الإعلام أثناء نظر القضية التي رفعها أمام المحكمة.. ويستنتج جى إدوارد جريفيش من هذا الموقف الغريب للوكالة حقيقة لا مفر من مواجهتها حيث يقول «اليس نحن حقنا أن نتشكك في أن الإدارات الحكومية ومنها وكالة الأغذية والأدوية لا تعمل لصالح الشعب ورعاية صحته وإنما لصالح كارتلات صناعة الأدوية، إذ تقوم لنيابة عنها باضطراد بل تدبير كل منافع يظهر في طريقها.. إن هذه الكارتلات باتمامها الواسع على العملاء والمنافعين داخل الوكالة وخارجها لا تعدم وجود شخصيات ذات تأثير جماهيري يحكم تخصصهم وموقعهم من السلطة، نذكر واحدا منهم هو دكتور لويس كاسوت، مدير الصحة في ولاية أريزونا الذي يذهب أبعد من ذلك حيث يقول: إن نواة الشمس خطر على الصحة فلا يجب كسرها أو أكل ما بداخلها، بينما تؤكد بعض الدراسات أن مجموعات بشرية في بلاد العالم الثالث تعتبر بنوم البشر وغيرها من المهور ذات الطعم المر جزءا ثابتا من طعامها اليومي، ولم يعرف عن هذه المناطق أنها تعاني من أمراض السرطان على الإطلاق.. والأمنلة موجودة عند الأبخاز وعند قبائل الهونزا في جبال الهماليا ومناطق أخرى من العالم...

معضلة براءة الاختراع،

مشكلة فيتامين بي ١٧ هي نظر الوكالة الأمريكية أنه عقار ليس له براءة اختراع مسجلة، ومن ثم لا يمكن لمطبيب وصفه كعلاج لمرض إلا

بالمخالفة للقانون، خصوصا بعد صدور قرار الوكالة بحظر استخدامه، لن نخوض في أسباب صدور مثل هذا القرار فهي واضحة من السياق، ولكن من صاحب المصلحة...؟ من الذي وضع هذه العقلة؟ براءة الاختراع، وهي أن يكون مركبا من عناصر كيميائية (ستاتك).. أما العقار الذي يستخلص من مواد طبيعية مباشرة فلا يمنع براءة اختراع.. وعلى هذا الأساس المتصمم تم استبعاد فيتامين بي ١٧ من قائمة الأدوية المصرح للأطباء بوصفها كعلاج للسرطان.. يعلن كثير من الناس أن الوكالة لا تكذب ولا تقرر شيئا إلا بعد المبحث العلمي والدراسة.. فهي في نظرهم مؤسسة محترمة موثوق بها، وهناك ملايين من الأطباء حول العالم عندما يتحدثون عن هذه الوكالة يتحدثون بقناعة كأنها المرجع النهائي لكل ما هو صحيح وصادق

الإحصاءات

الرسمية عن انتشار مرض السرطان في العالم تؤكد أنه في تزايد مستمر لا تراجع فيه.. وأن معدلات الزيادة تشير إلى مصير بالغ السوء



في مجالي الدواء والعلاج... حالة زائفة لو كانوا يعلمون.. ١١

المقاومة الباسلة،

يكشف جى. إدوارد جريفيش عن عدد من الشخصيات الذين انتقدوا بقوة موقف وكالة الأغذية والأدوية المحييز.. كما يعرض قصصا لمجموعة من الأطباء الأمريكيين الذين قاوموا هذه الوكالة ببسالة ذائرة، وصمدوا أمام تحييزها واصطهادها لهم في محاكمات قضائية، وحاولوا إثبات زيف ادعائها وكذبها فيما ادعت أنها أبحاث علمية استندت إليها في موقفها ضد فيتامين بي ١٧ واستخدامه في العلاج.. من أبرز هؤلاء دكتور. إرنست كريس، مكتشف فيتامين بي ١٧ الذي استخدمه في علاج عدد كبير من المرضى وأثبت نجاحه، ولكنه اضطر إلى الدول في مارك شرسة مع الوكالة التي عاثى الأمرين من اضطهادها له فكتب إلى صديق له يصف بعض ما عاينه من جراء إصراره على إقناع الناس في محاضرات شرح فيها أهمية العلاج بفيتامين بي ١٧ وفاعليته. كتب يقول: «أضرب طبيب ما على إقحام هذا المجال فلا بد أن يفهم أن أفعاله وكلماته يمكن أن تكون لها آثار مدمرة على مركزه المهني وعلى زوجته وأسرته.. بل حتى على سلامته الشخصية.. قد أمضيت خمس ساعات في محاضرة ممتدة عن السرطان وعلاجه البديلة أمام جمهور من المستمعين بلغ عددهم أربعمائة شخص في لوس أنجلوس.. وفي الطريق وأنا عائد إلى سان فرانسيسكو أصيب الرجراج بالألماس ليمبارتي بعبارة تاراي.. وفي الليلة التالية أسفدت الرجراج الحلقى لسيارة بطلق نارى على بعد ثلاثمائة ميل من موقع الحلقة السابقة وكان من رأى رجال الأمن (أنه لم يكن كان شخص ما أراد أن ييلفك رسالة)».. ويضفي دكتور كريس في رسالته المطولة ليقول «لا أريد أن ادخل في تفاصيل كثيرة فيما يتعلق بالعنف اللادى يمكن أن نتعرض له من قبل جهات مجبولة.. ولكن لا تنسى أن المرحوم دكتور «أرثرى، هاريس، قد قتل بواسطة رجلين مجهولين إلا هو استمر في استخدام عقار لآرترايل (فيتاسمين بي ١٧) في علاج السرطان.. ومنذ هذه الواقعة قمنا بتقسيم العمل فيما بيننا بحيث إذا أصيب ثنائ من مطلقات تاريخية يلقى برنامجنا حيا مقاوما دون أن يصل إلى نهايته المساوية بالتوقف كما يرغبون..»

ويعلق جى إدوارد جريفيش على ذلك فريلا غير عادي يستطيع أن يصمد أمام الضغوط والتضييدات من هذا النوع البشع... فهناك كثيرون يتحدثون عن الشجاعة الأدبية والتمسك بالمبادئ ولكن عندما يجد الجذ وتتناثر الشظايا في المكان فلن يبقى في المجمة سوى نخبة قليلة من الرجال.. وكان دكتور كريس واحدا من هؤلاء الرجال...، ينضج من تقارير كثيرة للأطباء أن إعلانات شركات الأدوية تحتوي على معلومات مبالغ فيها كما تحتوي على تزوير للحقائق، ومع ذلك لم تكلف الوكالة نفسها بالتحقيق في واقعة واحدة مما ورد في هذه التقارير وعلى نفس الوقت اتجهت بكل قوتها لمطاردة المحاضرين الذين يتحدثون عن فوائد الأغذية الطبيعية لصحة الإنسان وأطلقت كاريها في حرب على مواد تباع في محلات الأغذية الصحية مثل غسل النحل وأجاجة القمح ووزى الشمس...

هاريش آخر من هرسان المقاومة،

دكتور (جون ريتشاردسون) طبيب آخر من مجموعة دكتور كريس المناضلة من أجل حصول مرضى السرطان على حق اختيار الطبيب الذي يرغبون فيه وعلى العلاج الذي يطمنون له، كانت له مقاومة الجاسة ومأساته المدمرة أيضا: ففي ٢ يونيو ١٩٧٢ ألقى القبض عليه كالفورنيا وللتحدييد لاستعماله لا ضباط العلاج في عيادة أمام مرضاه الذين حضروا مصورى الصحافة والتلفزة الذين جلبتهم الوكالة خصيصا لتصوير الواقعة.. فوضوه القيد الحديدية في يديه كما فعلوا لبقود النساء مع مساعدين له.. ويعتروا كل شى في مكتبه واستولوا على أوراقه ومظافتهم فأتادوه إلى السجن.. لقد كانت معركة دكتور ريتشاردسون القانونية للحصول على الحرية الطبية طويلة وباهظة التكاليف، فبعد محاكمة استمرت عامين أعلن القاضي أن الأدلة غير كافية ولم يجرم المحظوفين على إدانته فأطلق القاضي سراحه.. ولكن لم تهدأ وكالة الأغذية والأدوية فأخذت تتصل بممرضاه لعلها تجد واحدا متآفقا من العلاج لتشره برطف دعوى ضد دكتور ريتشاردسون وتتدفع كل تكاليف القضية.. ولكن ولا واحد من مرضاه قبل

كتاب الزاوية



تقرير جولدستون (٥)

وعلى الرغم من أن الأحداث التي حدثت فيها البعثة لم تثبت استخدام المساجد لأغراض عسكرية أو كدروع لحماية أنشطة عسكرية، فإنها لا تستطيع استبعاد احتمال أن يكون ذلك قد حدث في حالات أخرى، ولم تعثر البعثة على أي أدلة تدعم الادعاءات القائلة بأن سلطات غزة أو الجماعات المسلحة الفلسطينية قد استخدمت مرافق المستشفيات كدروع لحماية أنشطة عسكرية أو أن سيارات الإسعاف قد استخدمت لنقل مقاتلين أو لأغراض عسكرية أخرى. وبالإستناد إلى التحقيقات التي أجرتها البعثة بنفسها وإلى البيانات الصادرة عن مسؤولي الأمم المتحدة، تستبعد البعثة أن تكون الجماعات المسلحة الفلسطينية قد باشرت أنشطة قتالية من منشآت الأمم المتحدة التي استخدمت كملاجئ أثناء العمليات العسكرية. بيد أنه لا يمكن لبعثة أن تستبعد احتمال أن تكون الجماعات المسلحة الفلسطينية قد عملت بالقرب من هذه المنشآت التابعة للأمم المتحدة وهذه المستشفيات. وفي حين أن مباشرة أعمال القتال في المناطق المبنية لا يشكل في حد ذاته انتهاكاً للقانون الدولي، فإن الجماعات المسلحة الفلسطينية، في الحالات التي تكون فيها قد أطلقت هجمات بالقرب من مبانٍ مدنية أو مبانٍ محمية، تكون قد عرضت سكان غزة المدنيين للخطر على نحو غير ضروري.

أكتوبر ١٩٧٦ صدر قرار بسحب رخصة عمل دكتور ريتشارد سون فاضطر إلى الانسحاب إلى المكسيك حيث توفي سنة ١٩٨٨.

والى جانب الطبيبيين (إرنست كريس) و(ريتشاردسون) ناضل أطباء آخرون وأدخلوا السجن بتهمة ملفقة منهم (جيمس بريفيتيرا) و(دوجلاس برودي) و(فيليب بينزل).. وهذا الأخير لم يسجن ولكنه أمضى عشر سنوات (مرمطة) في المحاكم الأمريكية لأنه تجرأ على مقاضاة شركات الأدوية التي تحتكر صناعة أدوية السرطان وتضرض خطراً على الأطباء الذين وصفوا لمرضاهم بدائل لها في العلاج.. بريئة من الأثار السمية للعلاج الكيميائي..

ويخلص دكتور ريتشارد سون تجربته هذه في خطاب له يقول فيه: عندما قامت الولايات المتحدة بمحاكمة مجرمي حرب النازي بتهمة ارتكاب جرائم حرب دافعوا عن أنفسهم بأنهم إنما كانوا ينفذون أوامر قادتهم ويعطون قوانين الدولة.. ولكن هذا العذر لم ينعش لهم للتصلي من مسؤوليتهم الجنائية.. وهب العالم كله صرخة يصيح: لا.. لكم منديون فإن الإنسان من واجب الأخلاقي أن يستجيب لقانون أعلى من قانون وطنه عندما تامر قوانين وطنه بقتل أناس أبرياء.. عليه أن يرفض هذه القوانين ويف مع ضميره.. فإذا لم يفعل فإنه يستحق العقاب، وهكذا حكم عليهم بالإعدام.. يقول الرجل: في الحركة التي جرت مؤخرا في مجال علاج السرطان قصص كثير من الناس نجحهم بلا مير سوى أنهم خضعوا مستسلمين للعلاج بجرعات سامة يسمونها الكيماوي.. لقد مات من مرضي السرطان حتى الآن أعداد أكثر بكثير من ضحايا كل الحروب مجتمعة فكم من المئات والموت على الأمريكيين أن يتحملوا قبل أن يقفوا ضد الليبروقراطية العالقة ١٢ كم من الأطباء يسوعون في السجون قبل أن تستيقظ جموع الأطباء وتصيح: كفى... ١٩ كم من فضيحة مثل (ووترجيت) تحتاج قبل أن نضهم أن الإنسان تفسد السلطة.. ١٩ إن روح المقاومة موجودة.. إنها معلقة في الهواء فوق رؤوسنا.. أضر بها تنهف كنسيم منعش.. إنها تمنحني أملا في المستقبل.. لقد قرأت أن ألف وحدى حتى لو انفس جميع الناس من حولي.. ولكني وأنتا كتب كلماتي الأخيرة يساويان المعب: هل هناك من أحد غيري يقف معي في هذه المحنة.. ١٩.

ثم سكت ريتشاردسون ■

هذا العرض.. فيما عدا والد لإحدى المريضات.. كان له رأى مسبق بعدم جدوى هذا العلاج.. فلما جاءت ابنته للشهادة أمام المحكمة دافعت عن العلاج وأكدت أنها تحسنت على تعاطيه ومن ثم رفضت الدعوى...

فاتجهت الوكالة إلى أساليب ميكانيكية أخرى، وفتحت لمحاربته جبهة جديدة.. فأخذت ترافق رسائل الأدوية المرسلة إلى مرضاه في ولايات متعددة وأقامت ضده دعاوى قضائية بتهمة نقل دواء (الأترايل) للمحظور بالقانون.. ويهدهد الطريقة حاولت إيهাকে وتدمير حياته فقد كان عليه أن يؤكل طعاما عنه في كل ولاية، وأن يحضر عشرات المحاكمات في ولايات مختلفة استهلكته وقته وماله وحوادث حياته إلى جيمع.. وأغرقت في مستنقع من التحقيقات التي لا تنتهي.. ثم سلطوا عليه مصلحة الضرائب مبلغ كبير من المال في مصلحة الضرائب قيد القضية.. ووجهت له تهديدا بالقتل على كل فائت حساباته.. وطالبته بوضع مبلغ كبير من المال في مصلحة الضرائب قبل أن يهدد بإدلاء شهادته أمام لجنة كاتيمورنيا للقوانين الصحية وكان الموضوع: مشروع بقانون لاستخدام لآتريال في علاج السرطان.. ولكن قبل وصوله إلى فلوريبا الاستماع إلى رواية الوكالة القبيض عليه مرة أخرى، واقتادوه مكيلا بالقيود الحديدية بتهمة الشأمر لتعريب لآتريال.. وفي أثناء التحقيق أرسلت الوكالة إلى جمعية الأطباء الفدرالية وإلى مجلس امتحان الأطباء في فلوريبا بذاكرة مطولة عدت فيها مخالفات نسبتها إلى دكتور ريتشاردسون افتراء.. واتهمته بتضييع مرضاه على عدم الفصوح للجراحة أو العلاج الكيماوي مما يسحق أكبر الضرر بصحة المرضى.. وأنه يستخدم علاجا ثبت عدم فاعليته في علاج السرطان.. لذلك تطلب الوكالة من المجلس سحب ترخيص العمل من هذا الطبيب السعد.. ثم كانت الضربة القاضية عندما تأمرت عليه بأساليب خبيثة أخرى إذ رفعت ضده قضيتين في محكمتين بولائتين مختلفتين لتطرد في نفس الوقت.. خطة جيمية تجبره على التقيب فهرا من إحدى المحكمتين ومن ثم يحكم عليه غاييا بالسجن.. يصف الرجل جلسة المحاكمة التي تمكن من حضورها بأنها كانت استعراضية أشبه ماتكون بمحاكمات ستالين الشهيرة. وفي ٢٨

يتقدم نهر النيل بين أنهار الدنيا كما تتقدم مصر في حوضه، فلنسا نبأغ إن قلنا إن مصر هي النيل، فنلك حقيقة أولية تتعلق بوجود مصر، فيبونه لا كيار لها، كما يقول جمال حمدان، ليس فقط من حيث ماله، وإنما كذلك من حيث تربته، فالتربة، بأي مقياس، نهر غير عادى، جيولوجيا وجغرافيا، تاريخيا، وحضاريا

والريديى وكذلك الجبرتي. أما المدرسة الثالثة فيمكن تسميتها بمدرسة الأجداد، التى قدمت مادة تاريخية فريدة فى أهميتها. رغم استفادها لى خطة للبحث والكتابة، ويمثلها ابن زئيل والمرداش كشذا عزاب، ومصطفى ابن الحاج إبراهيم.

صحيح أن هذه النهضة فى مجال التأليف التاريخى فى مصر بدأت مع غروب القرن الثامن عشر، وعلى أيدي شيخ الأزهر وعلمائه، والذين برز منهم الزيدى والشرارى والطهار والخشاب والجبرتي، مما كان يوحى بأنها نهضة طبيعية لتقانيته، بدت لبعض الكتاب وكأنها إرهابات نهضة فكرية عامة، بيد أن تطور التعليم والثقافة خلال القرن التاسع عشر، أدى إلى ظهور زود جديد فى مجال البحث والتأليف، أسهموا بمورهم فى دفع هذا التطور الثقافى العام، الذى غذى التأليف التاريخى، ومع تبسنى محمد على لسياسة إصلاحية، كان من

وكانت تلك نقطة البداية فى تفكير مؤلنا، أمين سامى ناشا، حين اتخذ من النيل، فى سخائه وكرمه وفيصائه، ومن شحه ويخله وتاريخه، تقويما حوليا وركيزة أساسية للكتابة، ليس فقط عن أحواله، وإنما عن مجمل أوضاع مصر، فتنبأ أحوالها، مفرقا ذلك بأحوال النيل، ليضع لنا هذا السفر الصلخم، الجليل والقيم، بعد أن أنفق فى تأليفه ما ينيف عن ربع قرن من الزمان.

ومؤلنا سليل مدرسة تاريخية مصرية أصيلة، تتخذ جزورها إلى العصور الوسطى الإسلامية، وإن تطورت بعد ذلك تطورا عظيما، كانت لها تقاليدها ومنهجها، وكانت سميتها اليزرة أن كتابها كاموا يهتمدون على النقل الحررى فى معظم الأحيان، عندما يوزخون لمصنوس سيقتهم، ولا يأتون بجديد، إلا عندما يصلون بكتاباتهم إلى التاريخ للمصر الذى يعيشون فيه، كما لم يخفوا كثيرا، بنقد الروايات أو تحليلها، أو حتى إبداء الآراء بشأنها، وبشكل عام كان معظمهم يهتمون بطريقة «الحوليات»، التى يوزخون فيها قصص، وللمالكم الإسلامى، عامما فعام، وقليل منهم حاول التاريخ للموضوعات أو الدول، كما فعل ابن خلدون.

غير أن هذه المدرسة ما لبثت أن تطورت مع بداية العصر الحديث، خلال فترة الحكم العثمانى، حتى لقد برزت فيها ثلاث مدارس واضحة، أولها مدرسة المؤرخين من العلماء، وهم أولئك الذين ظلوا على ولائهم لتقاليد مدرسة التاريخ الإسلامى التى كانت سائدة قبل عصرهم، ومن أبرز أعلامها، ابن إياس وأحمد شلبي بن عبدالحى والإسحاقى والبيكرى والشرافى، ثم الجبرتي، الذى مثل نقله نوعية كبيرة فى تطور هذه المدرسة، وثانيها مدرسة التراجم، التى نشطت خلال العصر العثمانى بشكل واضح، وكان من أبرز كتابها العينى والحجى

تقويم النيل
لواصعة: أمين سامى باشا
القاهرة الهيئة العامة لقصور الثقافة،
٢٠٠٩، ٢ ط

من السجع لىتميز بأسلوب جميل خال من الركاكة والصحة، أما موسوعات التاريخ فقد تغيرت هى الأخرى واتسعت مجالاتها وتوعت، فبعد أن كان مؤرخو مصر الإسلامية يعنون بالتاريخ السياسى عناية فائقة، ولا يخفون كثيرا بالنواحي التاريخية الأخرى، ارتاد مؤرخو القرن التاسع عشر مجالات النشاط البشرى الحضارية جميعا فى مؤلفاتهم، فأرخوا لنظم الأراضى والتعليم، وشئون الحكم والإدارة، كما أرخوا للرق ولشاكل المجتمع، وللثورة العربية، ولتاريخ التمدن على وجه العموم.

ومع ذلك التطور الذى حظيت به كتابة التاريخ من حيث مساهماتها وأساليبها وموضوعاتها، نلاحظ أن ذلك كله قام على جهود أولئك الهواة الذين شغفوا بالتاريخ حباً، فباستناد جهود الجبرتي والطهطاوى فى مؤلفاتهم التاريخية، لم يظهر مؤرخون محترفون

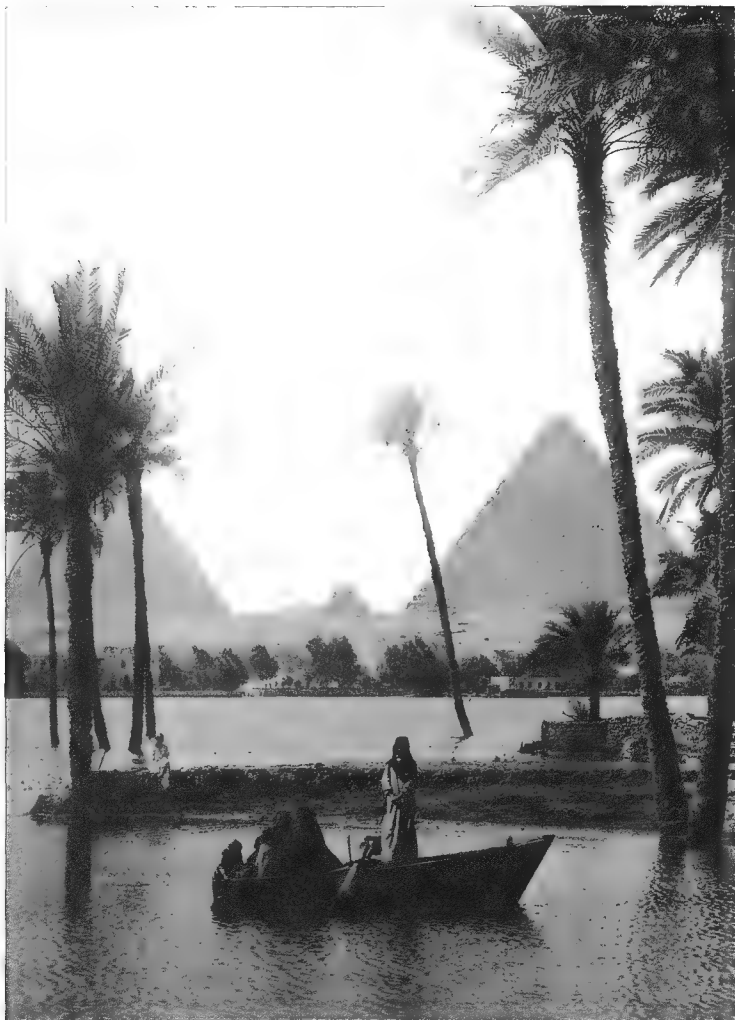
أبرز أسسها الاستفادة من حصاره الغرب والشرق عنه، من خلال البعثات والمبعوثين، واستقدام الخبراء والمعلمين والصنبيين، فصلا عن حركة الترجمة الواسعة ونشطة، ونتيجة لهذه النهضة العامة، أعطيت دفعة جديدة لتاريخ الكتابة التاريخية، التى كان الجبرتي قد بدأها، فأخذت هذه الدفعة سبيلا آخر، وتأثرت بعوامل كثيرة كان أهمها اعتماد النهضة العلمية والثقافية على الترجمة، وبطبيعة الحال لم تشد حركة الكتابة التاريخية عن ذلك، ولعل هذا يفسر كيف ترجمت فى عصر محمد على أعداد كبيرة من كتب التاريخ ومن سير الحكام، وقد بدأ واضحا أن المؤرخين المصريين فى القرن التاسع عشر قد تأثروا بالمنهج العلمى الحديث، الذى لا حظوه، فيما قرأوا ودرسوا وترجموا عن كتب التاريخ الأوروبية، فتخلوا عن كتابة التاريخ الحوليات على نحو كبير، وبدأوا يهتمون فى مؤلفاتهم بالموضوعات والعصور

والدول، فيوزخون لهذا العصر أو ذاك أو يضعون فصولا مستقلة فى موضوعات يعينها أو يوزخون لدولة ما، وقد برز هنا واضحا فى كتابات الطهطاوى، وميخائيل شارويزم، ومصمود فهمى، وإسماعيل سرهنك، وجورجى زيدان.

كما بدأ المؤرخون يستفيدون من العلوم المساعدة لتفسير الواقع وفهمه، فاستعانوا بالوثائق والنميات والأثار والنقوش والكشوف الجغرافية وغيرها، وهى علوم هل من استعملها من السابقين، وقد ضمن الجبرتي كتابه الشهير «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار» الكثير من وثائق الحكم الفرنسى لهم فضلا عن وثائق الممالك والأتراك، كما كان يرجع إلى النقوش المرقومة على شواهد القصور، وسجلات الكتبة والمياشزين، كما فعل ذلك أيضا على مبارك فى كتابه «الخطط التوفيقية»، وكذلك سليم نقاش فى كتابه «مصر للمصريين»، وفيليب جلا فى «قاموس الإردان والقضاء».

ولاحظ كذلك أن أساليب الكتابة قد تغيرت كثيرا، فابتعدت تدريجيا عن المألوين المسجوعة، والألفاظ والمبازات المثقلة بالاحسنات، حيث بدأ المؤرخون يشئون بأسلوب سهل مرسل، ومع أواخر القرن التاسع عشر كادت لغتهم أن تخلو

كرسوا حياتهم لدراسة التاريخ وتحصصوا فى كتابته والبحث فيه. ولنسا نبأغ كثيرا إن قلنا إن المدرسة التاريخية المصرية شرعت تنتقل تدريجيا من تقاليد «الحوليات» إلى التاريخ العلمى، وإن ظل الاهتمام بالتسجيل الحولى قائما بدرجة أقل كثيرا مما سبق، وقد أسهمت جهود المؤرخين فى بلورة وعى تاريخى، ساهم بدوره فى تكوين الوعى القومى العام، وتكوين الأيديولوجية الوطنية والشكر الاجتماعى فى مصر، «النهضة»، كما يذكر أنور عبدالملك، كما يلاحظ أن هذه الجهود، مرت بمرحلتين واضحتين أولاهما مرحلة الجبرتي ومدرسته، والثى ينغى النظر إلى كتاباتها فى إطار عصرها، حيث دائرة قرأها الخدوة التى تتمثل فى كبار رجال الدولة والقادة، أما جمهور المثقفين فقد كان عليهم أن ينتظروا الطهطاوى الذى أطلعهم على الثقافة التاريخية وعلى الثقافة الحديثة فى شتى مجالاتها. وثانيتهما مرحلة الطهطاوى ومدرسته وحركة الكتابة التاريخية فى عصر الخديو إسماعيل، حين حدث الاعتراف بالتاريخ كعلم لأول مرة، وهما مادة من مواد الدراسة فى مدرسة الألسن، يدرسها معلمون مختصون، وبينما



اهتم تلاميذ الطحاوي بترجمة الكتب التاريخية على نحو ما هو معروف فإن عصر إسماعيل شهد اهتماماً واضحاً بتأليف الكتب، وبفضل جهود فريقين من الكتبة الطحاويين، فريق الأهرميين وفريق مدرسة الأسنن، وجد المخطوطات المصرية والعرب بين أيديهم مجموعة من المؤلفات التاريخية تعالج مختلف المصنوع في العالم وبطريقة علمية حديثة.

لقد ذكر الطحاوي في كتابه «أنوار توفيق الحليل...» عبارة لها مغزاه حين ذكر أن أعمال مؤرخي العصور القديمة يجب أن تشر عبر غريال النقد العقلي حتى يستبعد منها ما يرى أنه من «مصحح الخرافات أو من اختراع الأبطال...» والجمالب التحقيقية ومواقف العادات... وهكذا أصبح التسجيل التاريخي بفضل الطحاويين ومدرسته تاريخاً بالمعنى العلمي لتلكه... وذلك بفضل تحرر الناقلة ونقد الأصول وإعمال العقل... وبفضل المنهج الحديث الذي استخدم.

وقد حظي النيل والنيل والتاريخ له، والمضاهة وتاريخية، بلهتاهم كتاب القرن التاسع عشر، فما هو المهندس محمود باشا الطلبي، استأذ على مبارك وأمين سامي، والذي نشرت أبحاثه في المجلات العلمية الأوروبية، والتي مزج فيها بين الدراسات التاريخية والدراسات العلمية الخاصة، جمع بيناها مؤلفه في فيضان النيل وتاريخه عن الفترة ما بين عامي (١٨٢٤ - ١٨٨٤) وضمنها في كتاب كان مرجعاً للمهندسي النري والنيل، كما أن تلميذه علي مبارك قد ضمن الأجزاء الثلاثة الأخيرة من مخطوطه، دراسات مستفيضة عن النيل وفيضانه ومقاييسه وكرهه، كما يصدق نفس القول على كتابه في بحول غوان، نصبة (لكر في تدبير مصر، ثم جاء أمين سامي باشا، الذي كان تلميذاً للطلبي، وعلي مبارك، ليضع لنا كتابه الوثائقي المهم، «تقويم النيل» الذي لم يكن مجرد كتاب من النيل وأحواله، وإنما عن تاريخ مصر والمصريين.

أمين سامي ومؤلفاته:

ومؤرخنا أمين سامي باشا (١٨٥٧ - ١٩٤١) هو ابن الشيخ محمد حسن البرادعي المصري، الذي ينسب إلى «البرادعة»، إحدى قرى قلوب بالدلتا

المصرية، وكان أبوه وجده شيوخين للقرية مما يعني أنه نشأ في أسرة ميسورة من أسر شيوخ القرى المصرية في القرن التاسع عشر، وبالرغم من أنه ليس لدينا معلومات كافية عن نشأته وسنتي تعليمه الأولى إلا أنه من الواضح أنه تلقى تعليمياً أولياً في قريته، ثم وليث أن استكمل في القاهرة، التي لا تبعد كثيراً عن بلده، قبل أن يدخل مدرسة الهندسة، التي كانت قد تأسست منذ عام ١٨٤٢) وذلك في عهد نظارة محمود باشا الطلبي لها (١٨٧١ - ١٨٨٢). وفي هذه المدرسة تلقى أمين تعليمه فنياً، أهله لحياة عملية انتمى خلالها في سلك التعليم الفني، فعين مدرساً بمدرسة المساحة في بني سويف وذلك في أواخر عهد الخديو إسماعيل، وكانت هذه المدرسة ذلّل الطلاب للدراسة بمدرسة الهندسة، وقد شغل أمين سامي وظيفته تلك نحو خمس سنوات، قدم فيها لطلانه مختصراً لهندسة إقليدس، انتقل مؤلفنا بعد ذلك للعمل مفتشاً بنظرارة المعارف حيث أظهر نشاطاً كبيراً في ظل رئاسة السيوي دوييه السوسيري، الذي يعد أحد الشخصيات الأوروبية المرموقة التي خدمت التعليم بمصر، والتي يعزى تأسيس أول مدرسة للمكوفين بمصر، وقد انتهى عهد الخديو إسماعيل (١٨٧٩) وأمين سامي في وظيفته تلك، وتحتج نشاطه الجهم وسيرته الواسعة وسعته العلمية. عهد إليه بإنشاء مدرسة ابتدائية بالمنصورة، فأنشأها على أحدث طراز في عصرها.



تتبع مؤلفنا

أمين سامي باشا

أحوال مصر

مقرراً ذلك بأحوال النيل،

ليضع لنا هذا

السفر الضخم، الجليل

والقيم، بعد أن

أنفق في تأليفه ما ينيف

عن ربع قرن

من الزمان



وطوره بأل أضاف إليها أصولاً تجهيزية (تأليفية) وكان من أنجب تلاميذه فيها أحمد طلف السعيد، أستاذ الجيل فيما بعد. إلى زوى عنه في ذكرياته أنه كان غلاماً فكياً زرع إلى الفلسفة والتفكير مع حداثة سنه.

وفي مدرسة المنصورة قدم أمين سامي أساليباً جديدة في التربية والتعليم للثينة الطلاب، فكان يكلفهم بإعداد موضوعات معينة خلال الأسبوع ثم يحشد المعلمين وكبار الموظفين والمهنيين ليتحدث إليهم الطلاب، كل في موضوعه من الناكدة حديثاً مرتجلاً، وقد زار الخديو توفيق هذه المدرسة عام ١٨٨٣ حيث أصفط التلاميذ لاستقباله وهم يلبسون ثياباً بيضاء كالتي يلبسها الجنود بالكتان، وقد أبدى الخديو إعجاباً شديداً بالمدسة وتنظيمها ونظامها ونظام التعليم فيها، حتى إنه تولى بنفسه امتحان التلاميذ باللفة الفرنسية.

ويبدو أن أمين سامي عمل فترة في الدار المحفوظات المصرية منذ عام ١٨٨٠، حتى بعدها للعمل مفتشاً بنظرارة المعارف مرة أخرى، ومنها انتقل إلى وظيفة أكبر وأكثر أهمية عندما تولى مدرسة الناصرية (البيديان) حيث مكث بوظيفته هذه نحو قرين، بين عامي (١٨٨٥ - ١٩١٠) استطاع خلالها تأسيس مبنى عصري للمدرسة بالمصرية، حتى صارت مدرسة لأبناء الأعيان وصفتها المجتمع المصري، باعتبارها أرقى مدرسة في مصر حينئذ، وكانت أشبه بكلتي «دار» و«بيتون» بإجلترا بين يدي أبناء العائلات والأسر تربية خاصة. وقد ذكر أمين سامي أن اللورد كرومر، المهندد السياسي البريطاني في مصر قد زار المدرسة واتنى على نظامها وتنظيمها وبرامجها الدراسية، كما زارها الخديو عيسى عيسى مرزيتي.

وقد أضاف أمين سامي في ذكرياته عن هذه المدرسة أنه ابتعد مخالطة المعلمين لتلاميذه، والعناية بالرياضة، وإذاعة المنافسة بين الطلاب عن طريق الجوائز وتوحيات الشرف وتنتشهم على النهج الذي رسمه الكيرال الحنيف، «وقد تهاوت رجالات مصر والكبراء وإعائانه على المدرسة يضعون أيديهم تحت رعايتي وإشرافي، وكانوا يفضلون إسمائهم بالمقسم الداخلي رغم سكنهم بالقاهرة»، وقد تخرج من هذه المدرسة من كبار شخصيات مصر البارزين كل من مصطفى النحاس وعلي ماهر وأحمد ماهر وعلي الشنمسي ووكي العراني وحافظ رمضان وغيرهم.

ونتيجة للسمعة العلمية والإدارية التي حازها أمين سامي، عهد إليه في

مهاية القرن التاسع عشر بنظرارة مدرسة دار العلوم أيضاً، وذلك في عهد نظارة مصطفى فهمي باشا (١٨٩٥ - ١٩٠٨) الذي أطلق يده في مهنة تعليمه، تنظيمها، طبق نهج في مدرسته نجحاً على عليه شهد له الإمام بأنه أحيى اللغة العربية أثناء الأستاذ الإمام محمد عبده، الذي كان رئيساً لهئية امتحان الطلاب بها، وقد شهد له الخديو توفيق في يديه منها عدد من كبار الكتاب والعلماء والشعراء.

لقد كان شغوفاً بالعلم والتعليم طوال حياته، وقد ذكر النزيل في الأعلام، أنه ألف كتاباً مدرسياً بعنوان «الصفحات العباسية في المبادئ الأساسية، المهم أن مؤلفنا بذل جهوداً كبيرة في سبيل نشر التعليم، وإصلاح التعليم الابتدائي والثانوي في عهدي الخديو توفيق وعباس حلمي، وكان من أنصار جعل التعليم الإلزامي في مصر مجانياً وجبارياً للضمان على الأمية، وفي حديث نشر له بمجلة الهلال عام ١٩٣١ ذكره أنه يقطن في بيتين حتى يتعلم آخر أسي في وطنه، وقد صبر عن إغتاظه لانتهاء التعليم الإلزامي ثقتة منه بأن تعليم الشعب هو أساس كل تقدم وفلاح، وكان يرى أن القضاء على الأمية وما يصحبها من تطور هو الخطوة الأساسية لمناهضة الشعوب الأخرى.

لقد كان ينظر إلى أهمية ازدياد المدارس الصناعية والزراعية نظرة خاصة، ويرتب على تقدمها والإقبال عليها، ارتفاع الصناعة الوطنية وتغير طرق الزراعة وارتفاع أساليبها، كما كان من أنصار تعليم البنات طوال حياته، وكان يدعو الشباب إلى العمل والانشغال خارج دوائر الحكومة، لكي يقبضوا على زمام الشؤون الحيوية كلها مناهضين للأجانب، وكانت نظركه للجامعة المصرية على درجة كبيرة من الوعي، فهو ينظر منها أن تكون معهداً للبحث الحر، يتلقى فيه الطلبة كيف يبحثون ويقيمون فيه، بالتجارب، سعي وراء الكشف والاكتشاف والابتكار في العلم والأدب والتاريخ والمفلسفة، ويرى أن الهدف من إرسال الطلبة في بعثات علمية، ليس للحصول على الشهادات والدرجات العلمية، وإنما جلب العلوم والمعارف ونشرها بين الأمة، وعموماً فإن المؤسسات التي تولاهم في شؤون التعليم فضلاً عن نشأتها الاجتماعية، قد هيا له مكانة اجتماعية مرموقة، ومن ثم الاضطرار والحرك داخل الدوائر الاجتماعية العالية في مصر، فكان عضواً بالمجلس الأعلى للمعارف، كما عين عضواً بمجمع اللغة العربية، وكانت نشاطاته الاجتماعية والثقافية العامة مدعاة اختياره عضواً

في مجلس الشيوخ منذ عام ١٩٢٨، وحتى وفاته عام ١٩٤١.

ومع ذلك كله فإن وجهات نظره وآراءه السياسية لم تنعكس على كتاباته التاريخية، كما كان نادراً ما يفتضح عن آرائه الخاصة ويعبر عن مشاعره بشأن أي موضوع يكتب عنه. وفي تقديرنا أنه لم يكن يعتبر نفسه رجل سياسة بمعناها المباشر، ولم يشتهر بذلك، ربما لأنه اختار أن يخدم بلاده بإحلاص وتمايز شديدياً من خلال وظائفه الإدارية والتعليمية. ومن خلال مؤلفاته العلمية والتاريخية. باختصار، لقد اختار أن يكون رجلاً عملياً، معلماً وكاتباً، يكرس جل وقته لما يحبه ويقدّر عليه. ومن داخل جهاز الدولة الحكومي، فلم نعرف أنه كان حزيناً أو معارضاً، رغم علو المد الوطني وميلاد الموجة «الشاذية» من الحركة الوطنية المقاومة للاحتلال البريطاني. وميلاد الحركة الحزبية. ثم بلوغ الحركة الوطنية والسياسية ذروتها بشوهر عام ١٩١٩، فقد شهد أمين سامي ذلك وهو في ذروة نضجه، حيث استقره العمل في التأليف خلال هذه السنوات الحيوية والخصبة من تاريخ الوطن.

أما عن مؤلفاته، فإنه باستثناء كتاباته المدرسية التي كتبها للطلاب، ولم تنشر خارج هذا السياق، فإن أول كتاب ألفه ونشره كان المجلد الأول من «تقويم النيل» الذي يتضمن مقدمة الكتاب (١٣٤ صفحة) ثم الجزء الأول منه الذي يتناول أوضاع النيل وتاريخ مصر من الفتح الإسلامي حتى الفتح العثماني، وقد نشره عام ١٩١٥م، ثم أعقبه بكتاب يحمل

عنوان «التعليم في مصر في سنتي ١٩١٥ و١٩١٥» ويبيان تفصيلي لنشر التعليم الأولي والابتدائي بأحاء المزار المصرية، وقد نشره عام ١٩٣٥هـ، ١٩١٧م، مدفوعاً بأن عليه لائحه مصر يجب أدائه عند القدرة عليه، وبالرغم من أنه أراد أن يكتب عن التربية والتعليم منذ القرن الأول وحتى عصره، إلا أنه ركز كتابه حول عامي ١٩١٥ و١٩١٥، مستعيناً بالوثائق، والإحصائيات التي تناولت أعداد التلاميذ والمدارس وخطط التعليم، مما يجعله مصدراً وثائقياً مهماً لمرحلة التعليم في مصر خلال هذه الفترة.

ثم شرع مؤلفنا بعد ذلك في استكمال إعداد ونشر مشروعه الطموح «تقويم النيل»، فنشر عام ١٩٢٨ مجلده الثاني الذي تناول تاريخ مصر من الفتح العثماني حتى نهاية عصر محمد علي. ونتيجة لتوسع نطاق ومجال العمل لديه، لم يستطع أن يصدر المجلد الثالث، بإجزائه الثلاثة، فضلاً عن جزء خاص بالأماح. إلا في عام ١٩٢٣، وفي الأجزاء التي غطت جهود خلفاء محمد علي، عباس باشا ومحمد سعيد والخليو إسماعيل

ويعد أن أتم أمين سامي نشر مجلدات «تقويم النيل» بين عامي ١٩١٥ و١٩٣٠، كانت لديه بقية من علم ووثائق عن النيل وعن التعليم في مصر. لذلك صنفها في كتاب آخر، كان آخر مؤلفاته، حيث توفي بعد نشره بثلاث سنوات، وكان تحت عنوان «مصر والنيل» من فهرس التاريخ إلى الآن، وقد نشرته دار الكتب المصرية عام ١٩٢٨، ويلاحظ أن الحديث

فيه عن التعليم في مصر من عصر محمد علي وخلفائه. حتى عهد هاروق. اختلط بالحديث عن النيل ووعائه وقيصانه. كما استل هذا الكتاب بالوثائق والإحصائيات التي لم يكن قد نشرها في أعماله السابقة.

تقويم النيل: الهدف والأهمية

يقع هذا الصفر الصخم في مجلدات ستة اشتمل المجلد الأول منها على مقدمة طويولة. أوضح فيها أسس مشروعه الطموح وتحدث عن جهوده وأهدافه من هذا العمل. كما اشتمل على الجزء الأول الذي وضع له عنواناً فرعياً طويلاً إلى جانب العنوان الرئيسي «تقويم النيل» هو (وأسماء من تولوا مصر الخاصة من المدة المحصورة بين السنة الأولى وسنة ١٣٣٣هـ. ٦٢٢ - ١٩١٥م) وكما أشرنا يتناول هذا الجزء الفترة التاريخية الممتدة من الفتح الإسلامي لمصر وتعاقب حكام ولاة الدول الإسلامية عليها حتى نهاية حكم سلاطين المماليك. ليقتطع عن بداية دخول مصر تحت الحكم العثماني.

ويلاحظ أن المؤلف وضع تقويماً للنيل من حيث تواريخ تنحاريقه وقيصاناته، بتسلسل زمني في الصفحات اليمنى، وما يتاليها من الولاة والحكام وأهم أحداث عهدهم في الصفحات اليسرى، ملتزماً هذه القاعدة في الجزء

كله. كما يلاحظ أنه يدكر الكثير من مصدريه في نهاية العديد من فقرات كتابته. فيشير بين قوسين إما إلى اسم المصدر أو اسم المؤلف، دون استكمال بقية معلومات المصدر.

أما المجلد الثاني فقد استكمل به حلقات تاريخ مصر في الفترة التالية أي منذ بداية الحكم العثماني مروراً بالغزو الفرنسي. ثم عودة مصر إلى حكم الدولة العثمانية. وولاية محمد علي باشا عليها، لينتهي الجزء بوفاته إبراهيم باشا عام ١٨٤٨. وهناك عدد من الملاحظات بشأن هذا الجزء أوها أن المؤلف سرعياً على حقته الحكم العثماني ينتقل إلى عصر محمد علي الذي استغرق أكثر من أربعمئة صفحة (أجابه كله ٦٢٢ صفحة) وقد ذكر أنه أراد توضيح أعمال «ولاة الدولة العثمانية من خير بشر» ووقعه وصعق. وما كان من نفوس الأمراء المصريين. بقصد المماليك، الذين صبرا نفوذ الولاة معدوماً في أغلب الأحيان، حتى تسبب عن استمرار الخلافات بينهم تسهيل الاحتلال الفرنسي، وقد أضاف أنه اجتاز القرون التي تحسح هؤلاء مكتسباً بذكر أهم حوادثهم، ليصل إلى بعته. أي أن عصر محمد علي باشا الذي يهم الناس معرفة حاله فصله لأهميتها ولتواصل تاريخها بها اتصالاً تاماً.

وتأنيباً أنه تخلى عن التقليد الذي اتبعه في الجزء الأول المتعلق بتقويم النيل وأحواله. ففرض بشكل أساسي لأحداث التاريخية، وجاء حديثه عن النيل في سياقه. حسبما توفرت مادة تاريخية له أو حسب تفسيره دون ما تيسر له المتور عليه من أمر فيضان النيل وتاريخيه في المدة من ١٦١٥ - ١٨٤٨، وأضاف أن هناك سنوات خلعت من معلومات عن النيل (حصراً في جدول) مبرراً ذلك باضطراب الأحوال وبإكتشاف المؤرخين بذكر وفاء النيل والاحتمال به. وقد أبدى اسمه لحلول المدة بين عامي ١٨٠١ - ١٨٢٤ من بيان نهاية الفيضان ونهاية التحاريق. وفسر ذلك بانهمالك الوالى في سياسة الإنشاء والتجديد، وأضاف أنه بدل جهده في الحصول على معلومات عن النيل خلال هذه الفترة والتصل بأسر كبار المهندسين الذين ذكرهم بالاسم، ممن تولوا الإشراف على الأعمال الهندسية في عهد محمد علي، ووعده بأنه سيرا جيع المصادر الموجودة في مخازن خلف الطبعة مرة أخرى.

وثالنها: أن المؤلف، إلى جانب اهتمامه بسير الحكام ونظور الأوضاع السياسية والإدارية



البدء اهتماماً كبيراً بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية. فقد تحدث عن نظم ولوائح ترتيب الأراضي والأطيان، وإنشاء المحفوظات والصناعات والمدارس وشؤون التعليم، وتسمية الأسماء والبصائع والعمل، وإنشاء المستشفيات، وتنظيم الجيش وتحديثه، وحتى تسمية الشوارع وتنمير البيوت وتعداد أصالى القطر. وقد استقى معلوماته من نصوص الوثائق والأوامر والمراسيم والتقارير التى حصل عليها من الدفترخانة المصرية (دار المحفوظات) ومن جرنال الوقائع المصرية. ومن مصلحة الرسم بالمساحة العمومية. ومضى نظارة الأشغال، فضلاً عن مؤلفات مصر القديمة

أما المجلد الثالث الذى تضمنه فى الواقع، حتى جعله المؤلف ثلاثة مجلدات (الثالث والرابع والخامس) بالإضافة لجزاء فتاوى الجزء الأول منه عصرى عباسياً ومحمد سعيد باشا (١٨٤٨ - ١٨٦٣) بينما انصرف عصر إسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) بالجزءين الثانى والثالث بسبب وفرة المادة العلمية، ويلاحظ أن مؤلفنا قد هداه الجهد المجدد، بحلى أيضاً عن تقليده القديم الذى التزمه فى المجلد الأول، بوضع الجملتين لتقويم النيل فى الصفحات السبعين، وإن ظل ملتزماً بالتسلسل الزمنى، الحولى، فى عرض الأحداث الكبرى. وبعد هذا المجلد فى أربعة أجزاء من الأهمية لتعدد المادة الوثائقية المنشورة عن عصرى عباس الأول وسعيد باشا، خاصة أنه تناول موضوعات مهمة مثل إنشاء السكك الحديدية فى مصر، وتأسيس القناطر الخيرية، وأوضاع الحكم المصرى فى السودان، وإنشاء وترتيب المجالس والدواوين، كما قدم لنا المؤلف فى عصر إسماعيل معلومات ووثائق عن مختلف أوضاع مصر الداخلية والخارجية، خاصة ما يتعلق بعلاقات مصر باليابان، العالى، وتأسيس ونشاط مجلس شورى النواب، والمحاكم المخططة، وتطور ميزانية مصر... إلخ.

وأخيراً أصدر أمين سامى المجلد السادس كمجلد وثائق يحمل عنوان «ملحق لتقويم النيل عن الجسور والقناطر والكبارى والخزانات على النيل وفروع مصر والسودان، من فجر التاريخ إلى الآن، يضم ما استطاع من وثائق وخرائط وجداول وإحصائيات ورسوم توضيحية، استكمل بها موضوعات المجلدات السابقة.

وبدا تحدثنا عن أهداف أمين سامى باشا من وضع هذا المجلد الكبير، فمن الواضح أنه كان مدعوماً إليه بشعور الالتزام بخدمة العلم والتاريخ وبالرغبة

فى خدمة الوطن. كما قصد منه تلبية احتياجات العلماء والمؤرخين والمهندسين، وحسب تعميمه فإنه يقدم هذا العمل للقراء والباحثين. ولم أزد بذلك إلا القيام بواجب العلم والتاريخ وخدمة الوطن العزيز، وقد حدد مؤلفنا ثلاثة أهداف أو مآرب لوضعه هذا العمل الكبير. أولها أنه أراد أن يضع تقويماً للنيل المبارك، يتضمن فتاوى تحاريره وفيصانه كل عام منذ بداية التاريخ الهجرى حتى عام ١٣٢٢هـ - ١٩١٤م معتمداً على ذلك على ما كتبه مؤرخو مصر، الذين سجلوا حالة النيل فى حولياتهم كل سنة هجرية. وثانيها: أن يقرر ذلك بعرض تاريخى للوقائع والأحداث التى مرت بمصر خلال نفس الفترة. وثالثها: أن يوضع النتائج التى ترقبت على حالة النيل وتأثيرها على الحوادث التى حلت بمصر وسكانها، من رخاء وشدة عبر التاريخ. ورغم هذا الجهد الكبير واتساع العمل كلما اقترب مؤلفنا من السنوات التى عاصرها، منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر، فإن القدر لم يمهله لإنجاز عمله كله، ومن هنا توقف به الجهد عند نهاية عصر الخديو إسماعيل (١٨٧٩).

وقد اقتضى من تحقيق هدفه الأول المتعلق بوضع تقويم للنيل أن يرجع إلى ما سجله المؤرخون. ولما كان هؤلاء قد سجلوا معلوماتهم بالسنوات الهجرية، فقد رأى أمين سامى أن يقرنها ويطباقها على السنوات الميلادية. ليزيد الصورة وضوحاً ودقة. فتحرى الاختلاف بين التقويمين الهجرى (المصرى) والميلادى (الشمسى)، وأثبت ما يوافق فترة المحرم

من كل عام بما يوافق من التاريخ الميلادى. ليستنتج أن كل ٢٤ سنة هجرية تعادل ٢٣ سنة ميلادية. وعندما اطلع على مذكرات ومستخرجات من الكتب المحفوظة مكتوبة بالأحبار بباريس، التى نشرها المجمع العلمى الفرنسى عام ١٩١٠، باعتبارها تتضمن على تحارق النيل وفيصانه بين عامى (٢٠ - ١٨٥٥هـ) حيث لاحظ أمين نفس الفرق بين التقويمين، مما أكد لديه ملاحظته السابقة.

مصادر الكتب ومنهج المؤلف،

إن قيمة أى عمل علمى تستمد من أهمية مصادره ومنهج وأسلوب الكاتب فى التعامل مع المعلومات والحقائق الواردة فى هذه المصادر، وتقديرها نقداً تاريخياً لاستخراج الحقائق الصحيحة منها، وتوظيفها لبناء معرفة تاريخية علمية. وقد كشف لنا أمين سامى عن الاستفادة عالية وعن تمكن ملاحظه فى الاستفادة من المصادر على نحو علمى. وربما كان هو أول مؤرخ مصر فى القرن العشرين استخدموا الوثائق التاريخية على نطاق واسع، كما استطاع أن يخضع الكثير من هذه المصادر للنقد التاريخى، من خلال مقارنة الروايات والتحقيق والتاكيق فى أربعة زوايا وسيا وراء الحقيقة. ورغم استخدامه للشكوى، إلا أن مضمون عمله جاء مختلفاً عن سبقوه، وبسبب ملاحظة موضوع هذه المسألة، فهو عند استأنهات بجود أعد الكتاب الفرنسى «سويو كارثيريه ذكرانه استقى معلوماته من كتاب ابن الجاحز، النجوم الزاهرة، تشكك مؤلفنا فى الأرقام التى وردت بالجدول وفى التاريخ، فهدى

الرحال إلى باريس عام ١٩٠٣م ليطالع على مخطوط ابن الجاحز، وعندما قارنها بما ورد فى الجدول وجد أن المعلومات غير مطابقة للأصل، واكتشف أنها نقلت عن نسخ حدثت بها أخطاء، لذلك أورد أمين سامى المعلومات والأرقام الدقيقة عن نسخة المخطوط الأصلية، مصححاً بذلك ما ورد بالجدول الفرنسى، وأضاف أن نظره بذلك شجعه على مزيد من البحث والتدقيق فى مؤلفات مثلها تعرضت لنكر تحارق النيل وفيصانه، ومن السهل ملاحظة أن أمين سامى استعان بأقصى ما استطاع أن يصل إليه من مصادر عربية وأوروبية، إرشاداً إلى سباق موضوعاته، وأنه سعى إلى مظانها جميعاً، واستفاد منها مقارناً ومجلاً، ولم يكن مجرد ناقل، بل كان ينسيت ملاحظاته وتبصيراته وتعليقاته دائماً،

وكان عادة ما يستخدم عبارة «ولى على ذلك ملاحظات»، ومن أشهر مصادره العربية ذكرانه رجع إلى كتابين لآبى بكر ابن عبد الله بن أبيك هما «دور النيران» و«تذكر الزور وجامع القرى» بيد أنه لم يأخذ المعلومات الواردة بهما بشكل مسلم به، وإنما يندى عليها الملاحظات ويدهق فى الاختلافات الواردة بها عن غيرها، وكان ذلك عاملاً لولادة نهج «أقوى البواعث» على دقة مراجعة كل كتاب نوه بأى شيء عن أمر النيل، ككتابات ابن الحكم والمقريزى والمسموعى وابن تبرى بردي، مما يظهره فى نهايات الكثير من اقتباساته.

وفى معرض حديثه عن مصادره كذلك ذكر أنه استفاد من كتاب عبد الطيف البعداوى، الإفادة والاعتبار، وأنه حسب قول كاتب ابن أبيس «نشق الأزهار فى صحالب الأفهار» وجد فيه زيادة عن كتابه «النجوم الزاهرة»، كما قارن المعلومات التى استعان من كتاب ابن السورى البكرى بحفظ الأزهار، بغيرها من المصادر للتحقق والتثبت من صحة ودقة هذه المعلومات.

وفىما يتعلق بالمصادر الحديثة، فيلاحظ أنه استعاد اكتشاف فيضان النيل [١٢١٥، ١٢١٥هـ] الذى أعده أسويو لوثير، أحد رجال البعثة العلمية الفرنسية فى مصر، وقد أخذ عن عدد من مشاهير الكتاب العرب، فاقتضت أمثله أن يذكر أنه «غير واثق من دقته... كما استعان بمحررات كتاب محمود باشا العللى فى عامى (١٢٤١ - ١٢٤٢هـ) أما ما يتعلق بتحارق النيل وفيصانه عن المترين على عامى (١٣٠٢ - ١٣٢٢هـ) فقد استقى معلوماته من صحيفة الوقائع المصرية، طبقاً لما سجلته والأشغال العمومية، ويستفاد من ذلك كله أن مؤلفنا استقى معلوماته من مصادره الأصلية طبقاً لطبيعة عصرها، سواء كانت معلومات أو مؤلفات أو تقارير ومحررات رسمية، سواء وجدت فى القاهرة، بدار المحفوظات ومصطلح المساحة ووزارة الأشغال، أو فى العواصم الأوروبية كباريس واستانبول وغيرها.

أما عن المعلومات التاريخية أو «الشذرات التاريخية»، كما كان يسمىها، من حيث أهميتها والنهج الذى اتبعه فى عرضها، فقد كشف أمين سامى عن وعى كبير بمنهج المؤرخين وطرائقهم، من قداما ومحدثين، وربط بين ذلك وبين أهمية المعرفة التاريخية على نحو مهم، فذكر أنه لم يسلك فى عرضه التاريخى الحلة التى اعتاد كل فريق من المؤرخين اتباعها، وقد استفاد هؤلاء فى ثلاثة فرق: فريق يتبع أسلوب تراجم الأعيان من



كتاب الزاوية

تقرير جولدستون (٦)

وقد بحثت البعثة أيضاً الاحتياطات التي اتخذتها القوات المسلحة الإسرائيلية في سياق ثلاث هجمات محددة قامت بها. ففي ١٥ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٩، تعرض مجمع المكاتب الميداني لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) في مدينة غزة للقصف بالذخائر العالية التفتيح وذخائر الفوسفور الأبيض. وتلاحظ البعثة أن الهجوم كان خطيراً، إلى أبعد حد. بالنظر إلى أن هذا المجمع كان يتيح المأوى لما بين ٦٠٠ و ٧٠٠ شخص من المدنيين، وكذا يتضمن مستودعاً ضخماً للوقود، واستمرت القوات المسلحة الإسرائيلية في هجومها على امتداد ساعات عديدة على الرغم من أنه جرى تبنيها بشكل كامل إلى الأخطار التي أحدثتها. وتغض البعثة إلى أن القوات المسلحة الإسرائيلية قد انتهكت ما يتطلبه القانون الدولي العرفي من اتخاذ جميع الاحتياطات الممكنة في اختيار وسائل الهجوم وأسلوبه بقصد تجنب - وعلى أية حال التقليل إلى أدنى حد من - الخسائر العرضية في أرواح المدنيين، وإصابة المدنيين والحق الضرر بالأعيان المدنية.

وبحثت البعثة كذلك حادثاً استُهدف فيه أحد المساجد بقدية أثناء صلاة المغرب، مما أسفر عن موت ١٥ شخصاً كما بحثت هجوماً استُخدمت فيه ذخائر سهمية ضد حشد أسرى ومعتقلين جيران في خيمة عزاء، مما أدى إلى قتل خمسة أشخاص. وترى البعثة أن كلا الهجومين يشكلان اعتداءات متعمدة على سكان مدنيين وأهداف مدنية.

التاريخ في نقل الأشياء بصورها الحقيقية، وعدم تشويهها بأي تمويه. حتى يرى المارئ بعينه ما كان عليه الأمر على حقيقته. ومن أجل ذلك ترى فيها أغلاطاً لغوية وصرفية ونحوية وإملائية وأصاليب ركيكة. فليست البعثة القارئ وليلاحظ أن أكثر ما كان ذلك واثقه وقوعا في عهد عباس وسعيد. أيام طلعت معالم التعليم وكاد يقتضى عليه. ويبدو أن مؤلفنا على امتداد سوات تأليفه للكتاب. كان يتلقى أسئلة تتعلق بالنيل وشئونه من قبل القراء. بعد أن نشر الجزء الأول عام ١٩١٥، وقد اعتذر لهم عن إبطائه في الإجابة عن بعض ما أرسلوه إليه، معللاً بأنه لا يريد أن يجارف بالإجابة دون تحرر المسائل الشد التحري. ولا يجيب حتى يتأكد وتثبت بأقصى ما في وسعه، كما تقتضى بذلك آسالة العلم وكرامة النص، حتى لقد كان ذلك يكلفه السفر ومراجعة المصادر في مختلف المكتبات الأوروبية، ليضمن إلى أن كل ما أجاب به لم يكن إلا بعد التحري العظيم والتثبت الشديد،

وأجبر، كما يقول إن أمين سامي باشا كان متنبها لتطور منهج البحث في التاريخ، بضل ثقافته الحديثة. وما بداخلها من مؤثرات أوروبية، فهاض عن معرفته بترت ثقافته العربية. فلم يات عمله مجرد سرد للوقائع والأسماء والتواريخ، وإنما جعل يفوس فيما تحت الطواهر التاريخية لإدراك أبعادها مع تقديم تحليلات وتفسيرات لكثير من الوقائع بأسلوب سهل متميز تتدفق فيه الأحداث والوقائع والحقائق عبر سياقها الزمني في تتابع منتظم. وبعلة عصرية مباشرة خالية من السجع والتزويد. لقد تضمنت المجلدات التي تناولت عصر محمد علي وخلفائه، ثروة ضخمة من الوثائق والتقارير الرسمية والفرمانات والأوامر العالية، التي أجاد مؤلفنا ربطها في تطورها الزمني، مخلفا لنا عملاً موسوعياً فريداً، على درجة كبيرة من الأهمية لا تتوفر بسهولة في مرجع آخر، ومساهمة بذلك في بناء الإرث القومي المصري. كما تميز هذا العمل شمولية واضحة جعلته لا غنى عنه لأي مثقف أو باحث أو مؤرخ، لذلك تضمنت له أبعاده الموسوعية الخلود والبقاء، وربما كانت القيمة الأعلى والأهم لذلك السفر الجليل، ليس باعتباره «تاريخياً»، في حد ذاته، وإنما باعتباره مصدراً، للكتابات التاريخية. ولصندر بطبيعة الحال أكثر أهمية وبقاء من التاريخ ذاته.

ولله الحمد من قبل ومن بعد. ❧

مولدهم حتى وفاتهم، من غير تعرض لترتيب الدول، وفريق يروى تاريخ الدول على سبيل الحكاية والقص، من غير نظر إلى ترتيب سلسلة الحوادث التي يقتضى بعضها بعضاً. وهذا لا ثمرة له في القصود من التاريخ، ولعله يمس هنا من غير النظر إلى الوقائع ومسبباتها ونشأتها، أما الفريق الثالث فأنصاه يدورون تاريخ الدول أيضاً، لكن مع ترتيب سلسلة الحوادث وأن بعضها يقتضى بعضاً. وذلك لا اعتبارهم أن التاريخ هو تبیان حوادث الأيام، التي أهمها سلسلة حوادث الأعمال الإنسانية الاختيارية. وما لكل من سبب وغاية، من جهة تأنيها في الاجتماع المدني، تقوية أو إضعافاً. وذلك بهدف تربية العقول وتمويدها الحكم على الحوادث، سواء بالتحسين أو التقييح، سيما وراء الحقيقة وإعراضاً عن الطواهر باعتبار ما لها من التأثير. ونتيجة لتوجيه التاريخي وفهمه طبيعة علم التاريخ، فإنه رغم تأكيده على أهمية الفريق الثالث، الذي يهتم بالبحث عن علل الأحداث والوقائع التاريخية، وينظر في نتائجها، ويستهدف من التاريخ لها تنمية ملكة النقد وتكوين الآراء وإصدار الأحكام استناداً إلى العقل، فإن مؤلفنا مزج بين الغراض كل فريق من الفرق الثلاثة، الذي يهتم اختيار ما أراد تبينه من الأحداث، فأعز العصور التاريخية ما يناسب أهميتها. ورأى أن يسرع في اجتياز القرون الأولى، ليصل إلى القرون الأخيرة، التي يرى أنها تهمنا مباشرة، أي ليصل بنا إلى الأحوال الملته التي انتشل فيها ساكن الجحان محمد علي باشا، بحسب تصرفه، مصر من هذه الانحطاط إلى المدرجات العالية. مقدماً الرجال والأحداث بصورة تشد القدرة على التصور وتنمي الوعى والوجدان.

وقد ذكر أمين سامي أنه اعتمد فيما كتبه على ثقات المؤرخين، وما إذا بالنسبة لهم إلى ما قاله، «أمين»، وإن كنا نعتقد أنه غلط فسه حقا في الجبلة الأخيرة التي آزاد بها الإشارة، في تورية بلاغية، إلى أماته في النقل وإلى اسمه، لأنه لم يكن مجرد ناقل، وإنما كان باحثاً متقفاً وناقداً في كثير من الأحيان، ولشاكيد أمانته في استخدام المصادر، أشار إلى أن المحررات الرسمية التي جمعها من سجلات الحكومة، والتي وردت في الجزء الثالث تحت عنوان (إبرادات) كانت مودنة في الأصل باللغة التركية وأنه ترجمها إلى العربية، أما المحررات التي نقلها عن نفس السجلات تحت عنوان (أوامر عالية أو أوامر كريمة) فقد دونها كما هي «محافظاً على أماته النقل وقياً بما يحق

بين الشرعية والواقعية



محمد عامر

■ كما أن القوانين قد تكون غير دستورية، فإن القرارات الدولية قد تكون غير شرعية، ويكون القانون غير دستوري إذا تعارض مع الدستور، فما المقصود بعدم شرعية قرار دولي؟ إذ يتعارض القرار مع حقوق الإنسان الأساسية. فردية كانت أو جماعية، مثل تلك التي ذكرها ميثاق الأمم المتحدة بقوله في ديباجته، تؤكد من جديد إيماننا بحقوق الإنسان الأساسية، وبكرامة الفرد وأهميته، وبالحقوق المتساوية للرجال والنساء، ولتأمين البقاء والظهور، ويجب أن ذكرها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بقوله في ديباجته، لا مكان للإرهاب في الكرامة الأصلية والحقوق السياسية والثالثية لكل أبناء الأسرة البشرية هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم، ويؤكد الإنسان مكتسب هذه الحقوق، إذ يقول الإعلان في مادته الأولى، يولد كل الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، متمتعين بالعقل والضمير، ويجب أن يعاملوا بعضهم بعضاً بروح الإخاء... سأبتني هنا مفهوم أكثر تحديداً لعدم الشرعية يكون القرار الصادر من جهة ما غير شرعي، إذ كان متعارضاً مع ميثاقها، وعلى هذا الأساس سأناقش ما يثار منذ نجاح حماس في انتخابات ٢٠٠٦، وإرادته التركيز عليه منذ عدوان الكيان الصهيوني على غزة في ٢٠٠٨/٢٠٠٩، الاعتراف بقرارات «الشرعية الدولية»، والمقصود الاعتراف بتقسيم فلسطين، والتخلي عن تحرير كامل التراب الفلسطيني، وأيضاً التخلي عن المقاومة المسلحة كوسيلة لإنتاج التحرير، في مقدمته الممنونة، الأمم المتحدة وإذاعة الصهيونية، لكتاب الصهيونية والعنصرية، الصادر عن معهد البحوث والدراسات العبرية عام ١٩٧٧، يقول د. ميمد شهاب الدين أستاذ القانون الدولي العام (ص ١٤)، «وقد جاءت وثيقة الانتداب كترسية للقضية العنصرية على الشعب العربي الفلسطيني، فقد تضمنت في صلبها نص صمد بلمس، وأضافت التزاماً على بريطانيا بأن تهين البلاد بما يمكن من تنفيذ ذلك الوعد، والمقصود اشتداد عصبية الأمم البريطانية وصية على فلسطين (عام ١٩٢٢) إعمالاً للمادة ٢٢ من ميثاق العصبة، كما تقول وثيقة الانتداب، وتنص هذه المادة على أن الشعوب الموضوعة تحت

ترابها، وبالتالي فهو يطلقه لشعب فلسطين على كامل ترابها، إذ إن لهذا الشعب حقوقاً متساوية مع غيره من الشعوب بنص الميثاق، بناء على هذا، وعلى ما سبق، فإن تحرير كامل التراب الفلسطيني هو الهدف الذي تلميه الشرعية الدولية، وفي أي انتقاص منه إهدار لهذه الشرعية. (٢) القرار رقم ٣٣٣ (٢٩ د) الصادر في ٢٢ / ١١ / ١٩٤٧ والذي تعترف فيه الأمم المتحدة، بحق الشعب الفلسطيني في استعادة حقوقه بكل الوسائل وفقاً لمقاصد ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه، ولا كان من مبادئ الأمم المتحدة (م ٢، ف ٤) أن يستمتع الأعضاء جميعاً، علاقتهم الدولية عن التهديد بالقوة، أو استهدافهم، ضد سلامة الأراضي أو استقلالها السياسي لأية دولة أو على أي وجه آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة، ولا كان حق تقرير المصير أحد مقاصد الأمم المتحدة (م ١، ف ٢) فإن استخدام القوة لحرمان شعب فلسطين من إنجاز هذا الحق أمر غير مشروع، أما استخدام هذا الشعب العظيم، وأصغار الخير والعدل والسلام، القوة لإحقاق هذا الحق أمر غير مشروع، فبأساً على المادة ١١ من الميثاق التي تنص على أنه ليس في هذا الميثاق ما ينتقص من الحق الطبيعي في الدفاع العفوي أو الجعاسي عن النفس إذ وقع عدوان مسلح على عضو في الأمم المتحدة، وإعمالاً للقرار سالف الذكر والقرار الجمعية العامة رقم ١٨١ (٢٩ د) الصادر في ٢٩ / ١١ / ١٩٤٧، مهددة بهذا حق شعب فلسطين في تقرير مصيره، ومناقضة ميثاقها الذي يكفل هذا الحق ولذا وقد ولد هذا القرار منعدم الشرعية، وعلى التقييس من الممارسات والقرارات الدولية غير الشرعية سألقة الذكر، كان من صلب حرب أكتوبر المجيدة أن أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارات عديدة بشأن فلسطين متوافقة مع الشرعية، تتوقف عند ثلاث منها: (١) القرار رقم ٣٠٨ (٢٨ د) الصادر في ٢٢ / ١١ / ١٩٧٧ الذي تؤكد فيه الأمم المتحدة أن شعب فلسطين الحق في حقوق متساوية، وفي حق تقرير المصير وفقاً لميثاق الأمم المتحدة، وتعترف فيه عن قتلها الشديداً لأن إسرائيل قد حرمت شعب فلسطين من التمتع بحقوقه الثابتة وممارسة حق تقرير المصير، يلاحظ هنا عدم الإشارة إلى قرار التقسيم، أو إلى قرار مجلس الأمن رقم ٢٢٢ (الصادر في ٢٢ / ١١ / ١٩٤٧)، والتأكيد على أن حق تقرير المصير إنما هو وفق ميثاق الأمم المتحدة، الذي يطلق هذا الحق لجميع الشعوب على كامل

كتاب الزاوية



تقرير جولدستون (٧)

وتخلص البعثة أيضاً إلى أن القوات المسلحة الإسرائيلية قد قامت في اليوم نفسه على نحو مباشر ومتعمد بمهاجمة مستشفى القدس في مدينة غزة ومستودع سيارات الإسعاف المجاور بقذائف الفوسفور الأبيض. وتسبب الهجوم في نشوب حرائق استغرقت عملية إطفائها يوماً كاملاً وأوقع الأذى في نفوس المرضى والجرحى الذين تعين إجلاؤهم. وقد وجدت البعثة أنه لم يصدر في أي وقت تحذير بوقوع هجوم وشيك، وترفض البعثة الادعاء القائل بأن نيراً قد وُجّهت إلى القوات المسلحة الإسرائيلية من داخل المستشفى. وهى تستند في ذلك إلى تحرياتها هى.

وتخلص البعثة، استناداً إلى الوقائع المتحقق منها فى جميع هذه الحالات المذكورة أعلاه، إلى أن سلوك القوات المسلحة الإسرائيلية يشكل خرقاً خطيراً لاتفاقية جنيف الرابعة من حيث القتل العمد والتسبب عمداً فى إحداث معاناة كبيرة للأشخاص المحميين وعلى ذلك فإنه يُنشَرُ المسؤولية الجنائية الفردية. وهى تخلص أيضاً إلى أن الاستهداف المباشر والقتل التعسفى للمدنيين الفلسطينيين يشكل انتهاكاً للحق فى الحياة.

وكما لم يرق فكرنا الاستراتيجى إلى تحديات مهمة التحرير. فقد فشل فى التنبؤ بمرحلة الواقعية، أو التهديد لها. أو حتى مواكبتها وترشيدها وتأصيلها، أو معارضتها وتقديم بدائل لها. رغم مرور نحو ثلث قرن عليها.

ولذا فليس بمرعب أن يخبر الحديث عن «السلام» ليحل محله الحديث عن «عملية السلام». ويديره يخبر هذا الحديث ليحل محله الحديث عن التهديد. ويطول بنا انتظار أن توجد علينا أمريكا بحل الدولتين. رغم أننا تعلم أن أمريكا ترومان (ديمقراطى) قد لعبت دوراً محورياً فى اغتصاب فلسطين وإقامة إسرائيل (١٩٤٧، ١٩٤٨م)، وأمريكا جونسون (ديمقراطى) هى التى حالت دون أن يصدر مجلس الأمن قراراً بعودة قوات العدوان إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧م، وأمريكا نيكسون (جمهورى) هى التى استمرت أسلحتها النووية (١٩٧٣م) لتخضع حصار جيش العدوان الإسرائيلي مدينة السويس (لكن المقاومة الشعبية اليابسة منعت من اقتحامها). ولو كانت أمريكا رغبة فى انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة عام ٦٧، لم أرسلت جيشاً لا غير، بل ألجأت هذا الأمر فى أسابيع، أو حتى أيام، كما فعلت بشأن انسحاب سوريا من لبنان (٢٠٠٦م).

رغم صمود الشعب الفلسطيني فى غزة، فقد كشف العدوان الإسرائيلي عليها (ديسمبر ٢٠٠٨ / يناير ٢٠٠٩م) ضعفنا جميعاً: دولاً ومنظمات فلسطينية، وتنظيمات شعبية و... وما الممارك الصهيونية الجارية حالياً بين المتدنيين والمعتقلين والمعارضين والواحدين و... إلا أحد المظاهر المؤسفة لهذا الضعف الشديد، ولن أتريده إلا تقاماً.

إننا جميعاً أمام معضلة مزمنة خطيرة، فهذهتنا مجهضة منذ أن بدنا المعنى إليها مع محمد على منذ قرنين من الزمان. وبدءاً من أربعينيات القرن الماضى فإن الصراع ضد الصهيونية ومن هم وراءها هو أهم العوامل الخارجية لهذا الإحساس. أما على الصعيد الداخلى فإن أحد أهم عوامل الإحساس هو غياب الفكر الاستراتيجى الذى يضرب فى أعماق التاريخ ويستوعب تعقيدات الحاضر ويستشرطه الطاق المستقبل، فبدونه ستظل حركتنا خبط عشواء. فهل لنا أن نأمل فى أن يركز مفكرنا ومؤسسانا البحثية على هذه العلة، فيقبلونها على مختلف أوجهها، ويتفاعلوا مع مختلف أبعادها وتفاعلاتها، ويقدمون مختلف الاجتهادات لحلها، بكل ما يحتاجه هذا من صبر وعزم وجراحة؟

الصهيونية، كما تدعى الصهيونية الفلصى شدة بوصفها تهديداً للسلام والأمن العالميين، وتطلب من «جميع البلدان مقاومة هذه الأيديولوجية العنصرية والإمبريالية، وتعلن أن التعاون والسلام الدوليين يتطلبان تحقيق التحرير. وإزالة الاستعمار.. والصهيونية، والفصل العنصرى، والتمييز العنصرى بجميع أشكاله.

ويرى د. مفيد شهاب الدين فى مقدمته للكتاب سالف الذكر (ص ١٠) أن هذا القرار الكاشف عن حقيقة الصهيونية «أهم القرارات التى أصدرتها منظمة الأمم بخصوص القضية الفلسطينية والصراع العربى الإسرائيلى بأكمله». ويضيف (ص ٢٤) أن بيان الدول الحقيقى لهذا القرار واتخاذ أساساً لطرح شرعية الصهيونية والكيان الإسرائيلى. يتطلب جهداً فكرياً مؤبداً حتى تتبها الأرضية المناسبة لحركة التحرير العربى لغرض الصراع العنصرى ضد الصهيونية..

وبدلاً من بذل الجهد الفكرى المؤبى، وغرض الصراع العنصرى ضد الصهيونية. كانت زيارة القدس واتفاقات كامب ديفيد والمعاداة العنصرية الإسرائيلية. وزاد على ذلك قامت جبهة الصمود والتصدي، التى لم تصمد ولم تنجح. ثم انشغلت العراق بحربها مع إيران لتحوّل نقد من المراقبات قامت بعدها بتحرير، التكوين بدلاً من تحرير فلسطين، الأمر الذى كان من تداعياته زيادة خطورة فى الشموخ والقواعد الأمريكية فى الخليج. ثم كان مؤتمر مدريد والتفاهة أوسلو والمعاداة الأردنية الإسرائيلية (وادي عربة). مما قلب الأمور رأساً على عقب، وأدخلنا فى مرحلة جديدة شعراءها، الواقعية، على

تزييف الواقع، فتخفى على الكيان الصهيونى العنصرى الغاصب شرعية رافقة، دولية وعربية، وحتى فلسطينية. وعدة مؤثرى مدريد، وتحت ضغوط أمريكية، تكسبت الجمعية العامة للأمم المتحدة على عقبها، وأصدرت قرارها رقم ٨٦ / ٤٦ فى ١٦ / ١٢ / ١٩٩١م الذى ينص على أن الجمعية العامة تقرر إلغاء الحكم الوارد فى قرارها ٣٣٧٩ (د ٣٠) المؤرخ فى ١٠ / ١١ / ١٩٧٥م.

ورغم أن هذا القرار يلغى الحكم الكاشف عن «عنصرية الصهيونية» دون أن يلغى حيثياته، فهو يشكل نكسة خطيرة للعدل والسلام وحقوق الإنسان. والمأساة أنه صدر تحت عنوان القضاء على جميع أشكال التمييز العنصرى، لتضيق به الأمم المتحدة قراراً جديداً إلى أقراراتها غير التشريعية.

تهتم «وجهات نظر» بتعريف قرائها بجديد المكتبة العربية والعالمية، وتشكر النافسين والكُتاب والمؤلفين الذين يساعدونها في ذلك. وتدعو قراءها لإرسال مراجعاتهم النقدية لما يرونه من إصدارات. ❧

قصة حياة

إبراهيم عبد الحامس
الشاهرة دار الحشويق ٢٠٠٩ ١٤
صفحة



يختار لنا الحامس في هذا الكتاب بعضاً من المشاهد التي مر بها في طفولته، وشبابه، وكهولته، ويرويها بأسلوبه الرشيق. ولفتة الشربة، والخبرة العميقة بالحياة، التي ينقلها هنا بكفاءة لتجربة وسعة وحياة حافلة. إبراهيم عبد القادر المازني (١٩٤٩)

واحد من الأبناء المؤسسين للمكتبة العربية الحديثة، شحراً برواية وصحافة وثقافة وترجمة. أسس مع العقاد وعبد الرحمن شكري، جامعة الديوان، الأدبية للدفاع عن المعاصرة في مواجهة الأدب الكلاسيكي. ونشر مقالاته الممتعة سفرته من الداعية على صفحات أهم جرائده. عمل رئيساً لتحرير أكثر من جريدة. كما انتخب وكيلاً لمجلس نقابة الصحفيين. وعظماً بمجمع اللغة العربية.

العولة وأزمة الليبرالية الجديدة - الكتاب الثاني

إشراف الدكتور محمد عابد الجابري
بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٩ ٢٩٢
صفحة



يضم كتاب «العولة وأزمة الليبرالية الجديدة»، مجموعة من المقالات التي نشرت في مجلة فكر، ونقد، والتي تشمل بمجمعتها الكتاب الثاني من سلسلة فكر ونقد التي تصدر بإشراف الدكتور محمد عابد الجابري وبالتعاون مع الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

الهدف من هذه المقالات هو البحث فيما يتهدده العالم اليوم من تحولات جذرية على مختلف الأصعدة: العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. والتي تأتتدش بالتحولات الحاصلة في أوروبا والعالم أجمع.

هالاكتشافات العلمية التي غزت القرن الماضي منها نظرية النسبية، القنبلة الذرية، غزو الفضاء... فتحت آفاقاً جديدة وكانت امتداداً من جهة وتعميقاً من جهة ثانية لكل التحولات الحاصلة. كما لا ننسى التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، التي تراكمت بين انتصارات وهزائم وقبوحات، كلها كالتأثير الكبير في تعبئة النفوس فكراً واجتماعياً وفكرياً.

من هنا، تتميز مقالات هذا الكتاب تناولها أدق التفاصيل حول طبيعة تلك التطورات وآثار التحولات في الشأن الإنساني. كما تتميز الدراسات المطروحة بطريقة معالجة الجوانب الموضوعية لمناقشة عدة موضوعات منها: الشأن الإنساني في عصر العولة، العولة ومسألة الهوية الثقافية، خطاب العولة الهيمسني، الثقافة مقارنة بفرض العولة الاقتصادية، التعليم وتحديات العولة، الترجمة، الليبرالية الجديدة، الوضع اللغوي في الغرب، الديمقراطية العولة... وغيرها من الموضوعات والدراسات التي كتبها خبراء المفكرين والتي تستحق الاهتمام.

يهدف هذا الكتاب إلى رسم إطار عام للتحولات والتطورات الجذرية الحاصلة في عالمنا اليوم، والتي باتت تؤثر في الشأن الإنساني، الذي لم يعد موضوع. بحسب الدكتور الجابري، فوق كل شأن آخر وذلك بسبب ما يتعرض له في مختلف الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والسياسية. يرى الدكتور الجابري أن الأمور انقلبت رأساً على عقب، حيث حل شعار «الخصوصية، محل شعار «التأميم»، وحل شعار «العولة، محل شعار «الأممية البروليتارية»، كما ارتفعت الأصوات التي تنادي بـ «الليبرالية، باعتبارها هي الحل.

هنا الكتاب يقدم تفاصيل دقيقة حول موضوع تلك التحولات، وأثارها السلبية والإيجابية على الوضع العربي بخاصة، وذلك من خلال مجموعة من المقالات والدراسات التي سبق نشرها في مجلة فكر ونقد، والتي أشرف الدكتور الجابري على إعادة تجميعها لتكون

ضمن الكتاب الثاني من سلسلة «فكر ونقد». والدكتور محمد عابد الجابري ولد في المغرب عام ١٩٣١ وحصل على دكتوراه الدولة في الفلسفة عام ١٩٧٠ من كلية الآداب بالرباط. له عدة مؤلفات، منها: مدخل إلى القرآن الكريم (٢٠٠٦)، في شعار السياسة: فكراً وممارسة (٢٠٠٩)، الإسلام والغرب، (الأنا والآخر) (مشرف) (٢٠٠٩).

تجربة توفيق صايغ الشعرية

سامي مهدي
بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٩ ٢٦٠
صفحة



توفيق صايغ شاعر طليص ومجدد، كان له أثر كبير في تطور الشعر العربي الحديث. عمل أستاذاً محاضراً في النقد والتشعر في العديد من جامعات بريطانيا وأمريكا. أصدر في بيروت مجلة «حوار، الرائدة ورأس تحريرها. تولت «شركة رياض الريس للكتب والنشر» إصدار جميع أعماله الأدبية والشعرية في المجموعة الكاملة.

هذا الكتاب يتيح لقارئ معرفة توفيق صايغ والاطلاع على أعماله من منظور نقدي علمي، إن من حيث فكر صايغ وموضوعاته التي تناولها أو من حيث أسلوبه الشعري الجدد بأغراضه وثقافته وأدواته وصولاً إلى نظامه الإيقاعي.

يحتوي الكتاب على عشرات الفصول وضعها المؤلف في خمسة أقسام رئيسية، وخاتمة: ١ - شعر صايغ وثقافته، ٢ - مشروع صايغ الشعري، مرجعيته وموجهاته، ٣ - تجربة صايغ اللغوية، ٤ - صايغ والبحث عن نظام إيقاعي جديد، ٥ - شعر التجربة الدينية الإنجليزي وتأثيره في شعر صايغ.

أجمل قصة عن اللغة

باسكال بيك ولورن ساغان وحسان دوهان وسيميل لستيان
ترجمة: ريتا حاطر
بيروت المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٩ ٢٣١
صفحة



كل كائن بشري يهيمر النور وهو يملك استعداداً للتفكير، ولكن ينبغي، مع ذلك، تلقينه فعل هذا الأمر فأى تكييف أجبر التطور أفضى ذات يوم من أيام العهود السحيقة إلى بروز اللغة؟ وكيف كان أسلافنا يعبرون؟ هل كان ثمة لغة وحيدة كونيية فيما مضى؟ ولم تلنوعت اللغات، فيما بعد، على سطح المعمورة؟ إن اللغز المحير هو في معرفة كيفية تعلم كل طفل بشرى الكلام من جديد، كيف يتعرف إلى الكلمات، وما الذي يحصل في دماغه؟ إن الاكتشافات المذهلة التي أجبرها الأنتروبولوجيون في الخمسينيات وأربعينيات تسبح لنا اليوم بتعقب مسارب اللغة، منذ الأحافيز الأولى. وهذا، في هذا الكتاب، يتعاون ثلاثة باحثين ليروا لنا، بكلام بسيط، إحدى أجمل قصص البشرية وأكثرها فزادة بلا أدنى شك.

محمود درويش، عصي على التسيان

ميثال سادة
بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٩ ٢٤٠
صفحة



تكريماً للشاعر الكبير محمود درويش، وفاء له في ذكرى وفاته الأولى، أصدرت شركة رياض الريس للكتب والنشر كتاباً جديداً بعنوان «محمود درويش، عصي على التسيان»

حفر الذات

كتاب، حفر الذات،
دراسة أدبية
إخلاص عطا الله
الهيئة المصرية العامة للكتاب

سجد القارئ بين دفتي هذا الكتاب ثقافة ما قد تكون معلوماتية، وقد تكون حيرة حياتية إنسانية، مما يعمل في مكونات النص ويحرك في داخلها شيئاً ما قد يدفعنا إلى تفكير أو سلوك ما.

تقول الكاتبة في مقدمة «حفر الذات»: «أعرف نفسك بنفسك، هكذا كان سقراط يردد دائماً على تلاميذه من حجرات الدين وعلى سامعيه في الأسواق وفي الشوارع، بل طاماً وجه هذه الحكمة مراراً إلى نفسه على أنه يصل إلى الحقيقة هو والآخرين وعلى الرغم من أن معرفة الحقيقة على إبتلاها أمر صعب بل صعب المشال على البشر إلا أن العوض في النفس وكشف مستوراتها ومكنوناتها، فيما يسمى «المونولوج الداخلي» قد يلق بنا في لحظة بعينها على شيء من الحقيقة

على أن سقراط ترديده هذه الحكمة «أعرف نفسك بنفسك» لم يتبدع شيئاً جديداً وليس فقط بل قرأها من قبل على جدران معبد ديملي ناتياً، بل أيضاً لأنها وثيقة الصلة بالإنسان الأول. «د.م. الذي كانت شهوة نومه في البداية، «المعرفة» والتي تجسدت في لهيمته على شجرة معرفة الخير والشر، تلك الشجرة المحرمة صارتاً للوهمة الإلهية عرض الحائط اعتقاداً منه أن هذه الشجرة تمثل الطريق الأمثل للمعرفة. وبذلك سيقت شهوة الإنسان للمعرفة شهوة الجسد وغيرها من غرائز الطبيعة الإنسانية» ودفع أدوات البشرية كلها من بعده لمس هذه الشهوة بالحروج من جنة عدن إلى حياة الأرض بكل ما فيها من شقاء.

وتضيف الكاتبة: المعرفة على ما يصابها من غناء البحث وعلى ما تولده في أحيان كثيرة من شقاء. هي أيضاً تمثل قيداً، كما يذكر الفيلسوف الأمريكي «هيرت ماركيوز» بعد دراسة القرن العشرين في كتابه «الإنسان ودولة الوجد» إلا أنه قيد جديدي يروق للمرء في كل زمان ومكان (كز وفي طبيعته) أن ينسجعه بسببه. وفي هذا وذلك تعد المعرفة بمثابة الرهان على وجودها الحقيقي في العالم غير قائمين بالبعد المادي من مآكل ومغيس. ولكن ما المعرفة؟

تجيب: ليس هناك اتفاق على تعريفها لكنها. في رأيي. تشمل الحقائق والمفاهيم والعلوم والتاريخ والثقافة والتقنيات والعلوم الإنسانية والدين والفن والآداب والأدبولوجيا. وهي بذلك تشمل كل نشاط يقوم به العقل الإنساني من هنا حاجتنا للمعرفة حاجة ملحة في كل عصر وهنا يحدسني ما قاله الدكتور هو حنين عن عاعة فقد البصر وما تركته من أثر نفسي بالغ الأسي: «جعلتني استكشف حسنة الحرقى أرى أنها صبحتني منذ الصبا. هي العلم الشديد إلى المعرفة. الظما الذي لا يطفئه اكتساب العلم. وإنما يزيده شهوة وشدة. والتهانأ. فانا لا أحصل نصيباً مع المعرفة إلا أغرائي بأن أحصل شيئاً آخر أعجب منه مدى وأشد عصفاً.

والمؤال كيف نصل إلى المعرفة؟
إن هذا يقودنا إلى ما يسمى بـ (عملية الاتصال الإنساني) والاتصال «Communication». كلمة مشتقة من كلمة «Communis» اللاتينية ومعناها الشيء المشترك. والاتصال «علم التفاعل بين الأفراد» يتضمن كل الوسائل الخاصة بنشر المعرفة والأفكار والاتجاهات

ولذا كان الأمر هكذا... فهاذ أدوات تلك العالم الرحب، عالم المعرفة؟
تتعدد أدوات المعرفة في عصرنا الحالي ما بين الثقافة المكتوبة والثقافة الإلكترونية المسومة. وإذا كان العصر يحدد أدواتها وفي مطبعتها المجتمع وحاجياته. فإن الثقافة المكتوبة ليست فقط من أهم وأقدم أدوات المعرفة فحسب بل تظل الأداة المعرفية الأكثر إنسانية والأقرب لتواصلها. حيث يبقى، النيساً للبشر في حياتهم اليومية. وإنما وقتاً ما يسافرون ويحبون. معزراً لثقافتهم الثقافية

ويقدم المؤلف صورة شاملة ومتصلة للأحداث التاريخية صيربته. اليهود في المجتمع الإسلامي عبر التاريخ، كاشفاً ما لقي اليهود من حرية ورخاء في ظل عالة المسلمين

أما بحثنا عن القدس فجاء من منطق المول بتعدد جوانب اهتمامات الدكتور الدوزي في إطار التاريخ الإسلامي. وكذلك الأمر في بحثيه: «مدخل إلى تاريخ الأمة العربية»، و«التكوين التاريخي للأمة العربية»، فهو إلى جانب ما قام به من تغطية للفترات التحولات الكبرى في تاريخ الأمة. يشهد على مفاهيم ثرائية أساسية. ليجعلها متعلّقاً في دراسة مفاهيم الأمة الواحدة واللغة الواحدة. والفضائل الموثقة. إرادة تحديد هوية الأمة. ورصد بدايات الوعى لحيها.

إن هذه البحوث العشرة بما تضمنته، تشكل إضافة نوعية. سواء في الفكر أو في المنهج. وذلك على أساس في الكتابة التاريخية.

المسيحيون العرب والعصر القومي
العربية في بلاد الشام وعصر (١٩٤٠-١٩١٨)

هدوى أحمد محمد نصيرات
بيروت مركز دراسات الوحدة العربية.
٢٠٠٩. ١٨٠ صفحة



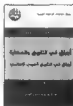
يهدف هذا الكتاب إلى الكشف عن الدور التاريخي الذي قام به المسيحيون العرب في التشييد للأفكار القومية وتمثيلها في سياق التاريخ العربي، لاسيما بعد أن كشفت القومية التركية عن وجهها الحقيقي من خلال نزعها الطوائرية المتطرفة وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تناولت دور المسيحيين العرب في بلاد الشام وعصر (١٩١٨ - ١٩٤٠) في نشأة الفكر القومي العربي، وذلك في ضوء معطيات الصحف والمجلات التي أسسها على ساهم في تأسيسها المسيحيون العرب، بالإضافة إلى المذكرات والأدبيات والأرشيف، مما احتفظت به الجمعيات، على وجه الخصوص، فضلاً عن الكتابة المعاصرة التي تبلورت في سياق البحث

للباحث والأساتد الحامضي ميشال سعادة بعد المقدمة أحر نص كتبه محمود درويش (عن المنفى) بعنوان «صبرت لأجداً في بلادى وخارجها»، ثم تأتى سيرة الشاعر ووصيته. يلي ذلك محتارات مما كتب عنه من مقالات وقصائد وثائقية ودراسات وأبحاث، اللقاءات والحوارات التي أجريت معه وعنه وما أقيم من ندوات.

وفي القسم الأخير قائمة مفصلة بما كتب عن الشاعر تتضمّن عناوين الموضوعات وكتّابها وأسماء الصحف والمجلات التي أصدرتها وتواريخ صدورها. مما يضيف إلى الكتاب صفة المرجع الوثوقى للدارسين والباحثين ووثافة الشعر ومحبي محمود درويش.

أوراق في التاريخ والحضارة، أوراق في التاريخ العربي الإسلامي

عبد العزيز الدوزي
بيروت مركز دراسات الوحدة العربية.
٢٠٠٩. ٤٢٠ صفحة



يتضمن هذا الكتاب عشرة بحث، تضيء جوانب أساسية في التاريخ العربي الإسلامي، الاجتماعية، والتضادية، وإدارية، وفكرية، إضافة إلى الإطار السياسي.

في البحوث الثلاثة من التاريخ العباسي، يتناول المؤلف موضوع الدعوة العباسية، مستنداً فيما تقدمه لهذا الموضوع، إلى مخطوط أخبار العباس ولده، فكشف من نقاط شامسة في الدعوة، وأخر بحثاً موضوع الأراء في الدعوة، بما في ذلك فكرة المهدي أتشد، مستنداً على معلومات خارج الرواية التاريخية، كالنقد والآثار. ويضاف إلى هذا بحث شامل عن بغداد، منذ نشأتها حتى القرن الثالث الهجري.

وفي بحثه «الجزيرة العربية في عصر الخلافة الراشدة»، حديث عن تاريخ الأمة، وأهمها مصادر هذا التاريخ، وما تميزت به هذه المرحلة من إنجازات نوعية على صعيد مؤسسة الخلافة ونجاح حروب الردة والفتوح، وترسيم أصول النظم والشرائب.

عن أفق جديد للحياة العربية في تلك الفترة العاصفة بالأحداث والتحولات الجذرية العميقة في بنية المجتمع ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً.

وقد تشكل الكتاب من أربعة حصول فتضمن الفصل الأول أوضاع المسيحيين العرب في ظل الحكم العثماني، وتنامي النشاط التبشيري في بلاد الشام ومصر، مع رصد أبرز تحديات النهضة العسكرية في إطار نهضة الدراسة، وخصص الفصل الثاني للحديث عن التيارات القومية لدى المسيحيين العرب، بدءاً بالتأثير العروبي، ثم التيار العروبي العلماني، ثم التيار العروبي الاشتراكي، واشتمل الفصل الثالث على عرض لأهم الجمعيات والتنظيمات السياسية العلنية والسرية، تلك التي أسسها أو شارك فيها مسيحيون العرب، كما تم إبراز دورهم في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس ١٩١٣، أما الفصل الرابع فقد خصص للكشف عن دور المسيحيين العرب في الثورة العربية الكبرى، والانخراط الفعلي في مجرياتها، حيث تم رصد مظاهر هذه المشاركة، وأسياسها في الأدبيات الثقافية.

شؤون عربية

مجلة فصلية تصدر عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية
العدد ١٣٩ خريف ٢٠٠٩م



في إشارة إلى محتويات العدد يكتب رئيس التحرير في افتتاحيته: «تطورات سريعة والمتلاحمة التي تشهدها ساحة المنطقة، سواء في اتجاه إجراء انتخابات، أو انسحاب قوات، أو محاولات دفع جهود المصالحة، أو تهدئة الأوضاع في بعض القضايا المثارة. وذلك وسط جو عام تسوده رغبة أمريكية في الحوار والانفتاح، لا تلقى الاهتمام العربي أو رد الفعل المناسب من السياسات العربية التي يعترف معظمها عن التورط في قضايا المنطقة. وحرص بنفس القدر على الحفاظ على الأوضاع العربية، والتاورث القائمة، وهو الأمر الذي تشاركها فيه معظم قوى المعارضة العربية التي تخشى بدورها من

الاتجاهات التغيير خوفاً من تأثيرها على مواقفها السياسية، ومن هنا كان حرص الطرفين على تجديد نتائج الانتخابات، وتعطيل مفاعيل الانسحابات، والدفع في مسار تأجيل إتمام المصالحات. هذا فضلاً عن الاتجاه العربي العام لترك القضية الفلسطينية لعناية الإدارة الأمريكية. وانتظار إعلان خطتها لتدفع عملية السلام دون محاولة التقدم بمقتضيات دعم وجهة النظر العربية، أو للتأثير في التقديرات الأمريكية أو موازنة الضغوط الإسرائيلية، وهو الأمر الذي يوضح أن حالة الجمود التي تسيطر على الأوضاع العربية بفعل السياسات الرسمية وممارسات قوى المعارضة، أصبحت تمثل الاتجاه الغالب في معظم العربي الراهن حيث تحرص أنظمة الأطراف على احتواء نتائج أية تطورات أو مستجدات على الساحة بما يضمن إبقاء نفس السياسات تراوح مكانها. والحفاظ على نفس الأوضاع صعبة على التغيير.

الجلّة العربية للعلوم السياسية

مجلة دورية محكمة تصدر عن الجمعية العربية للعلوم السياسية بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية
العدد ٢٤ خريف ٢٠٠٩م



يتضمن العدد افتتاحية للدكتور عدنان السيد حسين، «الولاء الوطني والولاءات الفرعية».

وملف بعنوان: قضايا دولية، يتضمن ثلاثة محاور، «الفضل العلمي الأمريكي في العراق وفشل استراتيجيات تحويل الصراع، لأحمد جميل حمّو». «إضافات على تراجع المسار العربي ومصدور الصيغار الأمريكي اللاتيني، لحسين مصعب محمود». «الاستمرار والتغير في السياسة الروسية تجاه العراق (في فترة ما بعد الاحتلال الأمريكي)، لنورهان الشيخ. أما الدراسات فهي: «الخليج العربي: الأصول التاريخية لقيادته المؤرخة (الوسطى)، دراسة في الاستعمار الجديد (١٩٤٥-٢٠٠٣) لفتحي العفيص

و. وظائف النخبة المحلية في النسق السياسي العربي لسلطان بونيمان. «الكيف والكيف في مناهج البحث في العلوم الاجتماعية عامة، والسياسة خاصة (قراءة في الجدل بين دارسي المتغيرات والحالات وما غاب عنهم من مشكلات بناء المفاهيم) لأحمد علي سالم.

وفي باب آراء، «التجمع اليمني للإصلاح بين البرنامج السياسي وشعار الإسلام هو الحل، لصادق مجاهد الشرجبي.

وفي باب كتبه مراجعات للكتاب الآتية:

«الاتجاه بين أسر الماضي وأفاق المستقبل، محمد حسين فضل الله». «عدها عفيف عثمان.

«مستقبل السياسة الأثيوبية في منطقة القرن الأفريقي» (طارق عبدالله ثابت الحروي). «عدها طلال عبيد الجندى.

وفي باب نشاطات، تقرير عن ندوة المائدة المستديرة «العرب وتحديات الحاضر والمستقبل، الزاوية، ليبيا، ٢٤-٢٥ يوليو ٢٠٠٩، أحمد أحمد حلواني، بالإضافة إلى يوميات عربية ودولية مختارة، وبيولوجرافيا مختارة.

المستقبل العربي

العدد ٢٦٨ أكتوبر ٢٠٠٩م
بهرت: مركز دراسات الوحدة العربية



يتضمن العدد خمسة بحوث هي: ١- المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام (مصر) (١٨٤٠-١٩١٨) لفتحي أحمد محمود نصيرات. ٢- تطور العلاقة بين الدين والسياسة في ليبيا، دراسة حالة الأحزاب الديمقراطية المسيحية، إيطاليا وألمانيا نموذجاً، لسمي خليفة إسحق. ٣- الكويت... إلى أين؟ التحدي والمستقبل النموذج الديمقراطي، لعبدالله الشاذلي. ٤- اللغة الفرنسية في المغرب العربي: غيبة حرب أم استلاب هوية؟ لعمود الحواشي. ٥- وفيات الأطفال في العراق: أرقام

ودلائل (محافظة نينوى أنموذجاً) لعراض البياتي
كما تضمن العدد أيضاً حلقة نقاشية بعنوان: السعودية... إلى أين؟ تضمنت: ورقة العمل بعنوان: مشروع تحديث الحكم السعودي. أعدتها المكتورة مضوى الرشيد.

وفي باب ترجمات مهمة، بحثان: «الحرب الأمريكية على العراق: تدمير حضارة، لجيمس بيتراس (الحريات في دائرة الخطر. هل تعود الدولة البوليسية (إلى العراق؟ من الإيكونوميست.

أما في باب آراء ومناقشات، فقد كتب فريحة محمد كريم، عن الجامعة الخاصة (الأهلية) والإكثالية المنهجية في التكوين والتوجيه.

وفي باب كتب وقرارات، مراجعة للكتاب الآتية:

«الأعمال الكاملة للدكتور نبه أمين فارس»، أعد المراجعة رياض زكي قاسم. «حقوق الإنسان في الوطن العربي، تقرير المنظمة العربية لحقوق الإنسان، ٢٠٠٨-٢٠٠٩»، أعد المراجعة السيد يسير.

«أزمة العولمة ونهاية الرأسمالية، (السيد يسير)، أعد المراجعة فيصل فراج.

«إضافة إلى كتب عربية وأجنبية وتقارير بحثية مختارة، إعداد كاسي الفوري، والكتب العربية هي: أزمة الوعى الأوروبي، خطاب في أصل التفاوت وفي أسس بين البشر، ممرقة إضعاف حزب الله، الاحتلال الأمريكي للعراق وإبعاد الفيدرالية الكردية، مسألة الجنوب ومهدات الوحدة في السودان، المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام ومصر، التقرير الاستراتيجي اليمني ٢٠٠٨، مدينة القدس، السكان والأرض، الصيغار العربي، رفايا النهوض الكبير، مسائل العمارة الإسلامية وتحويلات المصاهرة

ولتضمن باب مؤتمرات، تقريرين، عن: ندوة مشروع التيار المتوسط، وآثره في المصالح العربية. المنتدى الثقافي العراقي، دمشق ٢٠١١، يناير ٢٠٠٩ لمحمد عبدالحق عيسى. ندوة «العلاقات الأمريكية الروسية والبيت عن توازن جديد، الجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٢ أبريل ٢٠٠٩ إلى مصر الأمارة. هذا بالإضافة إلى موجز يوميات الوحدة العربية، وبيولوجرافيا الوحدة العربية.

The Venus Fixers: The Remarkable Story of the Allied Soldiers Who Saved Italy's Art During World War II

By Ilana Dagnini Brey
Farrar, Straus and Giroux press
2009- 320 p.



لقد كانوا مجموعة من شخصيات مختلفة جنود الحلفاء الملتحقين على الجبال، الذين أصبحوا إلى حد ما حفاضة إيطالية في القنابل والصاف وألوان والألواح الوحشية للجنود المهيملين هيرمان جوتريتش في هجوم الحربي،

تعتبر أساساً في هجوم الحربي

في البداية كان الإيطاليون هم أول من حاولوا إخماد مآوي للخصم، ولكن بعد ذلك تيسرت الجبال لكل الجنود الذين قاموا ببناء الخنادق للبحث عن الأماكن المناسبة. بعد أن ألقى الجيش متاهتها، في واحدة من الحكايات المزعومة تسمى "الجمال"، استأنفت مجموعة الحافظون الجبال، من إخماد مجموعة محطوظات مدارة من تجميعها وسحقها في هرز أرنو.

عادةً لا يزال هؤلاء الخبزيون على خلاف مع بعضهم، في تسليحها الأول كانت الشخصية والمترجمة بيري ماهرة ورابعة في جلب جنود الحلفاء على الارتفاعات إلى مجموعة فريدة من نوعها وموتى تثير المهمة التي اعتبروها واجباً عليهم. كما أن الكتاب يوضح من ماذا كان الجبال يذهبون في إيطاليا، أنه تاريخهم وأعمالهم الفنية التي مارلت لهمنا حتى اليوم.

تفريضة البيعة

By Mekkawi Said
Translation by Adam Talib
American University in Ca
P. r. t -press 2010



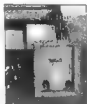
تعويض الرواية هي مشاكل المجتمع

والعلم وبشكل جوهرى مصير العالم
الاقتصادى.

خلال المبادأة التي ليس لها مثيل في الاقتباس من أجواء هــالـكـ الـسـيـنـو كـلـ والـمـسـتـ، فإن هذا الكتاب يعيد تقديم كل الدراما والاضطراب العظيم ويكتشف من تفاصيل لم يقتررب منها أحد من كما أنه يوضح كيف يتم اتحاد المبادأة في قول سترتوت عبر العقد الماضي كله. يهز القصة السيرة هــالـكـ الـسـيـنـو كـلـ للذين لعبوا لها أنها أبست من الغش، وكنها تصور الحياة الحقيقية المثيرة وتلخص ظلالاً على أسماء جريئة وثقة من أنها دوماً أكبر من الضل.

Finding Frida Kahlo

By Barbara Levine
Princeton Architectural Press
2009- 256 p.

[illegible]

كثيرا ما يحدث لنا جميعا، نكتب على
صملك الخاص عندما يظهر أحق
ليحكي بأن الأسلحة شران أو سيارة توبون
في وسطها أن نكتب التوبون، أو أن على
الأشياء، أخيرا، دفع صمتهم من
الصبر!

ابتعد قورا! وفكر في نفسك، ولكنهم
يزدادون بعضا يوما بعد يوم. يزاد معدل
ضربات قلبك، هل بدأت في الترقق. لا
يمكنك الابتعاد؟ إن فاصلك الوحيد في
الكتاب

تستف جريدة نيو يورك تايمز في
قائمة المبعوثين سابق الكفاح جابرييل
مؤلف كتاب صراع الخبز، وانطلق
السلام، في المرتبة الأولى. وهو لديه
معرفة سرية تكسب المصداقية. الجاحل
أصبح الأقوال الكبيرة وهو يقول
صغيرة وهذا الحق مليء بهم. لا يمكن
التعرف على الحق من خلال سجلات
التقصير. ولكن يمكننا إيجابه
بما يجب أن تكون الحقيقة. نحن نحتاج
إلى أدلة الجاهلة التي يستوعبها
الأخرون بدلاً من حرية وثائق الأمم
بأن الشعارات الكبيرة تبديل في الحس
العلم. لا توجد شخصاً متأكد
لأنه الحق. فإن الجاحل، من الحق،
سوف يساعدك في إنقاذك بالمالح
الجزيرة. الحقيقة.

Too Big to Fail
The Inside Story of How Wall Street and Washington Fought to Save the Financial System—and Themselves

أكبر من الفشل
القصة الداخلية عن كفاح وول
ستريت وواشنطن للبقاء والحفظ
النظام المالي

By Andrew Ross Sorkin
Viking Adult press 2009- 624 P



عرف الدرو روس سوركين الحقيقة الأولى وراء الكواليس وأصفا مقبلة بدليقة مع الأزمة المالية الضخمة منذ هبوط البازيل الذي تطوّر في عقب التسونامي العالي، من داخل المكتب الذي يقع في زاوية مشرفة -أخوان ليمان- مروراً بالاجتماعات السريعة في كوروا الجوية حتى أحداث الطرقات في واشنطن، من الفشل في كتاب قبوق عن رجال وتساءل فهاين في الشؤون المالية والسياسية المتصارعة بين النجاة والفشل، الغور

The Lost Symbol

By Dan Brown
Doubleday Books press 2009.
528 p



دعونا نبدأ بالسؤال الذي يسأله كل محبٍ أدبٍ براون، هل «الرموز لقعود» نفس مستوى «الرموز فاشتي»؟ ببساطة، نعم. دان براون يارع في من مزج الخلق المفقود مع الألفاظ المتشابهة والرمز المفقود مزيج خاص بهيئته. بدءاً من البداية بطبقت قديمة وجماصة غامضة إلى رواية تافهة، زعم القارئ أنه في منطقة دان براون عندما يكتبه، لغير ذلك من فرق كما في نهاية الفصل الأول، الكف عن أحداث الرواية سوف يضيغ مستعرة قرائها ذلك لن تجد أرى أصعب للتمتع بها. يمكن أن نقول أن «الرموز لقعود» من العبد من السفول إلى نديها طابع مشترك فيظهرها، مرة أخرى، دكتور هارولد هارمون الرموز التي لا جدون حيث يجد نفسه في عالم متقلب، معرفته الواسعة بعلوم الرموز وتصميمها وقدرته الميزة على التخلص من المتاعب وتداول أحداث الرواية في الولايات المتحدة الأمريكية على خلاف روايات روبرت لانجودن فلم يراع براون في تصوير مدينة واشنطن بنصب سحر وجو جميع روايات وولف القاطنين. وأما في جميع روايات براون فإن الألفاظ سرسمة متلاحقة وسلسلة لانهالية من الألفاظ المشككة من هكلمة تضرع وركب، لا جدون. كما نرى من سلك في «الرموز لقعود».

Arguing with Idiots: How to Stop Small Minds and Big Government

مجادلة مع الحمقى، كيف توقف
مقول التافهة والحكومات الكبيرة
By Glenn Beck
Threshold Editions press 2009-
336 P



انہ کتاب و صحائف و غیر حقیقہ...

مجال النشر. تمت كتابتها خلال حركة حقوق المثليين الوليدة في ولاية كاليفورنيا، حيث انشاء المبادرات المؤسسية، من تدريب الأطفال البيهس ولكن غير مسوم لهم، مثلاً، واختيار اللون الذي يشعرون به. وجهة نظرهم به. تبدأ الرواية عندما نضع نادر من نيويورك العثة الصغيرة سكرتير التي تلصق في أن تكون كاتبة أن تكذب عن ما يمكنه إزعاج وتحريك الجمهور فقررت الكتابة عن عالم الخدات السرورات اللاتي يقصين عمرهن في قرية أطفال بيهس وعندما يكبرون ويتسلل إليهم سم التسمرة العنصرية يسكرون حقنهم ويتنقلون وتتغلب الخدات إلى ميت أبيش آخر المسادة، قصة "بيلين وسيسلي" والعدد من المرات السرورات اللاتي يقصين تاريخهن مع العنصرية انشاء تاتولوي الظهور في بيت أبيش في سرية لاس سكرتير الشهرة أن تخبر والدتها إنها مسكرة حياتها لخدمة الوين والدا، إنها رواية ملينة بالحب والذكرايات وقد حققت أعلى مبيعات فور صدورها.

Life is more beautiful than paradise

الدنيا أحلى من الجنة
Jihadist's own story A
Khaled al-Berry
AUC Press, 2009



الحديث عن مفاهيم مثل التطرف والتدين والإلزام وهي تعبيرات قد تحمل بعض الغمط أو تتصاوت كلياً فيما تعنيها وأصبحت مصطلحات بلوكة الكثرين دون فهم حقيقي لها أو وضعها في سياق يجعل لها دلالة، فأصبح التعبير موضوعاً ويحتل الشاغل وفقاً لبلوكلويد المتشغف وتوجهاته، ومن هذا تأتي أهمية هذه السيرة الذاتية التي كتبها خالد البري، الكتاب الذي يبدأ في صعيد مصر والكاتب في سن الرابعة عشرة ويعيش في "أسبوت"، وكيف سحره مفهوم المسلم القوي، أو الملتزم، فأخبرنا في هذه الجماعة وأصبح واحداً من أفرادها، حتى يقضي عليه وهو خارج من الجماعة بعد مظاهرات وفي السجن يعود إلى الحياة التي عاشها في الخارج ويراها جهاً، وعند خروجه والتحاقه بجماعة القاهرة يبدأ الكتاب في الإلتزام عن هذه الجماعة التي تعمل بالاسلام الراديكالي

Life as Politics How ordinary people change the Middle East?

الحياة كسياسة، كيف يغير الأشخاص عاديون الشرق الأوسط

Asef Bayat
AUC Press, 2009



إلى التصور الأيسر عن الشرق الأوسط أنه حين نقالديه تاريخه، فهو أرض المأثور والجموع النساء الحبيبات والأطمعة الاستبدادية والصراخ الشاسعة. ولكن مثل هذه الصورة تغفل ما هو أهم، التغيير الاجتماعي والسياسي الذي يأتي بالثبات كثيرة. وهذا ما يحاول معاصف بيات، أستاذ السوسيولوجي ودراسات الشرق الأوسط في جامعة ألبين، كشفه أن تحت الأنظمة الشرسية والسلطة الدينية والنخب الاقتصادية. اناس عاديون يمارسون التغيير بمراسمة حياتهم اليومية، وبالرغم من أن هذه الممارسة لا تتجلى في شكل مظاهرات أو احتجاجات كبيرة إلا أنه يتم للملايين في الشرق الأوسط إلا أنه يتم خلق مساحات إجتماعية جديدة لممارسة الحرية والعدالت يبدأ من البائع المتجول الذي ينسب تجارتها في الميادين وتعايش سلمياً مع السلطة الموجودة في الشارع إلى ممارسة الحرية من خلال الفوات الإلكترونية. ومع أن هذه الممارسات ليست متحدة في "حركة"، واحدة إلا أنها تفرض واقعاً جديداً لها فيها الكتاب يعتبر نافذة على قضية شديدة التعقيد في منطقة من أكثر مناطق العالم توتراً، ولذا فهو يقدم رؤية جديدة عن مفهوم الحركات الاجتماعية وديناميكيات التغيير الاجتماعي.

The Help

المساعدة
Amy Eimhorn Books/Putnam
press 2009- 464 P.



يا له من وقت مناسب لهذه الرواية المتفائلة الرافقة التي ظهرت لأول مرة وافتحت نافذة أعمال أيمي الهورن في

جلس جلاوييل مع رون بوبيل، أكبر طاه في الولايات المتحدة الأمريكية واشترى أفراوات مشاوش واكتشف أسرار كاسر ميلان الذي يقدمها في برنامجها الشهير "dog whisperer"، ويستطيع أن يجعل أكثر الحيوانات بريرية اليقة بلعسة بيده فهو يكتشف الأنواع المصيرة والسلوك العرقية والتحرك بعد فوات الأوان

يقول جلاوييل في مقدمة كتابه "الكتابة الجيدة لا تنجح أو تعطل بناء على قوة قدرتها على الإقناع. إنما على قدر قدرتها على جذبك نحوها وحملك تمكراً لتعطيل لحظة من تعكير شخص آخره.

يعتبر، ماذا رأى الكلب، مثلاً آخر على روح مهيجة ومعرفة قوية جعلت ماثوم جلاوييل مشاحداً رائعاً عن الجوانب العظيمة المخفية حولنا.

Women, Water, and Memory Recasting lives in Palestine

النساء والماء والذاكرة إعادة تشكيل الهوية في فلسطين
By: Nefissa Naguib
AUC Press, 2009



الحياة هي من المصاعف الأساسية للحياة، والمرأة كذلك أحد مكونات الحياة لكل من حولها. ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب للباحثة، نيفيسا نجيب، الأستاذ المساعد في جامعة أوسلو في دراسات الأنثروبولوجي والتنمية. فهي ترصد في هذا الكتاب ممارسة المرأة جلب المياه من النهر قبل وبعد دخول الأنابيب، فهي هذه الرحلة اليومية لتليخ عن موزع المياه تمارس المرأة أولتها بشكل أكثر حرية وتتحدث عن نفسها. وهذا اختارت الباحثة المرأة الفلسطينية التي اعتبرت دائماً من دماغ المصعد الفلسطيني والنهاية الفلسطينية الشحيحة التي تدل على إصرار وعزيمة هذه المرأة في الاستمرار والكتاب يرصد الفترة من نهاية الحكم العثماني حتى وقت الانتفاضة الفلسطينية. حيث يتحدث عن المساعدات المصيرة تدحين سيجارة، رقصة غفوية في أحد الأفراح أو حتى الأراجيح الكبيرة، الأسرى ومن ماتوا واستشهدوا. هي كتاب يرصد أحشاء بالناكرة والمرأة والماء وفلسطين

لصرى وترعى على أحداث قد تكون قرأناها في الصحف، ولكننا هنا أمام نوع من التاريخ الوجداني للحدث، مصصفي، طابك وديكالي سابق. يحكي قصصاً عن الأطفال القاهريين الذين يتخذون الشارع بيتاً لهم. مصصفي مضطر إلى الاعتماد على مساعدة صديقه الأمريكية التي لا يستطيع أن يثق بها. وهناك صديقه أحمد الحلو الذي انتقل من قصي اليسار الثوري إلى أقصى يمين الفكر الواسي في غضون سنوات قليلة.

من بين لحظات في مجتمع يعطيه الصنادير يرى مصصفي القاهرة تتداعى من حوله. الرجال والنساء يبحثون عن من يستحق مشاعرهم وعن من يجعل تصحياتهم ليبل له نقد تستحق ولاعهم شينة وذات قيمة.

ولد مكايوي سميد في القاهرة عام ١٩٥٥. ظهرت أول مجموعته قصصية له عام ١٩٨١. ومنذ ذلك الحين أصدر أربع مجموعات أخرى. فازت بروايته الأولى بجائزة سعد الصباح للإبداع العربي عام ١٩٩١. تفريدة الجملة روايته الثانية كانت في الخاتمة القصيرة التي وصلت لجائزة اليوزكر العربية عام ٢٠٠٨. والمترجم آدم طالب خريج جامعة كاليفورنيا والجامعة الأمريكية بالقاهرة ويعمل حالياً على الدكتوراه في الأدب العربي في جامعة أكسفورد.

What the Dog Saw: And Other Adventures

ماذا رأى الكلب واكتشافات أخرى
By Malcolm Gladwell
Little, Brown and Company
press 2009- 432 P



لماذا توجد دواع عديدة من الحرد في مقابل نوع واحد من الكائنات؟ ماذا يعلمان لأبعد كرة القدم عن كيمسية تعجيب لدرسين؟ لماذا يجبرنا النقص المصوغ عن تاريخ القرن العشرين؟

في الهدف المناهي كتبت مالكوم جلاوييل ثلاثة كتب عن كيفية فهمنا لثلاثتنا، Blink، وLasting، وThe Tipping Point؛ ولأنه في كتابه "ماذا رأى الكلب،" يجمع جلاوييل لأول مرة أفضل كتاباته من مجلة "ذا نيوز بيكر."

هذا قصص ممتعة متروكة بالأمم عن مسرح طرق تحديد الخسل، والينكرين المتأقنين لحصود المكونة.

كتب عبرية

مطاعم، العدد التاسع عشر، كتاب
حاتوخ ليفين الشاب، رئيس التحرير
إسحق لاوون.



في هذه الأيام تمر عشر سنوات على وفاة المسرحي الإسرائيلي حاتوخ ليفين، وهو المسرحي الأكثر استمرازا للجمهور الإسرائيلي بسبب إرثه الحادس بين الجيش والشعب الإسرائيليين، وخاصة بسبب مسرحيته، ملكة الكيان، واما وأنت والحرب القادمة، اللتين عرضتا بعد حرب ٧٧ وكأنا منار احتجاجات شعبية رهيبة عنده. وبهذه المناسبة فليد خذ العدد التاسع عشر من مجلة المسرح، دورية لتسفيد والشكر اليراديكالي، خصمها بالكامل للفين في فترة شبابه، تحت عنوان كتاب حاتوخ ليفين الشاب.

يبدأ رئيس تحرير المجلة الشاعر إسحق لاوون بمقدمة قصيرة يطرح فيها السؤال عما أسماء باتفز حاتوخ ليفين؟ وتبدأ في فيها كيف أكن شاب في بداية طريقه أن يحظى بالشهرة بفضل الكرامية الشعبية الواسعة له من قبل الجمهور وفي قبل قطع من اليسار أيضا بسبب ثلاث أحداث ترموز سارخة كتبها وهي العروض التي أثار غضب المشاهدين وعرضها جاء المشاهدين وبأيديهم فنانل دخانية والقروا على المنصة. وفي أمسية ثانية تم إخراج الممثلين من المسرح بعد ١٩ مشهدا من العرض فحسب. ولكن هذا الشاب غير المعروف، المقتصر للغاية، تحول بعد هذا في فترة قصيرة إلى كاتب معروف، وشعبى جدا في إسرائيل حتى لدى من لا يذهبون للمسرح.

ويشتر الدفصيدة من القصائد الأولى التي كتبها ليفين، يخاطب فيها عرب إسرائيل ويسخر من التمييز ضدهم، أيها الشاب العربي، القسم الصحي للبدنية لا يبب يدعوك! لو كنت كنت موهوبا، طموحا ومبادرا / لو كنت مؤبلا للثقافة وغسل الديدن / فهاكنا عندا/ كنس الشوارع في الليل في مناح من المهود الجوى الذي يصاعد على الاسترخاء والهوا، المنض، تحت سماء شملوا النجوم، شوارعنا تنتظرك! شوارع ملبة بصفاديق الضمامة، في ساعات الصباح المبكرة، صناديق موسيقية، قامة مثيرة للمفاجآت لدى ظهور الفلران/ التفتيش على النيتول العام هو عمل حيوى، مله، بالانتعاش/ تبولناش / ينتظرك/ صفة المستشفى لو كنت تنكو من شه، لو شعت بآنك مظلوم/ توجه

للمستشفى المدني واحقن اليهود/ مؤخرنا تنظرك، كما ينشر في العدد العرض المسرحي الساخر الأول الذي كتبه ليفين. وفيه يقر الرب أن يخلق النور ويقرول، ولكن فور، ولكن كل اللجان تحتج، وكل منها تعبر من رايها فيما يجب أن يخلق بدلا من النور. لجنة الطلبة تقر أن يجب القول، ولكن طلبة، (ويصيح الرب على العالم، ويقرق حتى من يعرفون السباحة).

الحياة السرية لموشيه ديان

مكان جيد في الجانب، ثورا بريخ متلون، دار كوتازيم



السكرتيرة الشخصية لموشيه ديان تحكى قصته في هذا الكتاب الجديد، الذي أخذ عنوان: مكان جيد في الجانب، للكتابة لثورا بريخ متلون. موشيه ديان، وهذا ما لا يعرفه عرب كثيرين، هو رمز جنسى في دولة إسرائيل، تصعد معارفاته العاطفية، وهو ما يدعج الصغرى وأحد الطوائف المأزولين الجدد في إسرائيل، توم سيجيف، ليكتب عرضا للكتاب بصحيفة هاريس. يبدأ العرض بقصة طريفة عن ديان، سمعت ملون، مؤلفة الكتاب والسكرتيرة السابقة لديان قصصا كثيرة عن علاقة يقيمها رئيسها مع امرأة تعمل في البناية، امرأة غير جنسية. دعتهم متلون على كوب من الشاي. تحدثت معه بحزن وغضب. قالت له أنه يمين الوظيفة التي يعمل بها ويهين نفسه كإنسان.

يكمل سيجيف القصة: «طلب منها ديان الاحتباس من الشلطات وقال لها، هل تظنين أن الناس لا تحدثنا؟ حتى روت تتحدث أن هناك ما هو أكثر من علاقة العمل بجميع بيتنا. كانت ثورا تدبر مكتبة بيتنا هو رئيس قسم العمليات، واصلت العمل لديه كسكرتيرة عندما أصبح رئيس هيئة الأركان.

في الكتاب تحاول متلون الدفاع عن ديان من الشلطات التي أريجت به، على مدار الستينيات عملت فيهما عنده لم تلق رسائل أو أحيات تليفونية في شاة. ولكنها لم تكن تعرف كل شيء، كما يوضح لها يومها، عندما وضع ديان على مكتبه مظلوا وواصل طريقة عرقته. في الظروف كانت كمية الأوراق عنوان فصل من رواية، وفيها وصف مفصل لملاقات جنسية، وكتابة الأوراق هادسا مورا، لا تحاول إخفاء حوة إبطائها، وواحد

منهم كان ديان، الذي أطلقت عليه اسما متخيلا. قرأت متلون هذا الفصل. وفيها بعد لاحظت أنه كتب احتجاجا موجها لدار النشر وأرسلها هي لتسليم المخطوف. والسبب غير واضح، هل كان يأمل بنسج النشر أم كان يطلب بالحصول على نسخة من الكتاب المنشور الذي أصبح الأعلى مبيعا؟ في الكتاب ثمة قصص أخرى، على سبيل المثال، ذات مرة اضطر ديان لدفع عشرة آلاف ليرة لأمرأة هدت بمخاضاته لكونه آلف بوعده بالزواج منها. وطلعت القصة خارج جدران المحكمة. ولكن هذه القصص، كما يقول سيجيف، لا تأخذ إلا حيزا ضئيلا من الكتاب. ثورا بريخ متلون تهتم بالتاريخ والسياسة والإسرائيلية أكثر من اهتمامها بالشلطات.

ظل موشيه ديان في الكتاب لغزا. متلون مثلا رافى بون العصابة السوداء على عينية. وفي العصابة التي تشكل لغزا لإسرائيليين كثيرين حاولوا تخيل ما وراءها، ولكنها مع هذا لم تستطع الدخول في أعماقه، هذه صفة مشتركة بين أشخاص عديدين كتبوا كتبنا عن عظيمهم المشترك مع ديان. لم يفص احدهم في أعماق شخصيته. يقول سيجيف، الذي ينسج لجماعة المؤرخين الجدد بأن: «ديان، ولكن هذه الأوقات. لقد وجد صعوبات كثيرة في خلق صلات حقيقية مع الناس، لم يكن ملتزما لا تجاه رجل أو امرأة، قائل أو مقبولة، ولم تستطع حتى بدا أنه يخون نفسه أيضا، هو الذي، الباردة والمتفطرس، والخصر وغير الكبور، لقد بنى نفسه دائما بحماية من هو أقوى منه، دافيد بن جوريون، جولدا مائير ومناحيم بييجين. وموما ما هناك، يخاف من المسؤولية الكاملة.

التأثير الإسلامي على ابن ميون



موسى بن ميون، المحافظة، الأصالة الكبور، مجموعة مقالات في مجلدتين، تحرير إفيغز راهيفتسكي، مركز شازار.

واحد من المجالات التي يمكن للمسلمين فيها القول بتأثيرهم على اليهودية هي الشريعة. كتاب صادر مؤخرا من مركز شازار الإسرائيلي بعنوان: «موسى بن ميون، المحافظة، الأصالة والثورية»، ويضم مجموعة مقالات في مجلدين قام

بتحريرهما إفيغز راهيفتسكي. يثبت تأثير الشريعة الإسلامية على العالم والطبيب اليهودي موسى بن ميون والذي عاش في العصر الأيوبي واشتهر بكونه طبيب السلطان صلاح الدين الأيوبي. واحد من مقالات الأيوبي يتحدث عن الأحكام إبراهيم ابن موسى بن ميون، والذي كان قريبا من العالم الروحي والأدبي للمتنصوفة المسلمين الذين عرفهم في مصر. ولكن الابن كان يرى أن أغلب تقاليد الصوفيون قد نبتت من مصادر يهودية.

التأثير الديني الموالر إسلامية على إبراهيم ابن موشيه بن ميون يطرح سوالات صعا إذا كانت هناك فعلا علاقة بين الشريعة الإسلامية، وهو السؤال الذي تمطره أكثر من مرة في البحث وتتم الإجابة عنه بالإيجاب أيضا أكثر من مرة. خصص يدعوون لايفنوز لهذا الموضوع مقالًا طويلًا ومفصلاً. يخمن أنه: «كانت موسى بن ميون صلة مباشرة بالتشريع الإسلامي، ما فيها القرآن، ومؤلفات أخرى، وأنه، كان مكتشفا أمام نخبه من مؤلفات مشرعى القانون الإسلامي، بل وكان يتحلى الفضول إلى المكتبات الدينية من حوله. يعتقد لايفنوز أنه كانت بالفعل هناك، أسس كثيرة استعارها موسى بن ميون من مصادر خارجية، ولكن هذه الاستعارة كانت تحدث عندما لم تكن توافر لديه في ميون مصادر يهودية واضحة ومهمة على قدر الحاجة. رغم كان الأكثر تأثيرا هو الفيلسوف، الذي كان يعمل في الأندلس وإشمار الفلاسفة في عصر موسى بن ميون، وعلى أية حال، فإن ميون أو أي من حوله لم يكونوا يشبهون في أي مكان لتسليمهم الجزئية بالشرعية الإسلامية.

واحد من المجالات التي يتم التعبير فيها عن هذا التأثير، وفي حديث الكتاب هو القانون التشريعي والتأثير الحديث عن مكانة ووظيفة الملك، المصدر التأمودية قليلة في هذا الشأن، وغير متطورة، وثمة تشابه واضح بين مكانة ووظيفة الملك في كتاب، «ها لاخوت ملايخا، لموسى بن ميون وبين مكانة تشابه واضحا في كتاب، «ها لاخوت المراه وأحكام العائلة.

هذا التأثير، يؤدي لعدم ارتياح ما بين يهود كثيرين، وابن ميون نفسه يبدي كذلك استهوانه في وعدا، صلبا ضد الإسلام، سماحه للمسلمين بدراسة العهد القديم، في رايه، ينبع من إيمانهم بقداسته، وأنهم إذا أحاطوا بالتفسير الصحيح من التلميح أن يهودا لما هو أفضل، وهو الشيء الذي لا يسرى على المسلمين، وهم لا يؤمنون بقداسته العهد القديم.

السياسة.. والمعرفة

محمد السيد سعيد



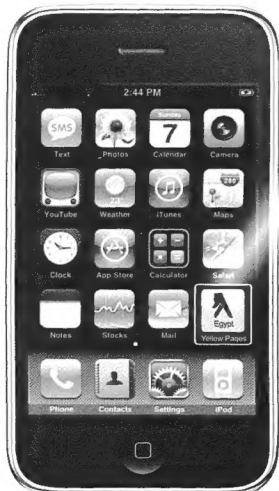
أن المجتمع قد يكون قطعياً ولكنه ينتج معرفة بل يشيعها، فالاستبداد ليس ضد كل معرفة وإنما ضد المعرفة التقديرية وحسبها والواقع أن التطور الرأسمالي المعاصر يعيد إلى الحياة أشكالاً معينة من الإقطاع المعرفي حيث لا يكاد يكون هناك أمل حقيقي في ترجمة المعرفة إلى خبرات مجتمعية إلا بالنقد الذي تحدده وتقرره مؤسسات الأعمال والمحاكمة واليهابك الجبراة لبيروقراطية الدولة وخاصة جهازها الأمني، وتنهض الشركة الديمقراطية باعتبارها تحريراً للمجتمع من هذا الإقطاع السياسي، فالديمقراطية وحكم القانون هما أفضل اختيار بالنسبة للمجتمع ككل، ولكنهما ليسا أفضل اختيار بالنسبة للطبقة أو بالنسبة للطبقة الحاكمة التي تحكم بصورة استبدادية وتعمسية، لأن الديمقراطية تسلب منها امتيازات معينة تصل في حالة الدول العربية مثلاً إلى امتلاك سلطة الحياة والموت على بقية المواطنين وتفسير الديمقراطية تماماً مفهوم السلطة، فبدلاً من أن تكون امتيازاً لشخص أو طبقة من الأشخاص تصبح عقداً اجتماعياً أو وظيفة يمتدحها المجتمع ويحبها واختياره الحر لمن يراه، كما أنها تغير تماماً ممارسة وسلطة السلطة فبدلاً من أن تكون أمراً من سيد، تصبح أداء لخدمة عامة يتحاسب من يولدها على نوعية الأداء، وقد يعطون من وظائفهم، لأن صاحب السلطة هو المجتمع وهو الذي يعين ويغسل من يشعرون بالوظائف العامة، والطبقة العمالية لا يحسبون المعرفة بالضرورة كما أكدنا، ولكنهم يحسبون حاكم المعرفة أو منتجيها، فالطريق ما يكون حاكم الغلبة من منتجي المعرفة على استعداد تام لخدمة الطبقة مهما كانت أوصافهم أو أهدافهم من مناصرة لأية قيمة أخلاقية أو معرفية.. وغالباً ما يعنى هذا الاستعداد للخدمة نزعاً للطبقة لخدمة العلماء أو منجى المعرفة.. ويجب أن نلفت الانتباه أيضاً إلى كيفية إنتاج المعرفة وطبيعة النظام التعليمي وتشكيل آليات الإعلام الحديث.. وقد يهين البعض من الكيفية التي يتم فيها برامح وأفكار ضد بادية وصحية ذهنية وأخلاقياً في شبكات تلفزيونية ومعلوماتية كبيرة في أكثر المجتمعات المعاصرة لتطوره على إنتاج المعرفة من الوالات المحركة، إن لم تكن تصرف ما أقيم هنا عليك متابعة عشرات من الشبكات التلفزيونية في أمريكا مثلاً وهي تبث حوارات بدائية بصورة باهظة العدولوية والبولونية، واحدة من أكبر المعلوماتية أسماها فوكس نيوز عندما قد تتركز أن طبقة العالم الثالث ليسوا وحدهم في التلاعب بالخط والاعتقالات أو احتكار المعرفة والتفدية أو كراهية العلماء ومعاييرهم بهم. ■

اختياراً وحرف قد نسال ايها العقل تكلفه أكثر عالماً، ولكننا يجب أن نسال أيضاً: أفضل بالنسبة لمن؟ فافضل اختيار بالنسبة للمجتمع مأخوذ كأنه شره واحد ليس بالضرورة هو أفضل اختيار بالنسبة لاختلاف الأفراد والأقسام التي يتشكل منها المجتمع، وقد يكون أفضل اختيار بالنسبة للمجتمع هو أسوأ اختيار بالنسبة لبعض شرائحه. هناك أمثلة معروفة وواضحة تماماً للإقطاع مثلاً هو امتياز منسوب لطبقة لا تسبب سوى قوتها وتوارثها للقوة والسلطة، ومهما قال العلماء والعارفون أن الإقطاع اختيار سيئ بالنسبة للمجتمع لن يتخلى الإقطاعيون عن امتيازاتهم طوعاً أو كرهاً، بل يوسعون من مجال الأرض والامتداد وحدهم بل في مجال السياسة أيضاً، يعني الإقطاع هنا منح طبقة أو شريحة ما لنفسها حق، امتلاك السلطة، وممارستها كشى بصحتها، هذا الإقطاع السياسي أسوأ وأصعب على التغيير من الإقطاع الأخرى أو حتى الإقطاع المالي، ذلك أن الإقطاع السياسي عادة ما يكون هو المصير لكل صور الإقطاع الأخرى بما في ذلك الإقطاع المعرفي، يعني الإقطاع المعرفي من حيث منتهى ما للمعرفة امتيازاً ثابتاً وسابقاً على ثبوت امتيازهم في مجالهم أو كيفية إبقائه ما يمكنه من يتجولهم من معارف، وهم هذا المعنى موقوفون برتبة علماء أو حكماء أو كهنة، وبينما يحصل هؤلاء على امتيازاتهم بفضل التوظيف التسمسي للسلطة فهم يرون التجميل بمنح الاستبداد مسحة معرفية أو سمة رعاية المعرفة، ومعنى ذلك

كثيرة لا صلة لها بالمعرفة أو العلم أو حتى السلامة العقلية والوجدانية، فالعقلانية والا عقلانية يتمايزان بشعب مختلفة في كل شخص كل جماعة بشرية بل فيهما يتمايزان بالضرورة.. فقد تستخدم النزعات الأ عقلانية موهبة العقل، وقد يسعى العقل لتهديب أو السيطرة على النزعات الأخلاقية لضمان تقيد الشورى الناجمة عنها.. والواقع أن أغلب المجتمعات تعرف العقلانية المستلبة بمعنى توظيف المعارف العلمية لتحقيق أغراض لا شأن لها بالمعرفة أو الأخلاق، وظاهرة الحرب وخاصة الحرب المموالية هي تجسيد تقليدي لهذه الحالة.. ومن هنا يميز الفلاسفة بين المعرفة الاستعمالية والمعرفة النقدية أو الأخلاقية، ولأن المجتمعات المتقدمة من حيث التعرف هي تلك التي تستعمل المعرفة العلمية دون أن يكون الغرض من هذا الاستعمال خيراً أو نبلاً بالضرورة تمت توريثه، أو نزعة احتكار هذه المعرفة بين طبقة من أهل العلماء والفكرين والحكماء داخل هذه المجتمعات المتقدمة، ولكن هذه الطبقة صغيرة العدد ولا تملك سوى نفوذ معنوي محدود.. بل اعتقد أنها تتكلم باللقائرية بمرحلة ما بعد الحرب العالمية، ولكن هناك مصداق آخر تماماً لنزعة احتكار المعرفة وهو السياسة.. فالسياسة تغيير من مصالح وهي تتدخل في تشكيل وتوظيف المعرفة وتوظيفها أو منع أبسط المعارف في الصميم بأشكال غدية من التفرغ، وتتوقف هذه الأشكال على ما حققه أي مجتمع في الأصل من إنجاز ديمقراطي.. فنعندنا نقاضى بين

■ لا يوجد في الحقيقة ما يسمى بمجتمع المعرفة والمصلع نفسه نتج عن حجرة الشفق الحكيم في مجتمع يحترق المعرفة ولا يعرف قيمتها.. المعرفة إن قيمة وليست علاقة ومثلها هي ذلك مثل الشرة والقوة، كل ذلك القيم تنتج عن نظام يعينه للعلاقات الاجتماعية ولكنها ليست هذه العلاقات نفسها، فالشرة تنتج عن أشكال فعالة لتوظيف وإكثار الشرة، ولكننا لا نعرف سوى القليل عن المجتمع أو وصفاته بصفة الشرة فقلنا مجتمعاً فقيراً أو مجتمعاً غنياً.. ويمكننا أن نتحدث عن مجتمع المعرفة والمعنى نفسه، فهو هنا المجتمع الذي تكثر فيه المعرفة وتتاح أدوات إنتاجها وتطورها ونشرها، ولكن إنتاج كثرة المعارف مثل إنتاج كثر من الثروات ليس أمراً دالاً بالضرورة على نمط توزيع المعرفة أو طرق إنتاجها أو علاقاتها بالشرة والسياسة، ولهذا لا يعني مصطلح "مجتمع المعرفة" الكثير، وهناك سبب أهم لنقد مفهوم "مجتمع المعرفة" فنظرة تدفق جبار من المعارف لا يعني الإفادة بها فعلاً فيما له دلالة على قيم هذا المجتمع ومستقبله وورده في العالم، لماهيك عن عدالة أو صواب اختياره، ولكن نحكم على مجتمع ما بهذه المعايير لا بد أن نتخض طبعية عملية إنتاج المعرفة وتوزيعها والأهم طبعية عملية إنتاج السلمية وتوزيعها وعلاقاتها بالمعرفة ومتجسي المعرفة، لنفترض أننا نعرف قانوناً علمياً ما في مجال المجتمع فهل نتصرف على أساسه بالضرورة؟ إننا نحتاج للمعرفة لأن نمته في المعرفة بداتها، ونستحيل في نفس الوقت أن نكتفى بالتمتع بالمعرفة الساكنة في الصدور لأنها حتماً تنقلب إلى علم وظيفي إذا لم نتصرف على أساسها عندما نحتاجها حتماً، فالضرورة عرض جوهري رغم إدراك الاختيارات المتاحة والأخذ بأفضل اختيار ممكن في لحظة بعينها، ولكي نعرف أفضل اختيار لا بد أن نتجاسس السلبية والإيجابية بالمقارنة بغيره، وأبسط موهبة المارقة السلبية هي مضاعفة لكثافة كل اختيار بمائدته مادياً وأخلاقياً، فهذه المضاهة هي المقاييس التي تستعمل المعرفة العقلانية للاختيار بين بدائل.. بل بعد من الممكن لأي مجتمع يعيش عصر العلم الحديث ولو من بعد أن يتجاهل حصيلة الناجمة من الاختيار البحت المصداق، أو كان علمياً ما أيداعها، ولكن إن هناك مجتمع موهوب والمعرفة يؤسس اختياراته وسياساته على المعرفة العلمية باعتبارها المعرفة المحك، الموفق عليه للاختيار.. وربما يجب أن ندفع لهذه الحقيقة إلى الألف بالنسبة للمجتمعات المتقدمة التي يتوارث السلب لا يتطلع من المعارف.. لذا.. لا تأخذ الاختيار بالمعرفة العلمية حكيم نهائي أو مخلصاً للاختيار بين بدائل مختلفة ومختلفة؟ هناك بالطبع أسباب عديدة، فالمجتمع يتشكل من بشر والسلوك البشري فيه دوافع

لأصحاب الـ iPhone



Yellow Pages

الآن يمكنك تحميل برنامج يلوبيدجز مصر الخاص
بالـ iPhone مجاناً.



Available on the iPhone
App Store



Yellow.com.eg



إبراهيم عبد القادر المازني

الأعمال الكاملة



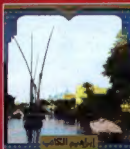
إبراهيم عبد القادر
المازني



إبراهيم عبد القادر
المازني



إبراهيم عبد القادر
المازني



إبراهيم عبد القادر
المازني



إبراهيم عبد القادر
المازني



إبراهيم عبد القادر
المازني



إبراهيم عبد القادر
المازني



إبراهيم عبد القادر
المازني

مدينة نصر، سيتي ستارز مول ت، ٢٥٤١ - ٢٥٤٢ - ٢٥٤٣
الحيطة، فرست مول - ٣٥ شارع الحيطة ت، ٣٥٣٥ - ٣٥٣٦ - ٣٥٣٧
الإدارة، ٨ شارع سيديو المصطفى - مدينة نصر ت، ٢٤٠٢٣٣٩٩
www.shorouk.com email: dar@shorouk.com

وسط البلد، ميدان طلعت حرب ت، ٢٣٨٢ - ٢٣٨٣ - ٢٣٨٤
مصر الجديدة، ١٥ شارع بغداد - الكورنيش ت، ٢٤١٧٩٤٤ - ٢٤١٧٩٤٥
الإسكندرية، سان ستيفانو مول ت، ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢
٢٦ ش محمد كمال مرسى - من ش البطل أحمد عبد العزيز - المهندسين ت، ٢٦١٢٢٢٢